



جمهورية السودان
جامعة أمدرمان الإسلامية
معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي
قسم الدراسات النظرية



دراسة بعنوان

قصة البقرة في سورة البقرة وتطبيقاتها في السيرة و الواقع المعاصر

دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علوم القرآن الكريم

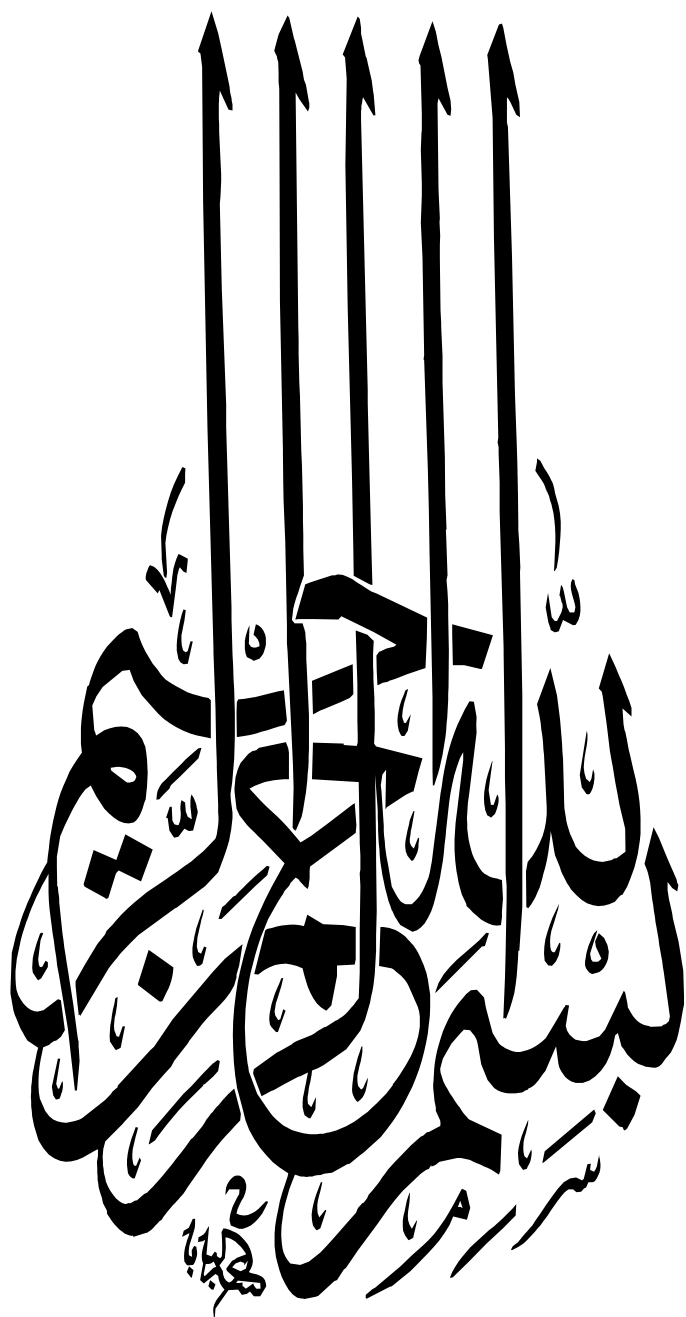
إشراف الأستاذ الدكتور

حيدر محمد سليمان

إعداد الطالب

عبدالمحسن أحمد حسن عبدالله

1441هـ - 2019م



الاستهلال

{ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ }

سورة البقرة (32)

صدق الله العظيم

{ إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْوَءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا
دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا }

الإسراء: (7)

إهداء

إلى أرواح الشهداء الذين صنعوا النصر بتضحياتهم

إلى علماء أجلاء علموني وأرشدوني إلى الخير

إلى كل مجاهد في أرض الإسلام

أردت بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم فلعل ساعات عصيبة
تنتظرنا يحال فيها بيني وبينكم إلى حين، فلا أستطيع أن اتحدث معكم أو
أكتب إليكم، فأوصيكم أن تتدبروا هذه الكلمات وأن تحفظوها إذا إستطعتم .
وأن تجتمعوا عليها وإن تحت كل كلمة لمعان جملةأنتم لستم جمعية
خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد .
ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ، ونور جديد
يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله ، وصوت داو يعلو مرددا دعوة الرسول
صلى الله عليه وسلم

الإمام الشهيد /حسن البنا

وإني لأرجو الله أن تكون هذه الرسالة شرحاً لبعض هذه المعاني الجملة التي
أشار إليها الإمام الشهيد

شكر وتقدير

الحمد لله العظيم الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، عزيز الثناء، جليل العطاء، ربنا لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك والصلاة والسلام على النبي المعلم، الذي أوصانا بالشكر، وعلمنا البر، وزين بالإسلام أخلاقنا، فجزاه الله عنا خير الجزاء يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: **(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ).**

انطلاقاً من حديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: " لم يشكر الله من لم يشكر الناس"، فلا يسعني بعد الانتهاء من إعداد هذا البحث إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الصرح العظيم، ذلك البستان الذي أينعت أزهاره، ونضجت ثماره، وكنْتُ نتاج غرسه، "جامعتي الموقرة جامعة أمدرمان الإسلامية- معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي"، وعلى رأسهم أستاذي الفاضل البروفيسور حيدر محمد سليمان الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، حيث قدم لي كل النصيح والإرشاد طيلة فترة الإعداد، فله مني كل الشكر والتقدير.

أيضاً أتقدم بشكري إلى أهلي وعشيرتي، وإلى من أسكنني شغاف قلبه حباً وحناناً، إلى أبي الغالي " رحمه الله"، وإلى من كان دعائها سرّ نجاحي، "أمي" الغالية، أطال الله في عمرها، والشكر موصول إلى رفيقة دربي وشريكة حياتي، إلى سندي في نجاحي، زوجتي الغالية، وإلى جميع إخواني وأخواتي الأعزاء، وإلى أبنائي وبناتي، وإلى الأكرم منا جميعاً شهداء فلسطين وأبطال الانتصار.

مستخلص البحث

تعد قصة البقرة في سورة البقرة وتطبيقاتها في السيرة والواقع المعاصر، إبتداء هي تنوير لمعاني قصة البقرة وربطها بأسماء السورة والآيات السابقة واللاحقة لها، ومن ثم تطبيق فهم

هذه النظرية على الأفكار المتداولة والمعاصرة في وقتنا، وباختصار هي نظرية المؤامرة، ومحاولة فهم هذه النظرية وتطبيقاتها مع مخططات الصهيونية العالمية المعاصرة.

على ضوء تطبيق هذه القصة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتطبيقها على الواقع المعاصر لأحداث سياسية وعسكرية في أرض فلسطين، وتكمن أهمية البحث في محاولة تثوير علم التفسير لواقع الأمة الإسلامية لتعيش واقعاً إسلامياً على هدي كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه، وتعتبر تفاسير الجزئية هي محاولة فهم مجتزئة أضاعة فهم القرآن الكريم للواقع المعاصر، ولمواجهة هذه المشكلة تم الإسترشاد بالتفاسير الموضوعية، مثل كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور وغيرها لتحقيق معنى تثوير القرآن الكريم.

من أهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها الدراسة: أنه كلما يتأمر علينا يهود فإن الفئة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر يجرى قدر الله على الأحداث لمصلحة الفئة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر.

ومن أهم التوصيات التي توصلت إليها الدراسة: أن ننكب على القرآن دراسة وفهماً ومحاولة فهم الواقع من خلال آيات القرآن التي تتكلم عن بني إسرائيل، وكذلك مواجهة الحملات الإعلامية الموجهة للأمة الإسلامية، وأن نرفض المصطلحات التي يبثها يهود مثل "الإسلام السياسي"، وأن نرسخ مبدأ الشورى بين دُعاة الإسلام، وأن نسعى جاهدين لتوجيه الأنظمة الديمقراطية لمصلحة الإسلام، وكذلك تعميق مفاهيم الأخوة الإسلامية لموجهة مؤامرات يهود، ومحاربة الولاءات الأرضية من لون وعرق إلى ولاء للإسلام لتوحيد القوى الإسلامية ولنبد الفرقة، ونهايتاً أن نحارب كل أشكال التطبيع مع العدو الصهيوني بالوسائل المتاحة، والسعي لإنشاء قيادات ربانية تحمل هذا الدين لتقود مفاصل العمل الإسلامي.

ABSTRACT

The story of “ALbaqra” the cow in the surah of “ALBaqara” explain the theory of conspiracy done by Jewish persons > the application of this theory in the modern Zionist application in several aspects.

We understand the story in relation to the surah names & the verses before & after the story.

The understanding to be done with relation to the Prophet Mohamed peace be upon him life & the modern Palestine problem applications.

The study used several interpretation books. Yet it concentrate on “Nathm AlDurar fi tansub AlAiat Wa sowar “in which it goes deeply on the meaning of the words of Quran

The story of the cow was to revive the life of dead killed Jewish merchant & the modern Muslim society will revive the society with QURAN

مقدمة

1. أهمية الدراسة
2. أسباب إختيار الدراسة
3. منهج الدراسة
4. مشكلة الدراسة
5. أسئلة الدراسة
6. حدود الدراسة

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد فقد إستغرق القرآن في الحديث عن بني إسرائيل ما يعادل ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم وكان ذكر يهود في سورة الفاتحة في قوله تعالى (المغضوب عليهم) وفي نهاية القرآن من (الجنة والناس) فأخر

كلمة في القرآن تحدثت عن شياطين الإنس وهم اليهود والله أعلم. وقراءة مثل هذا الكم الهائل من الآيات وتفسيرها يحتاج إلى جهد غير يسير ولقد تعاظمت أهمية البحث بقيام دولة إسرائيل على الأرض المقدسة ضمن مؤامرة دولية إشتكت فيها قوى دولية وإقليمية عديدة مما يزيد في أهمية الموضوع ولذا كان إختياري لقصة البقرة التي تمثل نموذجا لمؤامرات يهود تفصيلا. ويكفي دلالة على أهمية البحث أن أكبر سورة في القرآن الكريم سميت بسورة البقرة والتي تمثل نموذجا عمليا تطبيقيا لتعنت يهود ومؤامراتهم في جزء كبير من سورة البقرة.

وهدف من البحث هو تحليل جوانب المؤامرة اليهودية ورسم خطأ واضحا لمواجهتها بتوجيه من كتاب الله عز وجل.

أهمية البحث أنه لا سبيل لفهم مؤامرة يهود إلا بالرجوع لكتاب الله عز وجل الذي يفضحهم ويفضح خططهم بل والحقيقة لا سبيل نحن المسلمون بإمكانياتنا البشرية أن نفصح مؤامراتهم فضلا عن أن نواجهها وذلك في قوله تعالى: {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)} [إبراهيم: 46].

و قوله تعالى "وعند الله مكرهم " أي لا يحيط بمكرهم ودقائقه إلا الله عز وجل وعليه وإن أتقى الخلق على الإطلاق وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاطبه ربنا بقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1)} [الأحزاب: 1].

وقال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية: {ولا تطع الكافرين} أي الممانعين {والمنافقين} أي المصانعين في شيء من الأشياء لم يتقدم إليك الخالق فيه بأمر وإن لاح لائح خوف أو برق بارق رجاء، ولا سيما سؤالنا في شيء مما يقترحونه رجاء إيمانهم مثل أن تعين لهم وقت الساعة التي يكون فيها الفتح، فإنهم إنما يطلبون ذلك استهزاء، قال أبو حيان: وسبب نزولها أنه روي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم المدينة كان يحب إسلام اليهود، فتابعه ناس منهم على

النفاق، وكان يلين لهم جانبه، وكانوا يظهرون النصائح من طرق المخادعة، فنزلت تحذيراً له منهم، وتنبهها على عداوتهم - انتهى¹.

وعليه فإن كل الأساليب التي إتخذت لمحاربة يهود بغير التوجه إلى الله أثبت الواقع فشلها في المواجهة ولا سبيل إلا بالعودة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

أولاً_ أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في التالي:

1. تثوير علم التفسير لواقع الأمة الإسلامية لتعيش واقع إسلاميا على هدي كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم.

2. الخروج من المصطلحات الإسرائيلية والرد على الفلاسفة والفرق الضالة مثل المعتزلة وغيرهم، والتي أدت إلى فهم جزئي للقرآن الكريم بحيث ضاع الموضوع الرئيس للقرآن الكريم.

ثانياً_ أسباب إختيار البحث:

إن الأمة العربية والإسلامية واجهت وتواجه عدوانا يهوديا بإمتياز في كل بلاد المسلمين بصورة مباشرة أو غير مباشرة ويجب التفتن لمواطن الخلل والتي يلج فيها يهود في مؤامراتهم وأشكال المؤامرة اليهودية متعدد ولذا شرحت أسماء سورة البقرة وعلاقته بقصة البقرة لمعرفة محاور سورة البقرة والتي تدور عليها السورة .فقصة البقرة موجودة في سورة البقرة وهي ليست إلا من باب حكمة الله العزيز فوجب فهم السياق العام أولا لسورة البقرة لوضع قصة البقرة في موضعها ثم

¹ الإمام البقاعي رحمه الله في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة الطبعة الثانية 1992 ج 15 ص 276

بحثت في مواضيع قصة البقرة وعلاقة كل موضوع مع قصة البقرة ومن ثم إنتقلت إلى قصة البقرة وعلاقتها بما سبقها وبما تلاها من الآيات ، ثم إنتقلت إلى شرح مكانة سورة البقرة وكيفية شرحها لأساليب خبيثة ليهود إنطلقت حتى على بعض دعاة مسلمين وذلك شرحا لقوله صلى الله عليه وسلم "لا تستطيعها البطلة"، ثم إنتقلت إلى شرح أهمية سورة البقرة وإهتمام الصحابة والرسول صلى الله عليه وسلم بها، ثم إنتقلت من البحث في عموميات سورة البقرة إلى خصوصية قصة البقرة فأخذت التفاسير الذي شرحت القصة ثم إنتقلت لأهم صفات اليهود التي كشفتها قصة البقرة.

ثالثاً_ منهج البحث:

تم الاعتماد على عدة مناهج بحثية أهمها نظم الدرر في تناسب الآيات والصور للإمام البقاعي، لعمق تحليله لمعاني القرآن الكريم، وربطه بالمناسبات، وكذلك الإعتماد على المنهج الوصفي التحليلي.

رابعاً_ مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أن عددا هائلا من علماء التفسير فسر قصة البقرة التي وردت في سورة البقرة ضمن واقع خلافة إسلامية قائمة فكان التفسير على أساس قصة تاريخية وردت في تاريخ بني إسرائيل، لكن هذه القصة لها تطبيقاتها الواقعية التي نستفيد منها في مواجهتنا لمؤامرات بني إسرائيل في أيامنا الحاضرة. وهذه القصة تتكلم عن إحياء الامة الإسلامية وإستعادة الخلافة والتي لم تكن مشكلة علماء التفسير لوجود الدولة الإسلامية في عصورهم . بعبارة أخرى إن التفسير في أيامنا هذه يجب أن موضوعيا حتى نوظف هذا التفسير في معركتنا مع يهود ومن ثم إنتقلت إلى التطبيقات العملية لقصة البقرة في السيرة النبوية والأحداث المعاصرة في الارض المقدسة وشرحت أحداث الأرض المقدسة كأمثلة عملية تطبيقية لقصة البقرة ، ومن

ذلك محاولة إغتيال الأستاذ خالد مشعل وحرب الفرقان في غزة والتي تسميها إسرائيل حرب الرصاص المسكوب والانتخابات التشريعية في الأرض المقدسة ثم أنهيت الفصل الرابع و الأخير من فصول البحث بمتطلبات النصر و المحافظة عليه وهو بمثابة بند التوصيات في هذا البحث.

خامساً: أسئلة البحث:

تكمن أسئلة البحث في التالي:

1. هل تنطبق آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن بني إسرائيل على واقع بني إسرائيل المعاصر، وما هي العبر والمزايا التي نستفيد منها من تطبيق هذه الآيات؟
2. معرفة مدى ما يجري للأمة الإسلامية في الوقت المعاصر في ضوء الآيات والسور وأحداث السيرة؟
3. ما مدى تأثير سورة الشعراء لمعركتنا الإعلامية مع العدو؟
4. ما مدى تطبيق الشورى في أساسيات الحكم، وهل هي ملزمة أم مُعلمة؟
5. ما أسباب عزوف الإسلاميين عن مناصب الدولة، وهل هو هدف من أهداف الإسلاميين؟
6. ما موقع أخوة الإسلام في مواجهة يهود وأعداء الله؟
7. ما حقيقة كتاب أحداث بروتوكولات حكماء صهيون ؟
8. ما السبيل لمقاومة يهود والتطبيع معهم؟
9. ما أهمية وجود القيادة الربانية في العمل الإسلامي؟
10. كيف نفهم المستقبل صراعنا مع اليهود في ضوء الكتاب والسنة؟
11. ما مدى تقيمنا لفهم كتاب الله عز وجل في صراعنا مع يهود؟

سادساً_ حدود البحث:

البحث محدود بالنصوص الموجودة في كتب التفسير والسيرة مع عدم الإستغراق في الواقع السياسي لإسرائيل وأحداثها المتلاحقة لأن ذلك سيشتت الفكرة المطلوب توصيلها.

الفصل الأول

أسماء وأهم القضايا التي تناولتها سورة البقرة وعلاقتها بقصة البقرة

الف - أول

أسماء وأهم القضايا التي تناولتها سورة البقرة وعلاقتها بقصة البقرة

المبحث الأول: أسماء سورة البقرة ودلالات كل إسم وعلاقة كل إسم بقصة البقرة

المبحث الثاني : مواضيع سورة البقرة وعلاقتها بقصة البقرة

المبحث الثالث: علاقة قصة البقرة وترابطها مع سورة البقرة

المطلب الأول: آيات التمهيد لقصة البقرة ولقد علمتم الذنب إعتدوا منكم في السبت

المطلب الثاني: الآيات التي أعقبت قصة البقرة "أتحدثونهم بما فتح الله عليكم "

المبحث الأول

أسماء سورة البقرة ودلالات كل إسم وعلاقة كل إسم بقصة البقرة

حيث أن قصة البقرة تقع في سورة البقرة وتسمى سورة البقرة كلها بإسم القصة التي نحن بصدددها مما يعني عظم وأهمية القصة بتسمية أكبر في القرآن الكريم بإسمها ، وعليه فإن أسماء سورة البقرة دالة بشكل محتوى السورة وقصة البقرة التي نحن بصدددها هي جزء من هذه السورة العظيمة والتي إشتهرت بإسم هذه القصة ولفهم هذه القصة يكون التمهيد بمعرفة معنى سورة ودلالات كل إسم من أسماء سورة البقرة والمتعلق منها بقصة البقرة نفسها

أسماء سورة البقرة ودلالات كل إسم وعلاقة كل إسم بقصة البقرة .

أولا معنى سورة وسرد لأسماء سورة البقرة

ما معنى سورة ابتداء؟

قال الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير السورة قطعة من القرآن معيناً بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة بإسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه

معاني آيات تلك السورة، ناشئ عن أسباب النزول، أو مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة².

وأضاف الطاهر بن عاشور ووجه تسمية الجزء المعين من القرآن سورة قيل مأخوذة من السور بضم السين وتسكين الواو وهو الجدار المحيط بالمدينة أو بمحله قوم زادوه هاء التانيث في آخره مراعاة لمعنى القطعة من الكلام وتسوير القرآن من السنة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان القرآن مقسما إلى مائة و أربع عشرة سورة بأسمائها ، وقد أجمعت الأمة على عدد سور القرآن³ وهذا يشير إلى الترتيب في فهم القرآن الكريم وعليه يصبح فهم معنى أسماء السور مهما لأن السورة تدور معانيها حول إسمها بحسب ما أفاد به الطاهر بن عاشور رحمه الله فسورة البقرة التي تحوي قصة البقرة لها أسماء عدة كما ورد في كتب التفسير، والسؤال لماذا البحث في كل أسماء السورة كاملة ولا تقتصر على إسم واحد ؟. أقول والله أعلم إن كل إسم من أسماء سورة البقرة يشكل محورا تتمحور حوله آيات السورة فالقرآن الكريم حمّال للأوجه فكل إسم لسورة البقرة يحمل معان مختلفة غيره من الأسماء كما وإن بداية كل علم تعلم الأسماء فهو الأساس بالفهم ولذا ورد قوله تعالى في بدايات تعليم آدم عليه السلام وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) [البقرة: 31] والأسماء جمع إسم وهو في اللغة يدل على معنى يفهمه ذهن السامع فيختص بالألفاظ سواء كان مدلولها ذاتا وهو الأصل الأول ، او صفة أو فعلا فيما طرأ على البشر الإحتياج إليه في إستعانة بعضهم ببعض فحصل من ذلك ألفاظ مفردة أو مركبة وذلك هو معنى الإسم عرفا⁴.

² الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ج1 ص 84

³ التحرير والتنوير ج1 ص 85

⁴ الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير دار سحنون للنشر تونس ج1 ص 408

والثاني سنام القرآن ، لقوله صلى الله عليه وسلم (إن لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة) والثالث سورة الكرسي ، لإشتمالها على آية الكرسي التي هي أعظم آيات القرآن والرابع: الزهراء ، لقوله (إقرؤوا الزهراوين البقرة و آل عمران) . انتهى بتصرف .

5 الإمام الفيروزبادي من كتابه بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز المكتبة العلمية بيروت ج1
ص 134

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ السُّورَةُ الَّتِي تَذَكَّرُ فِيهَا الْبُقْرَةَ فَسَطَاطَ فَتَعْلَمُوهَا فَإِنْ تَعْلَمَهَا بَرَكَةٌ وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ وَلَنْ تَسْتَطِيعَهَا الْبَطْلَةُ قِيلَ وَمَا الْبَطْلَةُ قَالَ السَّحَرَةُ
قُلْتُ غَرِيبٌ بِهَذَا اللَّفْظِ وَالَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي فَصَائِلِ الْقُرْآنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَقْرَعُوا سُورَةَ الْبُقْرَةِ فَإِنْ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعَهَا الْبَطْلَةُ قَالَ مُعَاوِيَةُ بَلَّغْنِي أَنْ
الْبَطْلَةُ السَّحَرَةُ ائْتَنَّهُ . وَبِهَذَا اللَّفْظِ رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَكَذَلِكَ أَحْمَدُ وَابْنُ
رَاهَوَيْهِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالدَّارِمِيُّ وَالْبَزَّازُ فِي مَسَانِيدِهِمْ . وَرَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ وَالْبَغَوِيُّ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ كَذَلِكَ

في بطن المطية الحاملة والكتاب الذي هي سورته هو أعلى ما في الحامل للأمر وهو الشرع الذي أتاهم به رسولهم (صلى الله عليه وسلم ⁷).

ولتفصيل كلام الفيروزبادي والبقاعي رحمهما الله عن أسماء السورة كما يلي :

ثانيا: معنى سورة البقرة :

سورة البقرة سميت بإسم القصة التي نحن بصددھا . وعليه فقصة البقرة في سورة البقرة تتحدث عن معجزة تحققت وإحياء حدث بمباشرة مسلمين من بني إسرائيل وليس بمباشرة نبي أو رسول . فهي إرتقاء بمستوى الأمة الإسلامية لتقع معجزة بأيدي أفراد من الامة المسلمة . وإن كانت قصة البقرة معجزة بني إسرائيل بإحياء نفس ميتة فإن معجزة الأمة الإسلامية هي إحياء أمة بكتاب الله فهي إرتقاء في ممارسات المسلمين ليكونوا مبادرين في تغيير الواقع المحيط بهم بهدي وتفصيل من الكتاب الذي بين أيديهم وأفضل ما يشرح القرآن هو القرآن فقد ورد في إحياء أمة الإسلام بكتاب الله قوله تعالى

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) [آل عمران]

قوله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفسقون (110)

وروى أبو أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي) .

⁷ نظم الدرر ج 1 ص 58 البقاعي دار الكتاب الإسلامي القاهرة

وفي مسند أبي داود الطيالسي⁸ عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر . قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أتدرون أي الخلق أفضل إيمانا) قلنا الملائكة قال: (وحق لهم بل غيرهم) قلنا الانبياء قال: (وحق لهم بل غيرهم) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني يجدون ورقا فيعملون بما فيها فهم أفضل الخلق إيمانا) .

وروى صالح بن جبیر عن أبي جمعة قال: قلنا يا رسول الله، هل أحد خير منا ؟ قال: (نعم قوم يجيئون من بعدكم فيجدون كتابا بين لوحين فيؤمنون بما فيه ويؤمنون بي ولم يروني) . وقال أبو عمر: وأبو جمعة له صحبة واسمه حبيب بن سباع، وصالح بن جبیر من ثقات التابعين.

وروى أبو ثعلبة الخشني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن أمامكم أياما الصابر فيها على دينه كالتقايض على الجمر للعامل فيها أجر خمسين رجلا يعمل مثله عمله) قيل: يا رسول الله، منهم ؟ قال: (بل منكم) .

قال أبو عمر: وهذه اللفظة " بل منكم " قد سكّت عنها بعض المحدثين فلم يذكرها.

وقال عمر بن الخطاب في تأويل قوله: " كنتم خير أمة أخرجت للناس " قال: من فعل مثل فعلكم كان مثلكم..... وروي أن عمر ابن عبد العزيز⁹ لما ولي الخلافة كتب إلى سالم

⁸ الطيالسي، أبو داود. سليمان بن داود الطيالسي. مُحدّث، من الحفاظ المتقنين، فارسي الأصل. سكن البصرة، ورحل إلى بلدان كثيرة. روى عن جرير بن حازم، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وشعبة، وسفيان الثوري، وغيرهم. روي عنه أنه قال: كتبت عن ألف شيخ ويكيبيديا الميلاد 751 م، البصرة، العراق الوفاة 819 : م الاهتمام الرئيسي : علم الحديث،

https://ar.wikipedia.org/wiki/أبو_داود_الطيالسي

⁹ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (61هـ\681م - 101هـ\720م)، هو ثامن الخلفاء الأمويين، عمر الثاني. ولد سنة 61هـ في المدينة المنورة، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة، وكان شديد الإقبال على طلب العلم. وفي سنة 87هـ، ولّاه

بن عبد الله¹⁰ أن اكتب إلي بسيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها ، فكتب إليه سالم : إن عملت بسيرة عمر ، فأنت أفضل من عمر لأن زمانك ليس كزمان عمر ، ولا رجالك كرجال عمر قال : وكتب إلى فقهاء زمانه ، فكلهم كتب إليه بمثل قول سالم¹¹

إن مما ذكره القرطبي رحمه الله أنفا أن إحياء الأمة يحتاج لعمل جماعي وليس لعمل فردي مطلقا وهذا ممكن إستباطه من قوله تعالى يصف بوصفه لهؤلاء الناجين بكلمة "أمة" يؤمها الضعيف وهم كالأم لكل مسلم ويؤم بعضهم بعضا فيتعاونوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وبعبارة أخرى إن الأمة التي ستحيي أمة الإسلام هي جماعة تتعاون فيما بينها لتحقيق هدف إصلاح الأمة والله أعلم . إن الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتراجع في نفوس المسلمين لبعدهم عن جيل الصحابة رضوان الله عليهم وهذا ما يؤكد الحديث الذي أورده القرطبي رحمه الله أنفا حيث أورد طرف الحديث "خير الناس قرني "

الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة 91هـ، فصار والياً على الحجاز كلها، ثم عُزل عنها وانتقل إلى دمشق. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة قرّبه وجعله وزيراً ومستشاراً له، ثم جعله ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة.

› https://ar.wikipedia.org/wiki/عمر_بن_عبد_العزیز

10 ولد أبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي في المدينة المنورة في خلافة عثمان بن عفان، وأمه أم ولد، وقد اختلف في كُنْيَتِهِ، فقيل أبو عمر، وقيل أبو عبد الله، وقيل أبو عبيد الله، وقيل أبو عمير وقد سمّاه أبوه سالمًا تيمُّناً بسالم مولى أبي حذيفة. كان سالم بن عبد الله شديد الأدمة، حسنَ الخُلُق، شديد الشبه بجده عمر بن الخطاب ، جمع سالم قدراً كبيراً من العلم، حتى صار أهل المدينة يستفتونه في شئونهم. كما كان أحد فقهاء المدينة السبعة الذين إذا جاء قاضي المدينة مسألة، لا يقضي القاضي فيها حتى يرفعها إليهم، فينظرون فيها فيصدرون فيها فتواهم. وقد عاش سالم بن عبد الله حياة من الزهد، حيث قال مالك بن أنس: «لم يكن أحد في زمان سالم أشبه بمن مضى من الصالحين، في الزهد والفضل والعيش منه»،

› https://ar.wikipedia.org/wiki/سالم_بن_عبد_الله_بن_عمر_بن_الخطاب

¹¹ القرطبي الجامع لأحكام القرآن المكتبة الوقفية ج4 ص151

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ) .¹² قَالَ إِبْرَاهِيمُ: "وَكَاثُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ، وَالْعَهْدِ" . قال النووي¹³ رحمه الله: "الصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الصَّحَابَةُ ، وَالثَّانِي : التَّابِعُونَ ، وَالثَّلَاثُ : تَابِعُوهُمْ"¹⁴.

وعلى هذا فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خير القرون والقرآن يتنزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم لكن هذا التأثير الشخصي لوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم كبشر بين هذه المجموعة الكريمة بدا يضمحل بشهادة الحديث الصحيح ولكن عودة الدين إلى سابق عهده كان ويكون بمراجعة كتاب الله الموجود بين أيدينا فهو كواحد من أولي العزم من الرسل بيننا يهدينا إلى الطريق السليم ويوجهنا في كل صغيرة وكبيرة من أمور ديننا وذلك بدون وجود الرسول صلى الله عليه وسلم حيا بين المسلمين . وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات فسننته وسيرته وأحاديثه محفوظة لنا لنتأسى بها

فعودة الأمة الإسلامية بهذا الكتاب هي الأعجب و لذا سميت سورة البقرة بإسم هذه القصة العجيبة والتي تتكلم عن معجزة ربانية للإحياء بأيدي أفراد من أمة الإسلام كما ورد في الحديث ما يؤكد نفس المعنى .

صحيح البخاري دار إحياء التراث العربي بيروت ط الأولى 2001م رقم الحديث 2652¹²
صحيح مسلم دار إحياء التراث العربي بيروت ط الأولى 2000م رقم الحديث 2533
¹³ أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي المشهور باسم "النووي" هو مُحدِّث وفقيه ولغوي مسلم، وأحد أبرز فقهاء الشافعية، اشتهر بكتبه وتصانيفه العديدة في الفقه والحديث واللغة والتراجم، كرياض الصالحين والأربعين النووية ومنهاج الطالبين والروضة، ويوصف بأنه محرِّر المذهب الشافعي ومهذِّبه، ومنقَّحه ومرتبّه، الميلاد: أكتوبر 1233، نوى، سوريا الوفاة 21 ديسمبر 1277، نوى، سوريا

الإمام النووي "شرح صحيح مسلم" دار إحياء التراث العربي بيروت ط 3 سنة 1984م ج 16 ص 85¹⁴

2888 - وددت أني لقيت إخواني ، فقال أصحابه : أوليس نحن إخوانك ؟ قال : أنتم أصحابي و لكن إخواني الذين آمنوا بي و لم يروني¹⁵ . "

قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " 6 / 904: فبحسب نص الحديث أعلاه فإن أصحاب رسول الله كانوا أصحابه وإخوانه الذين يأتون من بعده ولم يروه . لكنهم أي إخوانه وجدوا كتابا بين دفتين وآمنوا به . فقام إخوان رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعادة الحياة للأمة الإسلامية بالكتاب الموجود بين يديها . فتم إحياء الأمة الإسلامية في آخر الزمان بكتاب الله عز وجل وما الصحوة الإسلامية إلا دليلا على صدق هذه التسمية وصدق هذا الإستنباط

لقد أحيا أفراد بني إسرائيل بقرة حين ضربوها ببعضها وكانوا أفرادا لكن الأمة الإسلامية أحييت أمة وديننا وجهادا وهذا الإحياء للأمة الإسلامية ورد معناه في قوله تعالى : أَوْمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122) [الأنعام : 122] .

أورد الإمام الطبري¹⁶ في تفسير هذه الآية : "قال أبو جعفر: وهذا الكلام من الله جل ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلهم في أكل

¹⁵ حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف كسابقه، أخرجه أبو يعلي (3390) ، والطبراني في "الأوسط" (5490) من طريق أبي عبيدة الحداد، عن محتسب بن عبد الرحمن، عن ثابت، عن أنس، وإسناده ضعيف لضعف محتسب، وله شاهد من حديث أبي هريرة، سلف برقم (7993) ، وهو صحيح.

¹⁶ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري، (224هـ - 310هـ - 839م - 923م)، مفسر ومؤرخ وفقه، ولقب بإمام المفسرين، ولد بأمل عاصمة إقليم طبرستان، ارتحل إلى الري وبغداد والكوفة والبصرة، وذهب إلى مصر فسار إلى الفسطاط في سنة 253هـ وأخذ على علمائها علوم مالك والشافعي وابن وهب، ورجع واستوطن بغداد، قال الخطيب البغدادي «كان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم»، غرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، له

الميتة، بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به، وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافرًا، فهذه جلّ ثناؤه لرشده، ووقفه للإيمان. فقال لهم: أطاعة من كان ميتًا، يقول: من كان كافرًا؟ فجعله جلّ ثناؤه لانصرافه عن طاعته، وجهله بتوحيده وشرائع دينه، وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته، بمنزلة "الميت" الذي لا ينفع نفسه بنافعه، ولا يدفع عنها من مكروه نازلة = (فأحييناه)، يقول: فهديناه للإسلام، فأنعشناه، فصار يعرف مضارّ نفسه ومنافعها، ويعمل في خلاصها من سَخَطِ الله وعقابه في معاده. فجعل إبصاره الحق تعالى ذكره بعد عمّاه عنه، ومعرفته بوحدانيتها وشرائع دينه بعد جهله بذلك، حياة وضياء يستضيء به فيمشي على قصد السبيل، ومنهج الطريق في الناس (كمن مثله في الظلمات)، لا يدري كيف يتوجه، وأي طريق يأخذ، لشدة ظلمة الليل وإضلّاله الطريق. فكَذلك هذا الكافر الضال في ظلمات الكفر، لا يبصر رشدًا ولا يعرف حقًا، = يعني في ظلمات الكفر. يقول: أقطّاعة هذا الذي هديناه للحق وبصّرناه الرشاد، كطاعة من مثله مثل من هو في الظلمات متردّد، لا يعرف المخرج منها، في دعاء هذا إلى تحريم ما حرم الله، وتحليل ما أحل، وتحليل هذا ما حرم الله، وتحريمه ما أحل؟

العديد من التصانيف، يقول ياقوت الحموي: «وجدنا في ميراثه من كتبه أكثر من ثمانين جزءًا بخطه الدقيق»، ومنها: اختلاف علماء الأمصار، وهو أول كتاب ألفه الطبري، وكان يقول عنه «لي كتابان لا يستغني عنهما فقيه: الاختلاف واللطيف»، وألف جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري وتاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري وتهذيب الآثار، وذيل المذيل، ولطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام، وكتاب القراءات، وصريح السنة، والتبصير في معالم الدين، وتوفي في شهر شوال سنة 310هـ، ودفن ببغداد.

https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_بن_جرير_الطبري

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين بأعيانها معروفين، أحدهما مؤمن، والآخر كافر. ثم اختلف أهل التأويل فيهما، فقال بعضهم: أما الذي كان ميتا فأحياه الله فعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها: فأبو جهل بن هشام¹⁷

لقد أحيا الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصار مبصرا بما ينفعه ويضره بل وأصبح فاروق رضي الله عنه فأصبح يفرق بين الحق والباطل ووافق القرآن الكريم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدة مواضع منها مقولته في قتل أسرى بدر ومنها عدم الصلاة على عبدالله بن سلول وكان أمير المؤمنين الراشد في عهده كانت الفتوحات والإنصارات هذا الذي أحياه الله بكتاب الله أما الذي هو في الظلمات فهو أبوجهل بن هشام ويكفي لمعرفة ضلال هذا الكافر والذي وصف بالميت بالآية السابقة ما حدث في معركة بدر مما رواه ابن كثير في البداية والنهاية .

(161/ 4) البداية والنهاية ط هجر

عن يونس عن ابن إسحاق حدثني الزهري قال: حدثت «أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع منه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا. ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق،

¹⁷ تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية

1997 ج 5 ص 331

فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة. ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة، أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد. فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها. فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف؛ أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبدا، ولا نصدقه. فقام عنه الأخنس بن شريق»¹⁸.

لقد كان القرآن الكريم من الروعة أن صبر زعماء قريش يستمعون له طوال الليل كل في مكان بعيد عن صاحبه منجذبين لحلاوة كلامه متأثرين أيما تأثر وذلك لأنهم عرب أقحاح بلغاء يقدرّون البلاغة حق قدرها . لكن عندما حانت لحظة الحقيقة أبى أبا جهل أن يسلم حرصا على موقع قبيلته بزعمه . وهكذا كل كافر يسمعون كلام الله { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82) } [الإسراء: 82] .

لقد كان عمر بن الخطاب وأبو جهل بن هشام فكان تأثير القرآن الكريم هو الذي فرق بين مصيريهما وهكذا فنحن نتكلم عن إحياء الأمة الإسلامية بكتاب الله والفارق بين الوضعين قبل وبعد الإحياء كالفرق بين الحي والميت . فبالقرآن الكريم تحيي أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتحيي الدين بتوجيه من الكتاب الجامع الخاتم وهو القرآن الكريم .

¹⁸ ابن كثير البداية والنهاية دار الفكر بيروت ج3 ص 64

قال تعالى في سورة فصلت : وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ 39 - فصلت

قال البقاعي رحمه الله في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"¹⁹

(ومن آياته) أي الدالة على عظم شأنه وعلو سلطانه (أنك ترى الأرض) أي بعضها بحاسة البصر وبعضها بعين البصيرة قياساً على ما أبصرته ، لأن الكل بالنسبة إلى القدرة على حد سواء . ولما كان السياق للوحدانية ، عبر بما هو أقرب إلى حال العابد ما مضى في الحج فقال : (خاشعة) أي يابسة لا نبات فيها فهي بصورة الدليل الذي لا منعة عنده لأنه لا مانع من المشي فيها لكونها متطامنة بعد الساتر لوجهها بخلاف ما إذا كانت مهتزة رابية متزخرفة تختال بالنبات . ولما كان إنزال الماء مما استأثر به سبحانه ، فهو من أعظم الأدلة على عظمة الواحد ، صرف القول إلى مظهر العظمة فقال : (فإذا أنزلنا) بما لنا من القدرة التامة والعظمة (عليها الماء) من الغمام أو سقناه إليها من الأماكن العالية وجلبنا به إليه من الطين ما تصلح به للإنبات وإن كانت سبخة كأرض مصر (اهتزت) أي تحركت حركة عظيمة كثير سريعة ، فكانت كمن يعالج ذلك بنفسه (وربت) أي تشققت فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسما في الجو مغطياً لوجهها ، وتشعبت عروقه ، وغلظت سوقه ، فصار يمنع سلوكها على ما كان فيه من السهولة ، وصار بحسن زيه بمنزلة عليها فطرها بمياه المعارف

¹⁹ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور هو كتاب من كتب تفسير القرآن الكريم، ألفه الإمام برهان الدين البقاعي (809 هـ - 885 هـ)، يعد الكتاب من الكتب الجليلية، وضع فيه مصنفه علماً لم يسبقه إليه أحد، ذكر فيه مناسبات ترتيب السور والآيات، أطال فيه التدبر وأنعم فيه التفكير لآيات الكتاب، وقد شمل في كتابه على أحد جوانب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وبين الربط بين جميع أجزاء القرآن، ووجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة من القرآن الكريم

https://ar.wikipedia.org/wiki/نظم_الدرر_في_تناسب_الآيات_والسور

فظهرت فيها بركات الندم وعفا عن أربابها ما قصرُوا في صدق القدم وأشرقت بحلى الطاعات وزهت بملابس القربات ، وزكت بأنواع التجليات.

ولما كان هذا دليلاً مشاهداً على القدرة على إيجاد المعدوم ، وإعادة البالي المحطوم ، أنتج ولا بد قوله مؤكداً لأجل ما هم في من الإنكار صارفاً القول عن مظهر (39) [فصلت : 39] العظمة إلى ما ينبه على القدرة على البعث ولا بد : (إن الذي أحيأها) بما أخرج من نباتها الذي كان بلي وتحطم وصار تراباً (لمحيي الموتى) كما فعل بالنبات من غير فرق.

ولما كانوا مع إقرارهم بتمام قدرته كأنهم ينكرون قدرته لإنكارهم البعث قال معللاً مؤكداً : (أنه على كل شيء قدير) لأن الممكنات متساوية الأقدام بالنسبة إلى القدرة ، فالقادر قدرة تامة على شيء منها قادر على غيره²⁰. فهو بقدرته سبحانه وتعالى على إحياء الأرض الخاشعة الذليلة التي لا تقاوم أحدا إذا أراد وطؤها إلى أرض مزروعة بها النبات يصعب وطؤها وكذلك كتاب الله الذي يحول الأمة الخائفة الذليلة التي لا تقاوم عدوا إذا غزاها إلى أمة مجاهدة صابرة مصابرة تقهر أعداءها قادر على إحياء الموتى والجامع بين التشبيهين هو أن حياة الأمة والمزروعات يحتاج لزمان لظهور الزرع وحياة الأمة . والقرية الميتة ويتم إحيائها بكتاب الله حين يتدارس المسلمون الكتاب ويدرسونه لغيرهم من أبناء الأمة فيتحول أبناء الإسلام لربانيين يعلمون الكتاب ويتدارسونه وهؤلاء هم قادة الأمة ويتحول عامة المسلمين إلى ربيين لا يضعفوا ولا يستكينوا لأعداء الله {وَكَايَيْنُ مِنْ نَبِيِّ قَاتَل مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: 146] .

قد يقول قائل أنني أكثر من ضرب الأمثلة في إثبات قضية الإحياء للأمة المسلمة بالقرآن الكريم فلماذا كل هذه الأمثلة ؟ و يكفي مثال واحد . أقول وبالله التوفيق أن هذه قضية تعثر

²⁰ البقاعي نظم الدرر دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة الطبعة الثانية 1992 ج17 ص 198

بها كثيرون من دعاة الإسلام فلجأوا ينهلون من علوم الإدارة في الغرب ويترجمون كتب الغرب في هذا الموضوع على إعتبار أن ذلك سيكون سببا في نهضة الأمة . أقول لقد حدث أن كنت أدرس كتب أمريكية متعلقة بموضوع المنظمات الغير ربحية²¹ وكان مرجعي في الدراسة لهذا الموضوع هو كتاب²² The nonprofit Organization Handbook وكنت أترجم مقالات من مصادر متنوعة في هذا الموضوع . فذهبت متحمسا لزيارة الدكتور عمر سليمان الأشقر²³ رحمه الله . وهو شيعي وأستاذي . وللتعريف فالشيخ عمر سليمان الأشقر كان تلميذا للشيخ بن باز رحمه الله في السعودية . وكنت متحمسا في عرضي للمواضيع التي عرضتها على الشيخ . وما إن إنتهيت من حديثي حتى فاجأني رحمه الله بتعليقه فقال رحمه الله : "إن كل هذه المعلومات موجودة بالقرآن الكريم " طبعا لم أجرو على الرد على الشيخ عمر الأشقر رحمه الله . حيث أكن له إحتراما وتقديرا عاليين جدا . ولذت بالصمت حينها . في ذلك كنت كخريج من جامعة أمريكية متأثرا جدا بالثقافة الأمريكية . وكان هذا الحديث في الكويت في سنة 1989 . طبعا تجاهلت توجيه الشيخ رحمه الله في ذلك الوقت ولكن بعد عشر سنوات عندما بدأت أدرس تفسير القرآن الكريم في مسجد الراشدين بالطائف وكان من المستمعين أساتذة

²¹ إن المنظمات الغير ربحية وتعرف بكيونونة غير تجارية أو مؤسسات لا تسعى للربح وهذه المنظمات مكرسة لهدف إجتماعي خاص او لخدمة وجهة نظر مشتركة . وبعبارة إقتصادية إنها منظمة تستعمل مواردها أو عائداتها لتحقيق هدفها بدلا من توزيع دخلها على الأعضاء المشاركين في المنظمة والعلم القائم على إدارة مثل هذه المنظمات هو علم Nonprofit organization science هو علم متخصص في الدراسات بالمنظمات الغير ربحية ويشمل الدراسات المتعلقة بالإدارة والتخطيط وتفعيل المجموعات وتأطير العناصر المؤيدة للفكرة وتشمل هذه المنظمات الغير ربحية الأحزاب السياسية والجمعيات ذات الهدف الخاص وهو العلم الذي قام بترجمة أدبياته العديد من المدرسين الإداريين في العالم العربي ونسبوا هذه المحاضرات لأنفسهم دون ذكر المرجع الأصلي

²² Tracy D. Connors , The Nonprofit Organization Handbook , by McGraw-Hill Education , 2nd edition April 1988

²³ الشيخ عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر (1940-10 أغسطس 2012) أحد تلاميذ الشيخ بن باز وأحد شيوخ علماء السلف البارزين شغل منصب أستاذ في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية في عمان الأردن له العديد من المؤلفات الإسلامية

https://ar.wikipedia.org/wiki/عمر_بن_سليمان_الأشقر

جامعات فضلاء من أمثال الشيخ البروف حسن البيلي رحمه الله وهو وزير عدل سابق في السودان ونائب رئيس المحكمة الدستورية وآخرين . وكان يدور النقاش في حلقة القرآن بما لا يستطيعه أحد أن يناقش به خارج السودان . تبين لي بوضوح صحة توجيه الشيخ عمر سليمان الأشقر رحمه الله . وتبين لي بعد ذلك أن القرآن الكريم يحتوي على جوانب عملية هائلة في الإدارة والتخطيط وأسلوب النقاش وكثيرة هي الموضوعات المستنبطة من كتاب الله ومن ذلك الفهم السياسي والإعلامي والإداري لصراعنا مع يهود . و مستنبطات كتاب الله تتفوق على كل ما نترجمه من كتب الغرب . والسبب في ذلك عدم التأني والتروي في دراسة كتاب الله العزيز فنلجأ إلى المعلومات الأسهل وهي الترجمة من كتب غربية والفرق أن المعلومات التي نحصل عليها من الغرب هي معلومات متناثرة لمواضيع شتى والمعاني التي نستقيها من القرآن الكريم مواضيع ملتحة بعضها مع بعض والمعاني في القرآن الكريم معاني "روحا من أمرنا " والروح ترى أثرها ولا تعرف كنهها . فمعاني كتاب الله العزيز معاني متجددة حية أبدا ولا تملها أبدا . بينما المعاني المستقاة من مصادر بشرية معاني بها القصور البشري من حيث الخطأ والتعديل والتطوير الذي لا ينتهي أبدا وذلك بالمقارنة مع أي علم بشري . وعرفت من هذا معنى قوله تعالى : ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) [البقرة : 2] .

قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : (ذلك الكتاب) لعلو مقداره بجلالة آثاره وبعد رتبته عن نيل المطرودين . ولما علم كماله أشار إلى تعظيمه بالتصريح بما ينتجه ويسلزمه ذلك التعظيم فقال (لا ريب فيه) أي في شيء من معناه ولا نظمه في نفس الأمر عند من تحقق بالنظر فالمنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له ، ولم يقدم الظرف لأنه كان يفيد الاختصاص فيهم أن غيره من الكتب محل الريب²⁴ وعليه فإن أي من الكتب التي نترجمها من الغرب فيها ريب والريب كما قال الزبيدي في تاج العروس: " ما رابك أي ما أقلقك وألجأك إليه قال وهكذا

²⁴ البقاعي نظم الدرر دار الكتاب الإسلامي القاهرة الطبعة الثانية 1992 ج 1 ص 80

يرويه بعضهم و(الريب)0الظنة) والشك (والتهمة كالريبة بالكسر) والريب ما رابك من أمر (وقد رابني) الأمر (وأرابني) في لسان العرب"²⁵ والريب كما قال البقاعي رحمه الله :²⁶ (الريب) التردد بين موقعي تهمة بحيث يمنع من الطمأنينة على كل واحد منها.

وعليه كل ما وردنا من علوم من غير كتاب الله يجب تمحيصها لأنها موضع الريب ، وقد حدثت مشكلة مشابهة للعالم الإسلامي عندما إنكفأ المسلمون على ترجمة كتب الفلسفة وغيرها . فأنتجت شبهات إحتاجت لردود زخرت بها المكتبة الإسلامية مبتعدة عن معين القرآن الصافي ،وقد أبدع الدكتور محسن عبدالحميد ²⁷ في شرح الآثار المترتبة على الشبهات التي أدخلتها ترجمات كتب الغرب وان هذا الأثر متكرر في عصرنا بما نترجمه من الإداريات وغيرها من العلوم الغربية وقد قال الدكتور محسن عبدالحميد في موضوع عنوانه "الفكر الإسلامي عبر التاريخ " كما عنوانه الدكتور المهندس خالد فائق العبيدي في كتابه "المنظار الهندسي للقرآن الكريم" حيث ذكر كما يلي :

وضع الإسلام خطاً واضحاً بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، ففي عالم الغيب قدم الإنسان المسلم الكليات الأساسية ودعاه إلى اليقين الكامل بها من خلال براهينها القاطعة ، وحذره من التماذي في الإنجراف العقلي وراء تفصيلاتها التي لا ينبغي عليها عمل ، و لا ترتبط بها حركته الحضارية في الأرض .

²⁵ الزبيدي تاج العروس دار الفكر للطباعة مصرج1 ص 383

²⁶ نظم الدرر ج1 ص80

²⁷ محسن عبد الحميد مفكر وعالم إسلامي 6-وأستاذ في تفسير القرآن الكريم، وله مؤلفات عديدة في الفكر الإسلامي والشريعة وتفسير القرآن الكريم، وشغل منصب أمين عام الحزب الإسلامي العراقي بعد اعلان الحزب في بغداد عام 2003، ثم أصبح رئيس مجلس شورى الحزب الإسلامي العراقي، كما كان عضواً في مجلس الحكم العراقي بعد الغزو الأمريكي للعراق عام 2003م، وشغل منصب رئيس المجلس لشهر آذار من عام 2004م. https://ar.wikipedia.org/wiki/محسن_عبد_الحميد

وكان الصحابة الكرام وتابعوهم منسجمين عقيدياً موحدين فكرياً لأنهم آمنوا بالله وأسمائه الحسنى ، آمنوا برسوله وآمنوا بالحياة الأخرى ، جنتها وجحيمها ، دون أن يكلفوا أنفسهم وراء الهواجس والظنون والخيالات ..فصبوا بعد ذلك طاقاتهم المعنوية والمادية كلها لإعادة صياغة الإنسان وبناء مجتمعه الواقعي الربّاني وإنشاء الحضارة الإسلامية وإلحاق الهزيمة بالطواغيت والظالمين ورفع منار الحق والقوة والحرية في العالم . كانوا يتعاملون مع دنياهم من خلال منهجية الإسلام في الفهم والتخطيط والتوجيه ولذلك فتح الله على أيديهم البلاد وقلوب العباد ونقلوهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، كما قال المسلم الصادق ربي بن عامر امام طاغية الفرس قبيل معركة القادسية الفاصلة لقد تفرغ الجيل الأول الصافي العقيدة المنسجم الفكر إلى نشر الإسلام ومواكبة تغيير الحياة وتربية الإنسان وتخطيط المدن وشق الأنهار وزرع الأشجار وبناء المعامل وتوسيع العمران فكان واقعياً يتفاعل مع الأرض ويتسابق مع الزمن . غير أن رياح التغيير قد عصفت بهدوء البحر الإسلاميوبعد أن كان الفقيه يقدم موضوعاته الموحدة ، تحول إلى دراسة تجزئية كانت تفتقر إلى الوحدة الشمولية ومعرفة القواعد والأصول العامة المرتبطة بها ..وبعد أن كان الفقه والأصول والقواعد علماً واحداً متشابكاً ، يثير العقل و يدفعه إلى الإبداع ومتابعة قضايا الحياة تحول إلى أجزاء مبعثرة تدرس وتحفظ بمعزل كل جزء عن الآخر دون حركة حياة وواقع .. و إنتهى الأمر بالفقه في القرون الأخيرة إلى قطيعة مع الحياة ، لا سيما بعد إحتكاكنا بالمجتمعات الحضارية الغربية الحديثة . فحدث بعد ذلك فراغ كبير انهارت فيه ثقافتنا التشريعية أمام القوانين الغربية الحديثة التي كانت قد إتجهت إلى الحركة الإجتماعية الواقعية والنظرة التي إستنبطت النظريات المتنوعة والممارسة الحيوية المستمرة في الحياة السياسية كلها . وبما أن مجتمعاتنا بدأت تخرج من عصور السكون إلى عص الحركة، وبما أنها نتيجة لعوامل الإحتكاك والتوجيه بدأت تتأثر بالواقع الغربي ، ولما لم تكن عندنا حلول تشريعية واضحة ومواجهة

إسلامية جادة ، إستهلّت الأجيال الحديثة الأخذ المباشر والنقل المحدد من التشريعات الغربية ففقدت مجتمعاتنا الأصالة والتخطيط والواقعية ، وظن الطانن أن كل ذلك حدث لإفتقارنا إلى الحاة التشريعية . ولم يعلموا أن أمتنا تتلك أضخم ثروة تشريعية تبلورت عبر أكثر من ثلاثة عشر قرنا و أنها قد عبرت منذ أيام نابليون بونابرت إلى التشريعات الأوروبية فأثرت في إتجاهاتها وأثرت ثراء عظيما في الوقت الذي كانت تلك الثروة العظيمة عندنا تحت أغطية القرون السميكة وتقدم في المساجد ومجالس العلم المحدود ، أشلاء مبعثرة ، جامدة معدومة الصلة بالمتغيرات الجديدة²⁸

إن ما ذكره الدكتور محسن عبدالحميد أنفا هو الفرق بين الروح الذي هو القرآن الكريم وبين الأجزاء المبعثرة من العلم الذي نستقيه حين يكون يكون المصدر معلومات بشرية أو حين يتجمد التفكير الإسلامي في إطار خلافات فقهية ومذهبية تاركا المصدر المتجدد الحياة و المحيي لمن قرآه وفهمه كتاب الله العزيز وينعكس هذا الموات الفكري على موات في حياة الأمة وتضحياتها وحركتها وذلك كله بسبب عدم تفعيل أخذنا المعلومات من المصدر الأساس للإسلام كتاب الله القرآن الكريم . ولقد حدثت الهزائم الكارثية حين تجمد الفكر الإسلامي وهنا تكمن أهمية قصة البقرة

ثالثا : سورة البقرة سنام القرآن :

²⁸ الدكتور محسن عبدالحميد "أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث " الطبعة الأولى دار الصحوة القاهرة 1984م ص9-16

وقال ابن منظور الإفريقي²⁹ والسنام³⁰ سنام البعير والناقاة : أعلى ظهرها : والجمع أسنمة. وفي الحديث : نساء على رؤوسهن كأسنمة البخت ، هن اللواتي يتعممن بالمقانع على رؤوسهن يكبرنها بها / وهو من شعار المغنيات وهذا التعريف يقتضي أن سورة البقرة بالنسبة للقرآن أعلاه وفي هذا يكون حديث البخاري³¹ عَنْ ابْنِ عُمَرَ³² رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ " ³³

طبعاً علينا ملاحظة أن الإسلام بني على خمس فهذه قواعد للإسلام وليست كل الإسلام فالمبنى يقوم على القواعد لكن القواعد لوحدها ليست المبنى مطلقاً وسورة البقرة أشارت بالتفصيل بعد

²⁹ ابن منظور (1232م - 1311م - م) (630 هـ - 711 هـ - [2]) هو أديب ومؤرخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية. من أشهر مؤلفاته معجم لسان العرب ، هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ولد في شهر محرم عام 630 هـ 1232 م/، وقد اختلفت الأقاويل حول مكان ولادته، قيل بقفصة بتونس، وقيل بطرابلس بليليا، وقيل بمصر. ويعد من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري، تتلمذ على يد عبد الرحمن بن الطفيل، ومرتضى بن حاتم، ويوسف المخلبي، وأبي الحسن علي بن المقيبر البغدادي، والعالم الصابوني. خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، أصيب بالعمى في أواخر سنوات حياته وتوفي في مصر في شهر شعبان عام 711 هـ 1311 م https://ar.wikipedia.org/wiki/ابن_منظور

³⁰ : ابن منظور الإفريقي لسان العرب دار المعارف مصر ج 3 ص 2119 في باب سنم
810 يوليو 20) / (هـ 256 شوال 1 - هـ 194 شوال 13) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري³¹
الجامع الصحيح، المشهور باسم صحيح البخاري، (الذي يعد م). أحد كبار الحفاظ 870 سبتمبر 1 - م
الصحيح وله أجمع أجمع علماء أهل السنة والجماعة أنه أصح أوثق الكتب الستة بعد القرآن الكريم
رحلة بعد رحلة طويلة للقاء العلماء وطلب الكتب وقد أمضى في جمعه وتصنيفه ستة عشر عاماً
اشتهر شهرة واسعة. وسمع من قرابة ألف شيخ، وجمع حوالي ستمائة ألف حديث
محمد بن إسماعيل البخاري https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_بن_إسماعيل_البخاري
(2)

³² عبد الله بن عمر بن الخطاب (10 ق.هـ - 73 هـ) محدث وفقه وصحابي من صغار الصحابة، وابن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وأحد المكثرين في الفتوى، وكذلك هو من المكثرين في رواية الحديث النبوي عن النبي محمد. كان ابن عمر من أكثر الناس اقتداءً بسيرة النبي محمد، ومن أكثرهم تنبُّعاً لأثاره. كما كان قبلة لطلاب الحديث والفتاوى في المدينة المنورة، وطلاب العطايا لما عُرف عنه من سخائه في الصدقات، والزهد في الدنيا.

https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_الله_بن_عمر_بن_الخطاب
صحيح البخاري "دار إحياء التراث العربي" الطبعة الأولى 2001م ص 27 ح 338

تقسيم البشر إلى مؤمن وكافر ومنافق وإلى قصة الإستخلاف في الأرض ثم قصص بني إسرائيل الذين نقضوا العهود وأخلوا بشروط الإستخلاف فاستبدلهم الله تعالى بالمسلمين الذين بدا يشرح لهم قواعد مبنى الإسلام وهي الصلاة والزكاة والحج والصيام ثم بعدما أُرست هذه القواعد للإسلام شرحت جوانب أخرى للإسلام تتضمن نظاما إجتماعيا من الطلاق وغيره وهذا قد شرحته سورة البقرة في أحوال المطلقات في مجموعة من الآيات التي تكلمت عن الطلاق والإنفاق والحيض للذين يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227) وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228) الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحِي بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمَّ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230) [البقرة : 226 - 230] .

كما وتضمنت سورة البقرة آيات عن جوانب أخرى للنظام الإجتماعي غير الطلاق كما يلي :

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220) وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ

آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْتَزِلُوا فِى النِّسَاءِ فِى الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222) [البقرة : 220 - 222] .

فتكلمت الآيات السابقة عن اليتامى ونكاح المشركات والمحيض وهكذا ترى أن سورة البقرة أسست القواعد الخاصة بالإسلام ثم بنت على هذه القواعد النظام الإجتماعي وما يتبعه وأكملت ذروة المبنى بالدعوة للجهاد الممنهج بقصد التحرير والتمكين وهو ذروة سنام الإسلام وهذا التصور للإسلام يؤكد ما ورد في الحديث الشريف كان معاذ بن جبل ³⁴ - رضي الله عنه - جالساً يوماً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلب إليه أن يعلمه أمراً جديداً في دينه، فذكر له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مجموعة من الوصايا النبوية، ثم قال له: (ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)، ³⁵ .

لاحظ أن سورة البقرة سنام القرآن بينما ذكر الحديث أن الجهاد ذروة سنام الإسلام ومما لا شك فيه أن القرآن هو تعليمات الإسلام وذروة سنامهما هو شيء واحد والله أعلم وهو الجهاد. بعبارة أخرى مما يستفاد من الحديث أن ذروة سنام القرآن وسورة البقرة هو الجهاد ولذلك كانت الآيات

³⁴ معاذ بن جبل (المتوفي سنة 18هـ) صحابي وفقه وقارئ قرآن وراوي للحديث النبوي من الأنصار من بني أدى من بني جشم بن الخزرج، أسلم وهو ابن 18 سنة، وشهد بيعة العقبة الثانية، ثم شهد مع النبي محمد المشاهد كلها، واستبقي في مكة بعد فتحها ليُعلم الناس القرآن ويفقههم، ثم بعثه عاملاً له في اليمن بعد غزوة تبوك. بعد وفاة النبي محمد، شارك معاذ في الفتح الإسلامي للشام، وتوفي في الأردن في طاعون عمواس.

https://ar.wikipedia.org/wiki/معاذ_بن_جبل

³⁵ رواه الألباني، في صحيح الترمذي، عن معاذ بن جبل، الصفحة أو الرقم: 2616 ، صحيح

في أواخر سورة البقرة والتي شرحت قصة طالوت كتطبيق عملي للجهاد وما يعتريه من عقبات في الطريق ونهاية طريق الجهاد النصر والإستخلاف في الأرض .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245) [البقرة : 243 - 245] .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248) .

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) .

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (252) .

قد يعترض قائل على ما ذكرناه محتجا بذكر القتال في آيات متفرقة من سورة البقرة كما يلي ومن ذلك قوله تعالى : وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154) [البقرة : 154] .

قال الطاهر بن عاشور³⁶ رحمه الله في كتابه التحرير والتنوير : فالوجه في تفسير هذه الآية أنها تهيئة للمسلمين للصبر على شدائد الحرب ، وتحبيب للشهادة إليهم . ولذلك وقع التعبير بالمضارع في قوله "لمن يقتل في سبيل الله " المشعر بأنه أمر مستقبل وهم الذين قتلوا في وقعة بدر بعيد نزول هذه الآية . انتهى³⁷ وعليه ومن كلام الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله كانت هذه الآية تدخل في سياق التربية والتهيئة لجيل التحرير المستقبلي . فعادة القرآن ان يذكر الأمر إجمالاً ثم يفصله فيما بعد ولهذا قصة طالوت³⁸ تميزت بأنها تفصيل لما أجمل سابقا إضافة إلى أنها تكلمت عن المرحلة النهائية لمباشرة المعركة بعد الإعداد لها والتي إنتهت بالنصر وفتح فلسطين للمسلمين بعد عدة محاولات فاشلة من بني إسرائيل لذات الغرض

³⁶ محمد الطاهر بن عاشور من تونس 1879- أغسطس 1973 عالم فقيه أسرته منحدره من الأندلس ترجع أصولها إلى أشراف المغرب الادارسة تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_الطاهر_بن_عاشور

³⁷ الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير دار سحنون تونس ج2 ص53
³⁸ يعتبر تالوت الاسم القرآني لشاول ، لأنه مالك إسرائيل ، أو جدعون ، مع الإشارة إلى أن القرآن يشير إلى نفس حادثة الشرب من النهر كما هو موجود في كتاب القضاة والعوامل الأخرى المرتبطة بهذا الأخير. https://ar.wikipedia.org/wiki/شاول_الملك

وتلخيصاً لما ذكرناه آنفاً فإن تصورنا للإسلام هو أنه مبنى من عدة طوابق قواعده هي الصلاة والزكاة والحج والصيام . اما الطوابق الأولى للمبنى في النظام الاجتماعي والاقتصادي إلخ والطابق الأخير ذروة سنام المبنى الجهاد والعجيب في هذا التشبيه أنه في حال وجود خلل في القواعد لأي مبني فتظهر التشققات بشكل أكبر في الطوابق العليا . فالشق يكون كبيراً في الطوابق العليا ثم يصغر كلما نزل الناظر للطوابق التي هي أسفل منه

فلو حدث خلل في الصلاة فسيظهر ذلك في الجهاد وما يتبعه بدرجة أشد مما يظهر في النظام الاجتماعي والمالي أورد الإمام القرطبي³⁹ في تفسيره : فَلَمَّا تُؤْفِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ، فَكَانَ النَّاسُ إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ يُصَلِّي لَمْ يَعْذُ بِصَرٍّ أَحَدُهُمْ مَوْضِعَ جَبِينِهِ، فَتُؤْفِي أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ عُمَرُ، فَكَانَ النَّاسُ إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ يُصَلِّي لَمْ يَعْذُ بِصَرٍّ أَحَدُهُمْ مَوْضِعَ الْقِبْلَةِ، فَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَكَانَتِ الْفِتْنَةُ فَتَلَقَّتِ النَّاسُ فِي الصَّلَاةِ يَمِينًا وَشِمَالًا⁴⁰

من هنا نفهم أن إستكمال البناء التعبدية والاجتماعية والاقتصادية هام قبل الدخول في مواجهة عسكرية مع يهود لتحرير فلسطين . والأمور ليست عشوائية في الجهاد بل تحتاج إلى تأني وبناء تربوي يسبق الجهاد فقد أورد الدكتور محسن محمد صالح⁴¹ في كتابه فلسطين دراسات

³⁹ تفسير القرطبي. هو كتاب جمع تفسير القرآن كاملاً واسمه (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان). لمؤلفه الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة 671 هـ. وهو تفسير جامع لآيات القرآن جميعاً ولكنه يركز بصورة شاملة على آيات الأحكام في القرآن الكريم. الكتاب من أفضل كتب التفسير التي غنيت بالأحكام. وهو فريد في بابه. كما أنه من أجمع ما صنف في هذا الفن. وصف بأنه من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، أسقط منه مؤلفه التواريخ والقصص، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والناسخ والمنسوخ https://ar.wikipedia.org/wiki/تفسير_القرطبي

⁴⁰ القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" دار الكتب العلمية " بيروت ج4 ص145
⁴¹ أردني ، مواليد عنبثا "قرية في الضفة الغربية في فلسطين المحتلة"، سنة 1960، حاصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر سنة 1993 ، أستاذ مشارك في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، متخصص في الدراسات الفلسطينية، سياسياً واستراتيجياً وتاريخياً، محرر التقرير الاستراتيجي الفلسطيني السنوي. ولديه اهتمام خاص بالواقع السياسي الفلسطيني، وبشؤون القدس، والتيار الإسلامي الفلسطيني،

منهجية في القضية الفلسطينية ما يلي: " فبعد نحو عشر سنوات من التنظيم والإعداد السري الجهادي ، قرر الشيخ القسام إعلان الثورة في نوفمبر 1935 ⁴² اي لقد فهم الشيخ عز الدين القسام ⁴³ أن أي عمل جهادي يجب ان يسبقه تهيئة وتربية لكافة أفراد المسلمين وهو الفهم الذي توصلنا إليه سابقا والنتيجة الطبيعية للجهاد الممنهج على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هو التمكين في الأرض وذلك لقوله تعالى : إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51) [غافر : 51] .

والمقاومة الفلسطينية، والتاريخ الفلسطيني الحديث والمعاصر ، له اهتمامات صحفية وإعلامية ، يعمل حالياً مديراً عاماً لمركز الزيتونة للدراسات والاستشارات في بيروت منذ 2004 ⁴² د محسن محمد صالح من كتاب "دراسات منهجية في القضية الفلسطينية " مركز الإعلام العربي مصر الطبعة الأولى 2003 ص 279

⁴³ محمد عز الدين بن عبد القادر القسام (1300هـ/1883م - 1354هـ/1935م) (الشهير باسم عز الدين القسام، عالم مسلم، وداعية، ومجاهد، وقائد، ولد في بلدة جبلة من أعمال اللاذقية سنة 1883م، وتربى في أسرة متدينة ومعروفة باهتمامها بالعلوم الشرعية، ثم ارتحل إلى الجامع الأزهر بالقاهرة سنة 1896م عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره، وتخرج منه سنة 1906م، وعاد إلى بلده جبلة، حيث عمل مدرساً وخطيباً في جامع إبراهيم بن أدهم .

احتل الفرنسيون الساحل السوري في ختام الحرب العالمية الأولى سنة 1918م، فثار القسام في جماعة من تلاميذه ومريديه، وطارده الفرنسيون، فقصده دمشق إبان الحكم الفيصلي، ثم غادرها بعد استيلاء الفرنسيين عليها سنة 1920م، فأقام في حيفا بفلسطين، وتولى فيها إمامة جامع الاستقلال وخطابته، ورياسة جمعية الشبان المسلمين.^[1] واستطاع القسام في حيفا تكوين جماعة سرية عُرفت باسم العُصبة القسامية، وفي عام 1935م شددت السلطات البريطانية الرقابة على تحركات القسام في حيفا، فقرّر الانتقال إلى الريف حيث يعرفه أهله منذ أن كان ماذوناً شرعياً وخطيباً يجوب القرى ويحرض ضد الانتداب البريطاني، فأقام في قضاء جنين ليبدأ عملياته المسلحة من هناك. إلا أن القوات البريطانية كشفت أمر القسام، فتحصن هو وبعض أتباعه بقرية الشيخ زيد، فلحقت القوات البريطانية بهم وطوقتهم وقطعت الاتصال بينهم وبين القرى المجاورة، وطالبتهم بالاستسلام، لكنه رفض واشتبك مع تلك القوات، وقتل منها خمسة عشر جندياً، ودارت معركة غير متكافئة بين الطرفين لمدة ست ساعات، وانتهت المعركة بمقتل القسام وثلاثة من رفاقه، وجرح وأسر آخرون.^[2] كان لمقتل القسام الأثر الأكبر في اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936م، والتي كانت نقطة تحول كبيرة في مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية بعد ذلك .

وعليه فسورة البقرة وضعت الخطوط العامة لتربية الأمة الإسلامية وتهيأتها لتولي خلافة الله في الأرض .

رابعاً: من أسماء سورة البقرة فسطاط القرآن :

أورد الإمام السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج1 ص 51 وأخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن ، فتعلموها فإن تعلمها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة" ⁴⁴ والفسطاط كما أورده مرتضى الزبيدي ⁴⁵ في كتابه تاج العروس من جواهر القاموس ج10 ص 366 في باب فسط والفسطاط بالضم : مجتمع أهل الكورة (بضم الكاف) نقله الليث . زاد الأزهري حوالي مسجد جماعتهم ، يقال : هؤلاء أهل الفسطاط . وفي الحديث : "عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط " يريد المدينة التي فيها مجتمع الناس . وكل مدينة فسطاطقال الصاغاني : والمعنى ان الجماعة من أهل الإسلام في كنف الله ، وواقيته فوقهم ، فأقيموا بين ظهرانيهم ولا تفارقونهم . ⁴⁶ وهذا وأورد مرتضى الزبيدي في كتابه تاج العروس

⁴⁴ موسوعة فضائل سور وآيات القرآن - القسم الصحيح (1/ 116)

عن أنس: أخرجه الطبراني في "الأوسط" 89/1 من طريق مبارك بن سليم عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لأصحابه: (تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة". وفيه مبارك بن سليم متروك ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: بلفظ: (السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة". أخرجه الديلمي في "مسند الفردوس"، وقال الألباني: موضوع "ضعيف الجامع" 3/ 242. ولم أجده في "المسند".

⁴⁵ هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، ينتهي نسبه إلى أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. اشتهر بالسيد المرتضى الحسيني الزبيدي اليماني الواسطي العراقي الحنفي، ويكنى أبا الفيض وأبا الجود وأبا الوقت ، أصله من واسط في العراق، ومولده في الهند في بلدة بلكرام، ومنشأه في زبيد باليمن، ورحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، وبها توفي بمرض الطاعون سنة 1205 هـ. اشتغل على المحدث محمد فاخر بن يحيى، والدهلوي فسمع عليه الحديث وأجازه، ثم ارتحل لطلب العلم، فدخل مدينة زبيد وأقام بها مدة طويلة حتى قيل له الزبيدي، وبها اشتهر، وحجّ مراراً وأخذ العلم عن نحو من ثلاث مائة شيخ ذكرهم في معاجمه الكبير والصغير وألفية السند وشرحها، حتى قال عن نفسه في ألفيته: وقل أن ترى كتاباً يُعتمد *** إلا ولي فيه اتصال بالسند.

⁴⁶ مرتضى الزبيدي "كتاب تاج العروس" دار الفكر بيروت 1994 ج10 ص 366

من جواهر القاموس ج7 ص 462 باب "الكور الكورة (بضم الكاف وفتح الراء) المدينة والصقع⁴⁷ والتعريف الذي أورده الزبيدي مطابق لمنطوق الحديث الصحيح

ومما يؤكد المعنى الذي ذهبنا إليه الحديث الذي رواه عبد الله بن عباس⁴⁸ - رضي الله عنهما - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً." وفي رواية: "فَلْيَصْبِرْ عليه، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبراً فَمَاتَ (1) فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ"⁴⁹.

من التعريفات أعلاه فإن سورة البقرة هي سورة الجماعة . وجماعة المسلمين هي العصمة في وقت الفتن ووقت الشدة ورحمة الله بها كفيلة بأن يلتصق الإنسان بها رغبة في النجاة من فتن الدنيا . وكما نقلنا آنفاً فإن السورة "تمام جملة من المسموع تحيط بمعنى تام بمنزلة إحاطة السور بالمدينة"⁵⁰ ولهذا فإن سورة البقرة تخدم هدفاً محدداً وهي قصة البقرة وتحيط السورة بالمعنى كاملاً بما لا يعطي لأحد قدرة على إختراق هذا السور . بعبارة أخرى فإن سورة البقرة تمنع ورود شبهات أو تشكيكات في مقصود السورة وهو أنها سورة الجماعة والتي نبه سبحانه

⁴⁷ نفس المصدر ج7 ص462

⁴⁸ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، صحابي جليل، وابن عم النبي محمد، حبر الأمة وفقهها وإمام التفسير وترجمان القرآن، ولد ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان النبي محمد دائم الدعاء لابن عباس فدعا أن يملأ الله جوفه علماً وأن يجعله صالحاً. وكان يدنيه منه وهو طفل ويربّت على كتفه وهو يقول: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». يعد ابن عباس من فقهاء الصحابة وساهم بشكل كبير في تأسيس مدرسة الفقه بمكة.

https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_الله_بن_عباس

⁴⁹ جامع الأصول (4/ 70) ، رواه البخاري 13 / 5 في الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " سترون بعدي أموراً تنكرونها "، وفي الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم رقم (1849) في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، وأخرجه أيضاً أحمد في " المسند " 1 / 275 و 277 و 310

⁵⁰ نظم الدرر ج1 ص 162

وتعالى على أهمية موضوع الجماعة وذلك لقوله تعالى: وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) آل عمران .

قال البقاعي رحمه الله في تفسير الآية : (ولتكن منكم امة) أي جماعة تصلح لأن يقصدها غيرها ، ويكون بعضها قاصدا بعضا ، حتى تكون أشد إئتلافا و إجتماعا في كل وقت من الأوقات ⁵¹ ولتوضيح أهمية الجماعة فلقد ورد في كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة - (1 / 253) ، ورضي الله عن عمر بن الخطاب حيث يقول : (لا إسلام بلا جماعة ، ولا جماعة بلا أمير ، ولا أمير بلا طاعة ⁵² فسورة البقرة سورة الجماعة وما قامت به سورة البقرة في بدايتها هو تحليل عناصر المجتمع المسلم لسرد الأحداث التي تقع من كل عنصر و أخطرها على الإطلاق هو عنصر المنافقين ولذا وجهت سورة البقرة بحماية المجتمع المسلم من أخطار المؤامرات التي تحيط به من عنصر المنافقين ولهذا قسمت سورة البقرة الناس إلى ثلاث أصناف المؤمنين ووصفتهم في خمس آيات ووصفت الكافرين في آيتين ووصفت المنافقين منفذي مؤامرات يهود على الإسلام والمسلمين بتوجيه من يهود في أربعة عشر آية مع مثاليين لخفاء كثير من أعمال المنافقين على المسلمين فالتفصيل للحاجة الماسة لمن يخطط لإحياء الأمة وقد وصف تعالى مؤامرات المنافقين ويهود في قوله : وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) [البقرة : 14] ، أورد

51 نظم الدرر ج 5 ص 18

حدثنا صفوان بن رستم أبو كامل ، ثنا عبد الرحمن بن ميسرة ، عن أبي عبد الرحمن ، عن تميم الداري قال : " تطاول الناس في البنيان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : يا معشر العرب الأرض الأرض إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمرة ولا إمارة إلا بطاعة ، ألا فمن سوده قومه على فقه كان ذلك خيرا له ومن سوده قومه على غير فقه كان ذلك هلاكا له ولمن اتبعه - صفوان بن رستم -

قال البخاري رحمه الله في التاريخ الكبير (4 / 309) رقم الترجمة (2940) : صفوان بن رستم سمع أبا عمير الصوري قوله روى عنه بقية بن الوليد ، يعد في الشاميين وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (3 / 433) رقم الترجمة (3902) : صفوان بن رستم، عن روح بن القاسم . مجهول قال الأزي منكر الحديث 52 لحديث أخرجه الدارمي في السنن باب ذهاب العلم رقم 257

إبن كثير⁵³ في كتابه تفسير القرآن العظيم أن المقصود في شياطينهم هو يهود حيث أورد وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن إبن عباس : (وإذا خلوا إلى شياطينهم) من يهود الذين يأمرهم بالكذب وخلاف ما جاء به الرسول⁵⁴ وقال إبن جرير (1291) : وشياطين كل شيء مردته . وتكون الشياطين من الإنس والجن بل ويصف البقاعي رحمه الله بعبارة أدق عن حجم المؤامرة التي ينفذها المنافقون بتعليمات من يهود في قوله رحمه الله : " وقد سمى إبن إسحاق كثيرا من المنافقين في السيرة الشريفة في أوائل أخبار ما بعد الهجرة ، قال ابن هشام في تلخيص ذلك: وكان ممن إنضاف يهود ممن سمي لنا من المنافقين من الأوس والخزرج... إل⁵⁵خ

ففي العبارة أعلاه إعتبر إبن إسحاق ان المنافقين أصبحوا جزءا لا يتجزأ من يهود في تنفيذ تعليماتهم وخططهم ولذا أورد إبن إسحاق ما يلي : وكان ممن تعوذ بالإسلام وأظهره وهو منافق من أحبار يهود من بني قينقاع سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت وهو الذي قال في غزوة

⁵³ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحَصْلِي، البُصْرِي، الشافعي، ثم الدمشقي، مُحدِّث ومفسر وفقه، ولد بمجدل من أعمال دمشق سنة 701 هـ، و مات أبوه سنة 703 هـ، ثم انتقل إلى دمشق مع أخيه كمال الدين سنة 707 هـ بعد موت أبيه، حفظ القرآن الكريم وختم حفظه في سنة 711 هـ، وقرأ القراءات وجمع التفسير، وحفظ متن " التنبيه " في فقه الشافعي سنة 718 هـ، وحفظ مختصر ابن الحاجب، وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري، وكمال الدين ابن قاضي شهبه، سمع الحديث من ابن الشحنة، وابن الزرادر، وإسحاق الأمدي، وابن عساكر، والمزي، وابن الرضى، شرع في شرح صحيح البخاري ولازم المزي، وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاخره على ابنته، وصاحب ابن تيمية، ولي العديد من المدارس العلمية في ذلك العصر، منها: دار الحديث الأشرفية، والمدرسة الصالحية، والمدرسة النجيبية، والمدرسة التنكزية، والمدرسة النورية الكبرى، توفي في شعبان سنة 774 هـ، وَكَانَ قد أضّر في أواخر عمره، ودفن بجوار ابن تيمية في مقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق، له عدة تصنيفات أشهرها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وطبقات الشافعية، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، والسيرة النبوية، وله رسالة في الجهاد، وشرع في كتاب كبير للأحكام ولم يكمله، وله شرح صحيح البخاري وهو مفقود

https://ar.wikipedia.org/wiki/ابن_كثير_الدمشقي

⁵⁴ الطبري ج1 ص 163

⁵⁵ نظم الدرر ج 1 152

تبوك: يزعم محمدا أنه يأتيه الخبر من السماء وهو لا يدري أين ناقتة ! فأعلمه الله بقوله وبمكان الناقة ، ونعيمان بن أوفى بن عمرو وعثمان بن أوفى . ورافع بن حريمة وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات : قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين ، وسلسلة بن برهام وكنانة بن سوريا - فكان هؤلاء المنافقين ومن يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزؤون بدينهم - ⁵⁶ مما سبق يتضح أن جزءا من يهود الذين نافقوا كانوا من عظماء المنافقين . بعبارة أخرى إن المنافقين كانوا فريقين أحبار يهود وهم الرؤساء والموجهون وجهال العرب وهم الذين يتلقون تعليمات يهود وقد ذكر الله تعالى خطورة يهود في الإفساد بقوله تعالى : **وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) [البقرة : 41]** وليس المقصود من أول كافر أول زمانا لأن مشركي قريش كفروا قبل يهود زمانا . ولكن المقصود "أول كافر " هو أن يكون يهود زعماء موجهين في الباطل والله أعلم ويتأكد لنا العلاقة الخفية بين جهال العرب وقادتهم اليهود الموجهين لهم في نظرية المؤامرة من يهود والمنافقين ما ورد في سورة البقرة في قوله تعالى : **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعُضْهُمُ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76) [البقرة : 76]** أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية "وقال الحسن البصري : هؤلاء اليهود، كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض ، قال بعضهم : لا تحدثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم مما في كتابكم ، فيحاجوكم به عند ربكم ، فيخصمونكم ⁵⁷ .

الخلاصة: إن يهود شكلوا بالتنسيق مع المنافقين طابور خامس داخل المجتمع المسلم بالمدينة المنورة يبثون سمومهم في ثنايا الحديث ويخضعون كل عمل للمسلمين للفحص الدقيق باحثين

⁵⁶ نظم الدرر ج1 ص 102

⁵⁷ ابن كثير القرشي تفسير القرآن العظيم بيت الأفكار . الرياض 1999 ص106

عن ثغرات للولوج إلى الروح المعنوية للمسلمين . بل وسارعوا بتوجيه المنافقين في عمل الإرجاف في المدينة وذلك لتوهين قوة المسلمين إجمالاً . بل وكان أغنياء يهود يمارسون الابتزاز بحق علماء يهود لحرفهم أي علماء يهود عن قول الحقيقة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي بشرت به التوراة والإنجيل فقال تعالى : اَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9) [التوبة : 9] بمثل هذا الحجم من التآمر الذي وصفته الآيات يستحيل على أي فرد أن يقاومه بمفرده فكانت العصمة في إلتحام المسلمين بالجماعة بكتاب الله لمواجهة الخطر المحدق _ فعصمة جماعة المسلمين ورد تفصيلها وشرحها في سورة الفسطاط سورة البقرة . وكانت سورة البقرة تضع الخطوط العامة لبناء الجماعة المسلمة مع تجنب ما وقعت به أمة سابقة من بني إسرائيل . بعبارة أخرى وضعت سورة البقرة مراحل بناء الجماعة وحمايتها من المؤامرات المحيطة بها حيث أنها سورة الجماعة كما أسلفنا كما وانها ذكرت التجربة في نفس الوقت . لتجنب الأخطاء المستقبلية المتوقعة وأورد الإمام القرطبي في تفسيره (وروى مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة"⁵⁸ ، قال معاوية : بلغني أن البطلة : السحرة" .

⁵⁸ القرطبي جامع الاحكام دار الكتب العلمية بيروت ج1 ص107

تخريج أحاديث الكشاف (1/ 173)

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ السُّورَةُ الَّتِي تَذَكَّرُ فِيهَا الْبَقَرَةَ فَسَطَّاطَ فَتَعَلَّمُوهَا فَإِنْ تَعَلَّمَهَا بَرَكَةٌ وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ وَلَنْ تَسْتَطِيعَهَا الْبَطْلَةُ قِيلَ وَمَا الْبَطْلَةُ قَالَ السَّحَرَةُ قُلْتُ غَرِيبٌ بِهَذَا اللَّفْظِ وَالَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنْ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعَهَا الْبَطْلَةُ قَالَ مُعَاوِيَةُ بَلَّغَنِي أَنَّ الْبَطْلَةَ السَّحَرَةُ انْتَهَى

وَبِهَذَا اللَّفْظِ رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَكَذَلِكَ أَحْمَدُ وَابْنُ رَاهَوِيَّةَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالدَّارِمِيُّ وَابْنُ أَبِي مَسَانِيدِهِمْ وَرَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ وَابْنُ أَبِي بَرْدَةَ كَذَلِكَ

رابعاً : معنى سورة آية الكرسي :

سورة الكرسي . وآية الكرسي هي أعظم آية في القرآن العظيم . وقد اورد السيوطي في فضل آية الكرسي في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور أخرج أحمد واللفظ له و مسلم وأبو داود وابن الضريس والحاكم والهيروفي في فضائله عن أبي بن كعب "أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) قال : ليهنك العلم أبا المنذر ، والذي نفسي بيده إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش⁵⁹ فلا غرو سميت السورة بإسم أعظم آية بالقرآن الكريم وهذه الآية جاءت بعد قصة طالوت في سورة البقرة والتي ورد فيها قوله تعالى "وقتل داود جالوت و آتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء 251 البقرة فجاءت آية الكرسي بعد تحقق تولي الخلافة من أراد من سلالة آدم من أن يكون خليفة في الأرض. وتولي خليفة لله على الأرض هو الهدف من الخلق فقد قال تعالى : وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) [البقرة : 30] فكان الخليفة الذي تحدثت عنه الآية 30 في سورة البقرة هو الخليفة الذي تولى الحكم بانتصار جيش طالوت وتولي داود عليه السلام المنتصر الحكم و إيتائه الحكمة في نفس الوقت . وذلك إنطلاقاً من وصف الحق تبارك وتعالى لحكم سيدنا داود عليه السلام في سورة ص حيث قال تعالى : يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) [ص : 26] وعليه تكون قصة طالوت تحقيق لهدف الخلق وهو أن الله تعالى جاعل في الأرض خليفة وبعد تحقق الإستخلاف في الأرض جاءت آية الكرسي لتؤكد ان الله سبحانه وتعالى فعّال لما يريد وأن الله غالب على أمره فإن الأمر كله لله أولاً و أخيراً بعكس ما

⁵⁹ السيوطي "الدر المنثور في التفسير بالمأثور " دار الفكر بيروت 1993 ج 2 ص 5

يعتقد المبطلون وبإنتصار المسلمين على أعدائهم يظهر هذا المعنى بعبارة أخرى كان المنافقون يشكون قدرة المسلمين على الإنتصار في بدر وغيرها لقوله تعالى : إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49) [الأنفال : 49] وهؤلاء من بث هذا التشكيك بنصر الله للفئة المؤمنة كانوا يهود والمنافقين معهم فكان في نهاية سورة البقرة قصة طالوت والذي نصر فيها الله سبحانه وتعالى المؤمنين على الكافرين تكذيبا لتشكيك يهود والمنافقين لتوقع إنتصار المسلمين في معركة بدر وغيرها . وقد كان بعض أفراد جيش طالوت غير متيقن من النصر في مواجهة جالوت وجنوده لكن الله أنجز وعده في كلا الواقعتين والحمد لله رب العالمين وهذا مصداق لقول الله عز وجل وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84) [الزخرف : 84] .

قال البقاعي رحمه الله في كتابه نظم الدرر دل على أنه مع ذلك هو الإله لا غيره في الكونين بدليل بديهي يشترك في علمه الناس كلهم ، وقدم السماء ليكون أصلا في ذلك يتبع لأن الأرض تبع لها في غالب الأمور ، فقال دالا على أن نسبة الوجود كله إليه على حد سواء لأنه منزّه عن الإحتياج إلى مكان أو زمان عاطفا على ما تقديره : تنزه عما نسبوه إليه الذي هو معنى "سبحان" : (وهو الذي) هو (في السماء إله) أي معبود لا يشرك به شيء (وفي الأرض إله) توجه الرغبات إليه في جميع الأحوال ، ويخلص له في جميع أوقات الإضطرار ،⁶⁰ مع التذكير أن هذا المعنى لشدة الفزع وقت إلحام المعركة كان غير راسخ عن قسم كبير من جيش طالوت كما أسلفنا فقال تعالى : فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)

⁶⁰ نظم الدرر للبقاعي ج 17 ص 491

[البقرة : 249] أي أن عامة جيش طالوت الذي خلص من فتنه النهر قالوا "لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده" . أي قال عامة جنود طالوت قبيل ملاقاته جالوت وجنوده إن الموازين المادية المنظورة توهي بأن جنود جالوت سينتصروا على جنود طالوت . لكن الأحداث التي ذكرت في هذه القصة أثبتت عكس ذلك لقوله تعالى "فهزموهم بإذن الله" وبهذا ثبت بالنقل وبالواقع المشهود من خلال قصة طالوت صدق المعنى الذي جاءت به آية الكرسي فجاءت أعظم آية في القرآن الكريم آية الكرسي فهي سورة البقرة سورة الإستخلاف في الأرض والذي هو من معاني الفسطاط والذي تحقق أي هذا الإستخلاف تنويجا لتمهيد كبير في هذه السورة العظيمة وسيأتي شرح مواضيع السورة التي أدت بتسلسل أفكارها إلى الإستخلاف في الأرض إن شاء الله أما مناسبة سورة آية الكرسي في سورة البقرة فقد أورد البقاعي رحمه الله : ولما ابتدأ سبحانه وتعالى الفاتحة كما مضى بذكر الذات / ثم تعرف بالأفعال لأنها مشاهدات ، ثم رقى الخطاب إلى التعريف بالصفات ، ثم أعلاه رجوعا إلى الذات للتأهل للمعرفة ابتداء هذه السورة بصفة الكلام لأنها أعظم المعجزات وأبينها وأدلها على غيب الذات وأوقعها في النفوس لا سيما عند العرب ، ثم تعرف بالأفعال فأكثر منها ، فلما لم يبق لبس أثبت الوجدانية بآيتها السابقة مخللا ذلك بأفانين الحكم ومحاسن الأحكام وأنواع الترغيب والترهيب في محكم الوصف والترتيب فلما تمت الأوامر وهالت تلك الزواجر وتشوفت الأنفس وتشوفت بالخواطر إلى معرفة سبب إنقطاع الوصل بإنبتار الأسباب وإنقاء الشفاعة في ذلك اليوم ، إذ كان المألوف من ملوك الدنيا أنهم لا يكادون يتمكنون من أمر من الأمور حق التمكن من كثرة الشفعاء والراغبين من الأصدقاء ، إذ كان الملك منهم لا يخلو مجلسه قط عن جمع كل منهم صالح للقيام مقامه ولو خذله أو وجه إليه مكره ضعضع أمره وفث في عضده فهو محتاج إلى مراعاتهم وإسترضائهم ومداراتهم ، بين سبحانه وتعالى صفة الأمر بما هو عليه من الجلال والعظمة ونفوذ الكلمة والعلو عن الضد والتنزه عن الكفر والند والتفرد بجميع الكمالات والهيبة المانعة بعد إنكشافها

هناك أتم إنكشاف لأن تتوجه الهمم لغيره وان تنطق بغير إذنه و أن يكون غير ما يريد ليكون ذلك أدعى إلى قبول أمره والوقوف عند نهيه وزجره ولأجل هذه الأغراض ساق الكلام مساق جواب السؤال فكأنه قيل : هذا ما لا يعرف من أحوال الملوك فمن الملك في ذلك اليوم ؟ فذكر آية الكرسي سيدة آي القرآن التي ما إشتمل كتاب على مثلها مفتتحا لها بالإسم العلم الفرد الجامع الذي لم يتسم به غيره ، وذلك لما تأهل السامع بعد التعرف بالكلام والتودد بالأفعال لمقام المعرفة فترقى إلى أوج المراقبة وحضرة المشاهدة فقال عائدا إلى مظهر الجلال الجامع لصفات الجلال والإكرام لأنه من أعظم مقاماته .⁶¹ إن سيدة آي القرآن كما وصفها البقاعي أنفا تكلمت عن ملك الله سبحانه والذي لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه كانت قد أعقبت تمكن أتباعه وحزبه والتي وصفتهم سورة البقرة بقصة طالوت والذين تجاوزوا فتنة الخوف من الأعداء ومن ثم فتنة حب الرئاسة ومن ثم حب الدنيا وقاتلوا صفا مرصوصا فكان كل واحد منهم يشد عضد أخيه وهذا أدى لتولي الخلافة في الأرض وتحقق ذلك بآيات الله وذلك لقوله تعالى : قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعُكُمْ الْغَالِبُونَ (35) [القصص : 35] .

قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : (بآياتنا) أي نجعل ذلك بسبب ما يظهر على أيديكما من الآيات المعظمة بنسبتها إلينا ، ولذلك كانت النتيجة (أنتما ومن إتبعكما) أي من قومكما وغيرهم (الغالبون) أي لا غيرهم .⁶²

ذلك مظهر حادث لعظمة الله ان آياته لوحدها تحدث النصر بقدرتها الذاتية . ومعلوم أن آيات موسى عليه السلام هي العصا واليد والضفادع والدمإلخ . وهذه الآيات كلها أقل من آية كتاب الله العزيز القرآن الكريم ولذا فإن النصر الذي تحقق في عهد موسى سيتحقق نصرا آخر

⁶¹ نظم الدرر ج4 ص 27

⁶² نظم الدرر ج14 ص 286

أقوى و أعز منه بفضل كتاب الله العزيز في القريب العاجل إن شاء الله . ولذا جاءت أعظم آية في القرآن لاحقة لتحقيق النصر الغير متوقع من قبل طالوت وجنوده .

خامسا: الإسم الرابع لسورة البقرة وهو ذات الإسم لسورة آل عمران فهما الزهراوان :

أورد الإمام ابن منظور الأفريقي في كتابه لسان العرب ج3 ص 1877 في باب زهر

زهر : الزهرة : نور كل نبات . والجمع: زهر وزهرة الدنيا وزهرتها : حسننها وبهجتها وغضارتها . وفي التنزيل العزيز : "زهرة الحياة الدنيا " وقال وفي الحديث : تعلموا {البقرة} و {آل عمران}، فإنهما **الزهراوان**، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأثما غمامتان، أو غيايتان، أو فِرْقان من طير صواف⁶³. وعليه فسورة سورة البقرة وآل عمران هما الزهراوان ، أي المنيرتان المضيئتان ، واحدتها زهراء⁶⁴ اما ماذا تضيئان الزهراوان فأقول والله أعلم تضيئان لنا التعامل مع اليهود والنصارى من أهل الكتاب على التوالي مع ملاحظة ان الله تعالى ذكر المغضوب عليهم وهو يهود قبل الضالين وهم النصارى . فجاء ترتيب السورتين موافقا لترتيب الأفكار في سورة الفاتحة ولتأكيد تعلق سورة البقرة بيهود وسورة آل عمران بالنصارى نذكر ما أورده الإمام البقاعي رحمه الله في كتابه نظم الدرر وقال الحرالي⁶⁵ : ولما كانت هذه السورة منزلة لتبيين ما إشتهبه على اهل الإنجيل جرى ذكر أهل التوراة فيها مجملا بجوامع من ذكرهم ، لأن تفاصيل أمرهم قد

رواه الحاكم وقال: "صحيح على شرط مسلم".⁶³

⁶⁴ ابن منظور الأفريقي "لسان العرب" دار المعارف " ج3 ص 1877

⁶⁵ هُوَ الْعَلَامَةُ الْمُتَقَنُّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ التَّجِيبِيِّ، الْأَنْدَلُسِيُّ. وَحَرَالَّة: قَرْيَةٌ مِنْ عَمَلِ مُرْسِيَّةٍ. وَلِدَ بِمَرَاكُشَ) ، وهو أحد رجالاتها ونبغائها قبل أن يجول في البلاد، فدخل الأندلس وأخذ عن ابن خروف وأبي الحسن ابن القطان، وحج فأخذ عن أبي عبد الله محمد بن عمر القرطبي (631هـ) إمام الحرم الشريف، قوانين فهم القرآن، حسبما نسب له ذلك بنفسه فقال: تعلمنا عليه الفاتحة في نحو من ستة أشهر، وكان يلقي في التفسير قوانين تنتزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام، إلى أن من الله ببركات ومواهب لا تحصى، مما لا عين رأت ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر)

<https://www.aljamaa.net/ar/2016/11/30/> من-أعلام-علوم-القرآن-بمراكش-23الإمام-ال

إستقرأته سورة البقرة ، فكان أمر أهل التوراة في سورة البقرة بيانا وأهل الإنجيل إجمالاً ، وكان أمر أهل الإنجيل في سورة آل عمران بيانا وذكر أهل التوراة إجمالاً ، لما كان لبس أهل التوراة في الكتاب فوق تفصيل ذكرهم في سورة "ألم ذلك الكتاب " ، ولما كان إشتباه أمر أهل الإنجيل في شان الإلهية كان بيان ما تشابه عليهم في سورة "ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم " فجاء هذا الذكر لأهل التوراة معادلة بينهم وبين أهل الإنجيل بما كفروا بالآيات من المعنى الذي إشتراكوا فيه في أمر الإلهية في عزيز و إختصوا بقتل الأنبياء وقتل أهل الخير الأمرين بالقسط 66 .

إن سورتي البقرة تضيئان لنا الطريق والسبيل الذي يريده أهل الكتاب معوجاً لقوله تعالى : {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99)} [آل عمران: 99] فكانت سورة البقرة وآل عمران لرد هذه المؤامرة الصهيونية والصليبية على السواء وفضح أساليب أهل الكتاب وإبطالها وهو بالحقيقة روح قصة البقرة وهي نتيجة المؤامرة الفاشلة حتما لبني إسرائيل إن شاء الله تحقيقاً .

المبحث الثاني مواضيع سورة البقرة

مقدمة

من المهم أن نعرف وقت نزول سورة البقرة لفهم الجو العام لنزول هذه السورة ، فكما أورد الإمام القرطبي أن سورة البقرة هي السورة التي أول ما أنزل بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة إلا قوله تعالى: "واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله " (البقرة : 281) فإنها آخر آية نزلت من السماء ، ونزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى ، وآيات الربا أيضاً من أواخر ما نزل من القرآن⁶⁷ "وقيل : إن الله تبارك وتعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم

⁶⁶ نظم الدرر ج4 ص 298

⁶⁷ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ج1 ص 107

بمكة: "إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا " (المزمل :5) لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مستسرفا لإنجاز هذا الوعد من ربه عز وجل ، فلما أنزل عليك بالمدينة ، ذلك الكتاب لذي وعدتك أو أوحيه إليك بمكة⁶⁸. وهذا الأثر الذي أورده الإمام القرطبي متوافق مع ما ورد في السيرة حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم صار حاكما للمدينة المنورة .وتغيرت ظروف الدعوة الإسلامية فمن دعوة يتم ملاحقتها من مسؤولي الدولة وتقصي أخبارها إلى دعوة حاكمة للمدينة المنورة . وهذا الحكم دفع أناسا لإظهار الإيمان بهذه الدعوة حفاظا على أنفسهم ومصالحهم ، ووجد يهود ضالتهم في هذه الفئة حين قرر يهود مواجهة هذه الدعوة وهذه الحكومة وكانت الحاجة لتوجيهات في جو مؤامرات يهود والمنافقين . وإحتاج الأمر لتشريعات تعبدية و إجتماعية ومالية لتسير عليها الدولة التي يقودها المصطفى صلى الله عليه وسلم . لقد تحول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زعيم يقود الجماهير والأمة في بحر من الأعداء يسجل نصرا تلو نصر لكن مرحلة سورة البقرة كانت لاحقة زمنيا لكنها سابقة في ترتيب سور القرآن . لأن الإسلام بعد تأسيسه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين تحول إلى دين ثابت راسخ يستحيل إقتلاعه فكان أقصى ما يستطيعه أعداء الإسلام هو التآمر عليه فكان أول ما يقرأه قارئ القرآن سورة البقرة التي تهمه بأكثر من غيرها من السور لمناسبتها لظروف المسلمين المستقبلية . وهذا من إعجاز القرآن الكريم لأنه من عند يعلم الغيب . فلم يبدأ القرآن بسورة المدثر أو سورة المزمل مع أنهما من أوائل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتغير الظروف و الأهداف لكل مرحلة

⁶⁸ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ج1 ص 111

المطلب الأول : معجزة قصة البقرة معجزة تمت بأيدي بشرية من أفراد الأمة وليست بيد نبي أو رسول ، قال تعالى في قصة البقرة : فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) [البقرة : 73] .

لقد كان الأمر بعد ذبح البقرة بضرب العظام بأيدي بني إسرائيل لتظهر المعجزة على يد أتباع موسى عليه الصلاة والسلام لكن معجزة أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم هي إحياء أمة بكتاب .ولقد ذكرت ذلك سابقا و أعيده الآن لأن هذا المعنى حيوي ورئيس في فهم صراعنا مع يهود ، فالفرق بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأمة موسى عليه السلام كالفرق بين الإحيائيين ، عَنْ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَتَدْرُونَ أَيُّ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ إِيمَانًا ؟) ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمَلَائِكَةُ ؟ ، قَالَ : (هُمْ كَذَلِكَ وَيَحِقُّ ذَلِكَ لَهُمْ وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُمْ بِهَا، بَلْ غَيْرُهُمْ) ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِلَى أَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ؟ ، قَالَ : (هُمْ كَذَلِكَ وَيَحِقُّ ذَلِكَ لَهُمْ وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُمْ بِهَا ، بَلْ غَيْرُهُمْ) ، قَالَ: قُلْنَا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: (أَقْوَامٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ فَيُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْني وَيَجِدُونَ الْوَرَقَ الْمُعَلَّقَ فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ فَهَؤُلَاءِ أَفْضَلُ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِيمَانًا (وقال الحاكم عقبه : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُحَرِّجَاهُ "69

69رواه الحاكم في "مستدرکه" (6993) ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (255 /58) من طريق مُحَمَّد بن أَبِي حُمَيْدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَتَدْرُونَ أَيُّ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ إِيمَانًا ؟) ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمَلَائِكَةُ ؟ ، قَالَ : (هُمْ كَذَلِكَ وَيَحِقُّ ذَلِكَ لَهُمْ وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُمْ بِهَا، بَلْ غَيْرُهُمْ) ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِلَى أَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ؟ ، قَالَ : (هُمْ كَذَلِكَ وَيَحِقُّ

لَهُمْ ذَلِكَ وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُمْ بِهَا ، بَلْ غَيْرُهُمْ) ، قَالَ: قُلْنَا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: (أَقْوَامٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ قَبُومُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْني وَيَجِدُونَ الْوَرَقَ الْمُعْلَقَ فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ فَهَؤُلَاءِ أَفْضَلُ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِيْمَانًا) وقال الحاكم عقبه : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "فرده الذهبي بقوله : بل محمد بن أبي حميد ضعفه " .وابن أبي حميد هذا : متروك الحديث ، قال الإمام أحمد أحاديثه مناكير ، وقال ابن معين ضعيف ليس حديثه بشيء ، وقال الجوزجاني واهي الحديث ضعيف ، وقال البخاري منكر الحديث ، وقال النسائي ليس بثقة ، وقال أبو زرعة ضعيف الحديث وقال أبو حاتم كان رجلا ضريرا وهو منكر الحديث ضعيف الحديث مثل ابن أبي سبرة ويزيد بن عياض يروي عن الثقات المناكير .

"تهذيب التهذيب" (9/ 133) .ورواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (39/ 244) من طريق أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط الأشجعي حدثني أبي حدثنا أبي حدثني أبي قال : " لما نسخ عثمان المصاحف ، قال له أبو هريرة أصبت ووفقت أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن أشد أمتي حبا لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني يعملون بما في الورق المعلق) . وأحمد بن إسحاق هذا متهم ، قال الذهبي في "الميزان" (1/ 83): " لا يحل الاحتجاج به ، فإنه كذاب " . ورواه البيهقي في "دلائل النبوة" (6/ 538) من طريق إسماعيل بن عياش، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ قَيْسِ التَّمِيمِيِّ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّ الْخَلْقِ أَعْجَبُ إِيْمَانًا؟) ، قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ ، قَالَ: (وَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ؟) ، قَالُوا : فَالَنَّبِيُّونَ ، قَالَ : (وَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ ؟) ، قَالُوا: فَتَحْنُ. قَالَ : (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟) ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أَعْجَبَ الْخَلْقِ إِلَيَّ إِيْمَانًا لَقَوْمٌ يَكُونُونَ بَعْدَكُمْ يَجِدُونَ صُحُفًا فِيهَا كِتَابٌ يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهَا) .

المغيرة بن قيس ، قال أبو حاتم منكر الحديث ،

"لسان الميزان" (6/ 79) .

وإسماعيل بن عياش ضعيف في روايته عن غير الشاميين وهذه منها ، فإن المغيرة بن قيس بصري . وللحديث شواهد وطرق أخرى ، لا يخلو شيء منها من ضعف ، وعله . وقد حسنه الشيخ الألباني رحمه الله بطرقه في "السلسلة (3215) . وينظر : "عمدة التفسير" للشيخ أحمد

شاكر (14/3) وينظر أيضا بحثا حول ذلك في هذا الرابط :

مما سبق من الحديث المذكور أعلاه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر أن أعجب الناس إيماناً هم من إستمداوا إيمانهم من كتاب الله عز وجل دون واسطة رسول وهم كذلك . هذا يعني أن هذا الحدث يفوق كل الأحداث السابقة وهو حياة أمة وإنصارها بكتاب الله بعد ضعف التأثير بالأجيال المتلاحقة . لقد إنبرى من هذه الأمة أعلام دافعوا عن دينها وعقيدتها حين إشتد الهجوم على الإسلام فكان من الأعلام جمع من العلماء بعد جمع من العلماء فهذا أحمد بن حنبل رحمه الله يتصدى لمؤامرة الإعتزال الذي أحد أركانها "بشر بن غياث المريسي" ⁷⁰ والذي والده يهودي وغيره كثير في كل زمن من الأزمنة ذكر منها الندوي رحمه الله في كتابه إذا هبت رياح الإيمان ⁷¹ والقائمة تطول بالمجاهدين من أمة الإسلام وما ذكرناه فهو نماذج موجود منها في كل أصقاع المسلمين ولله الحمد والمنة وإذا برز سؤال أين يتم إحياء الأمة الإسلامية ؟ والجواب في كل أنحاء العالم الإسلامي ولكن أبرز ما يكون الإحياء في القدس . ولقد تأمر يهود على كل العالم الإسلامي لكن مؤامرتهم في القدس كانت الأشد . وتأكيذا لما ذكرناه فقد قال تعالى : {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا (4)} [الإسراء: وقال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية {وقضينا} أي بعظمتنا بالوحي المقطوع به، منزلين ومنهين {إلى بني إسرائيل} أي عبدنا يعقوب عليه السلام الذي

<http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=224330>

⁷⁰ هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث المريسي، ولد حوالي سنة 138 هـ/755 م، كان أبوه يهودياً فأسلم و صار من موالى آل زيد بن الخطاب . [1][2][3] بدأ بشر حياته كفقيه و محدث، فأخذ الفقه عن أبو يوسف القاضي، و روى الحديث عن حماد بن سلمة و سفيان بن عيينة، و لكنه بعد ذلك تأثر بالمعتزلة و صار منهم. توفي سنة 218 هـ/833 م و هو في الثمانين من عمره.

https://ar.wikipedia.org/wiki/بشر_المريسي

⁷¹ مقتطفات من تاريخ الدعوة والجهاد في الهند في القرن الثالث عشر الهجري، وأضواء على حياة قائد هذه الدعوة والحركة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وسيرة أصحابه ورفاقه وأخلاقهم، في أمانة تاريخية وأسلوب قصصي تأليف أبو الحسن الندوي .

أبو الحسن الندوي هو مفكر إسلامي هندي ولد بقرية تكية ، مديرية رائى بريلي 1914 وتوفي في 31 ديسمبر 1999 وداعية . رابط المادة e159b3 : <http://iswy.co>

كان أطوع أهل زمانه لنا {في الكتاب} الذي أوصلناه إليهم على لسان موسى عليه السلام {لتفسدن} أكد بالدلالة على القسم باللام لأنه يستبعد الإفساد مع الكتاب المرشد {في الأرض} أي المقدسة التي كأنها لشرفها هي الأرض بما يغضب الله {مرتين ولتعلن} أي بما صرتم إليه من البطر لنسيان المنعم {علواً كبيراً *} بالظلم والتمرد، ولا ينتقم منكم إلا على حسب ما تقتضيه حكمتنا في الوقت الذي نريد بعد إمهال طويل؛ والقضاء: فصل الأمر على إحكام⁷² فقد ذكر البقاعي المتوفي سنة 1480م أن يهود سيفسدون في الأرض المقدسة "فلسطين" وسيكون إفسادهم إفساداً عظيماً بالظلم والتمرد ولهذا السبب كان إختيارنا لقصة البقرة في سورة البقرة لأنها قصة تحليلية لتعامل يهود مع المؤامرة وبالإضافة إلى ما سبق فإن القدس موضع إحياء الأمة الإسلامية لقوله الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) [الإسراء : 1] .

قال البقاعي رحمه الله في هذه الآية ما معناه إذا كان حول المسجد الأقصى بركة فما بالك به وهذا أبلغ من قوله فيه . فكأنما الأقصى قلب العالم الإسلامي فعنده تنبع البركة للأمة الإسلامية فهو أي الأقصى كأنه قلب الأمة الإسلامية بل ويشهد القرآن في سورة البقرة أن القدس مكان إحياء الأمة وعودتها إلى سابق عهدها فقد قال تعالى في كتابه العزيز : أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) [البقرة : 259]

⁷² البقاعي نظم الدرر دار الكتاب الإسلامي القاهرة الطبعة الثانية 1992 ج11 ص305

- 5888-حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن حريج، عن عكرمة: "أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها" قال: عزير⁷³.

- 5893-حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله: "أنى يحيي هذه الله بعد موتها"، أن أوريا لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب، وقف في ناحية الجبل، فقال: "أنى يحيي هذه الله بعد موتها".⁷⁴

- 5896-حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن قيس بن سعد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير في قول الله: "أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها"، قال: كان نبيا وكان اسمه أوريا.⁷⁵ ففي الآية المشروحة أعلاه كانت القدس ميتة بإحتلالها من الأعداء ودليل مواتها قوله تعالى مر على قرية وهي خاوية على عروشها وأيضاً سؤال نبي الله في الآية قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها .

وقد ورد في شرح هذا السؤال ما أورده د عبدالعظيم إبراهيم المطعني في كتابه التفسير البلاغي للإِسْتِفْهَام ما يلي : (وهي خاوية على عروشها) كناية عن صفة الدمار والخراب في تلك القرية الممرور بها . ومن أسرار هذه الكناية أنها نقلت الحدث (التدمير والخراب) من فكرة ذهنية مجردة إلى صورة حسية ماثلة أمام الخيال : جدران محطمة وأسقف هادمة ، وعظام مفتتة وهذه الجملة حالية بمثابة أضواء كاشفة مسلطة على حطام القرية وأشلأ موتاهم وتقديم المفعول (هذه) على الفاعل (الله) للإيحاء بأن حالة التدمير في القرية بلغت حدا غير معهود، و ان

⁷³ الطبري "جامع البيان في تأويل القرآن" دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 1997 ج3 ص30

⁷⁴ الطبري ج3 ص 30

⁷⁵ الطبري ج3 ص30

تعجب الرجل وإرتياعه ولّد عنده الشك في قدرة تعيد القرية إلى ما كانت عليه . وهذا من خصائص البلاغة العالية التي تكشف بوسائلها التعبيرية عن مغيبات النفوس ، ومطويات الأسرار وفيها مجاز عقلي حيث أوقع الإشارة الحسية على القرية مريدا أهلها ولو أحيوا لعمرها كما عمروها من قبل . وعلاقة هذا المجاز المحلية، حيث ذكر المحل وأراد الحال فيه ، أو من كان حالا فيه . وهنا يتولد مجاز مرسل علاقته إعتبار ما كان ⁷⁶ مما سبق يتضح أن عملية الإحياء المشار إليها في نهاية سورة البقرة كانت لعودة القدس إلى حضن الإسلام بعد مائة عام من موت السائل عن إحياء المدينة وهنا المعجزة وهنا يستفيد الداعية الذي يريد إحياء الأمة الإسلامية بوجوب التحلي بالصبر على أحداث البيت المقدس فلا يؤثر في عزيمته مرويات وسائل الإعلام التي تريد توهين عزيمته في العمل لتحرير الأقصى المبارك فقد تم تحرير المسجد الأقصى مع أن موازين القوى البشرية تنبئ بإستحالة ذلك في وقت من الأوقات وهذا بحسب سؤال النبي من بني إسرائيل فكلمة "أنتي" تأتي بمعنى كيف كما أفاد الزركشي في كتابه البرهان ⁷⁷. ثم كانت المعجزة وانتصر الإسلام في عهد هذا النبي عندما أحياه الله بعد مائة عام وبعد بعثه وجد أن الله قد أحيأ الأمة وعادت القدس للإسلام . وعودة الأمة للإسلام بعد هزيمتها في القدس تكررت بعد هذا النبي وكان إحياء الأمة مرة ثانية في عهد صلاح الدين الأيوبي الذي كان نتاج عملية إحياء واسعة النطاق تمت على القاعدة الجماهيرية وقيض الله لتحرير القدس من أيدي الصليبيين علماء مسلمين أعادوا للإسلام حيويته بعدما أمتت معاني كتاب الله الفلاسفة وعلماء الكلام . فكان الإحياء بواسطة إحياء علوم الدين الذي ألفه الإمام أبي حامد الغزالي .

⁷⁶ د عبدالعظيم المطعني التفسير البلاغي للإستفهام في القرآن الكريم مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثانية

2007 ج1 ص 146

⁷⁷ الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن المكتبة العصرية بيروت 1972 ج4 ص249

وقد أشار الإمام السبكي⁷⁸ في الجزء الثالث من طبقات الشافعية في تعريف الإمام الغزالي فقال :.....جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء ، و أفقر من الجذباء إلى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفي بحلاوة مقاله ، ويحمي حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العرى ، وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلا حديثاً مفترى . هذا مع ورع طوى عليه ضميره ، و خلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميـره وتجريد في بحر التوحيد انتهى⁷⁹ والذي أقصده أن عودة الامة للإسلام لم تكن صدفة بولادة صلاح الدين الأيوبي . بل كان بمجموعة هائلة من جهود تجديد الدين وتثبيت المفاهيم الإيمانية في النفوس من قبل العديد علماء ومجاهدي الأمة بما فهموه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا هو تطبيق عملي لقصة إحياء الامة بواسطة أفراد من الأمة كما في قصة البقرة طبعاً جاء الإمام أبي حامد الغزالي والمسلمون قد تعرضوا لغزو صليبي شرس بسبب ضعفهم وكيفيك لمعرفة فداحة التغيير الذي حصل لعلماء المسلمين وعامتهم ما كتبه الإمام الغزالي في مقدمته " فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق : ما أنت مثابر عليه من العمى عن جليلة الحق ، مع اللجاج في نصره الباطل وتحسين الجهل ، والتشغيب على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبد الله تعالى من تركية النفس و إصلاح القلب ، وتداركا لبعض ما فرط من إضاعة العمر يائسا عن تمام حاجتك في الحيرة و إنحيازاً عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه "أشد الناس

تقي الدين السبكي المحدث الصوفي الشافعي الفقيه (1355م — 1284م = 756هـ — 683هـ) ⁷⁸ الجدلي الخلفي النظار، النحوي اللغوي الأديب الحكيم المنطقي الحافظ المفسر المقرئ الأصولي المتكلم ولد في قرية سبك الأحد إحدى قرى محافظة المنوفية (683)، "يلقب "بشيخ الإسلام وقاضي القضاة في مصر حالياً خزرجي أنصاري نسباً

⁷⁹ الإمام الغزالي "إحياء علوم الدين" الطبعة الأولى 1982 دار المعرفة بيروت لبنان ج 1 ص 6

عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه ⁸⁰ ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الأمر إدّ والخطب جدّ والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سدّ ، وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير ردّ وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكّد : فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغلهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد إستحوذ على أكثرهم الشيطان و إستغواهم الطغيان ، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوبا ، فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمسا ، ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام ، أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة و الإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى إستدراج العوام ، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه : فقها وحكمة وعلماء وضياء وزورا وهداية ورشدا ، فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا ودلهما ، رأيت الإشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما ، إحياء لعلوم الدين ن وكشفا مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاحا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين ⁸¹ ومن توصيف الإمام الغزالي يتبين لنا ان مستوى العلماء إنحط في عهد الحروب الصليبية مما إنعكس سلبا على أداء الأمة الإسلامية في مقاومة الحملات الصليبية المتعاقبة . وللأسف فإن هذا التوصيف لعلماء المسلمين ينطبق على عدد منهم ممن تملق زعماء ضيعوا الإسلام و الأخلاق والأرض المقدسة وهم هؤلاء علماء

⁸⁰ حديث "أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه " رواه الطبراني في الصغير والبيهقي في

شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف

⁸¹ الإمام أبي حامد الغزالي إحياء علوم الدين دار المعرفة بيروت 1982 ج 1 ص 2

السلطان يكيلون المدح لهؤلاء الظلمة . ولمعرفة مكانة الإمام أبي حامد الغزالي بحسب أقوال المؤرخين وهم المهتمين بتطورات الأحداث السياسية والمادية وهم المهتمون بالمؤثرات في الاحداث فقد كتب ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية

أبو حامد الغزالي. محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وتفقّه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، فكان من أذكى العالم في كل ما يتكلم فيه، وساد في شبابه حتى أنه درس بالنظامية ببغداد، في سنة أربع وثمانين، وله أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رؤوس العلماء، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل، وهما من رؤس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه، قال ابن الجوزي وكتبوا كلامه في مصنفاتهم، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة، وكان يرتزق من النسخ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين، وهو كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب،⁸² وقد كان العهد الذي كتب فيه كتابه عهد مضطرب وفيه الكثير من الهرج والمرج كما أفاد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية حين قال رحمه الله فيها (أي تلك السنة) بعث السلطان غياث الدين جيشا كثيفا، صحبه الأمير مودود بن زنكي صاحب الموصل، في جملة أمراء ونواب، منهم سكران القطبي، صاحب تبريز، وأحمد يل صاحب مراغة، والأمير إيلغازي صاحب ماردين ، وعلى الجميع الأمير مودود صاحب الموصل، لقتال الفرنج بالشام، فانتزعوا من أيدي الفرنج حصونا كثيرة، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ولله الحمد، ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيه فجاءه

⁸² ابن كثير في البداية والنهاية مكتبة دار المعارف بيروت ج 12 ص 174

باطني في زي سائل فطلب منه شيئاً فأعطاه، فلما إقترب منه ضربه في فؤاده فمات من ساعته

83 .

مما سبق يتضح أن كان العهد الذي كتب فيه الإمام الغزالي كتابه كان عهد إضطراب وفتن وكان منهج الغزالي بناء العلماء الربانيين الذين يقودون الأمة إلى بر الأمان وهو ما قصدناه مما سيأتي شرحه في شرحه مطلب اللواميم القادم . وقد يعترض على إستشهادنا بكتاب إحياء علوم الدين معترض من عدة جوانب من إستشهاده بأحاديث ضعيفة وغير ذلك ولسنا بصدد الحديث عن هذه الإنتقادات فالقاعدة في الإختلاف بين المسلمين "نعمل فيما إتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما إختلفنا فيه". وللتدليل على صحة إستشهادنا بكتاب إحياء علوم الدين بذكر حادثة أورها الإمام العراقي هو الإمام الكبير الحافظ زين الدين أبوالفضل عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن حافظ العصر وكان تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلاني قال رحمه الله في مقدمة كتاب إحياء علوم الدين ما حصل لمبغضيه من البلاء ولقد كان في ثغر الإسكندرية من مدة قريبة أدركها أشياخنا شخص يبغض الغزالي ويغتابه ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وأبوبكر وعمر رضي الله عنهما إلى جانبه ، وكأن الغزالي واقف بين يديه وهو يقول : يا رسول الله هذا - يعني الرائي- يتكلم في ويؤذيني قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هاتوا السياط وأمر به فضرب بين يديه لأجل الغزالي وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره⁸⁴ ، لقد كان كتاب إحياء علوم الدين منهج لإحياء الأمة التي أقبلت على العبادة والجهاد في أنحاء شتى حول فلسطين قبيل النصر العظيم في معركة حطين الذي إنتصف بها المسلمين من الغزاة الصليبيين .

⁸³ ابن كثير البداية والنهاية مكتبة دار المعارف بيروت ج12 ص173

⁸⁴ إحياء علوم الدين دار المعرفة 1982 ج1 ص "و"

المطلب الأول: اللواميم:

أول مواضيع سورة البقرة هو الأحرف المقطعة "ألم" . وكلامنا عن الأحرف المقطعة سيكون مختصرا وغير داخل في تفاصيل كثر الحديث والخلاف بين علماء التفسير بها . لكننا سنأخذ من أقوال المفسرين ما يخدم موضوع "قصة البقرة" التي هي موضوع البحث ابتداء

لكن هناك ملاحظة وهي أن بدايات السور المتشابهة من الأحرف المقطعة تشكل موضوعا متكاملا فيما بينها فلقد ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الإمام السيوطي: أخرج أبو عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الحواميم ديباج القرآن⁸⁵ ، وبالقياص على ما سبق ذكره من أن الحواميم ديباج القرآن فاللواميم يشكلن والله أعلم مجموعة من السور تخدم هدفا محددا . الأكيد أن بدايات اللواميم المتطابقة ليست صدفة لأن القرآن الكريم هو كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولكل حرف ولكل كلمة بل وكل تشكيلة في القرآن العظيم حكمة بالغة أي بلغت منتهاها فلا سبيل للزيادة على هذا الكتاب أو تعديل كلامه لأنه بلغ القمة ولم ولن يبلغها أحد مطلقا أبدا في كلامه في حين إن أي كلام بشري آخر تجد به الثغرات ولا تنتهي التعديلات في الكلام البشري نهائيا ، أما بالنسبة للواميم فقد أورد البقاعي رحمه الله في ج 4 ص 199 ، وقال الحرالي مشيرا إلى القول الصحيح في ترتيب السور من أنه بإجتهاد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إقرارا لله سبحانه وتعالى لهذا الإنتظام والترتيب السوري في مقرر هذا الكتاب : هو ما رضىه الله سبحانه وتعالى فأقره ، فلما كانت سورة الفاتحة جامعة لكلية أمر الله سبحانه وتعالى فيما يرجع إليه . وفيما يرجع إلى عبده ، وفيما بينه وبين عبده ن فكانت أم القرآن و أم الكتاب / جعل مثنى تفصيل ما يرجع منها إلى الكتاب المنبأ عن موقعه في الفاتحة مضمنا

85 وقال الألباني: أخرج الحاكم (437 / 2) بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال: ... فذكره موقوفاً عليه

سورة البقرة إلى ما أعلن به ، لألاً نور آية الكرسي فيها ، وكان منزل هذه السورة من مثني تفصيل ما يرجع إلى خاص علق الله سبحانه وتعالى في الفاتحة ، فكان منزل سورة آل عمران منزلة تاج الراكب وكان منزلة سورة البقرة منزلة سنام المطية ، قال صلى الله عليه وسلم : "لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة ، لكل شيء تاج وتاج القرآن سورة آل عمران ، وإنما بدئ هذا الترتيب لسور الكتاب لأن علم الكتاب أقرب للمخاطبين من تلقي علق أمر الله ، فكان في تعلم سورة البقرة والعمل بها تهيو لتلقي ما تضمنته سورة آل عمران ، ليقع التدرج والتدرب بتلقي الكتاب حفظاً وبتلقيه على اللقن منزل الكتاب بما أبداه علقه في هذه السورة ، وبذلك يتضح أن إحاطة "الم" في أول سورة البقرة إحاطة كتابية بما هو قيامه وتمامه ، ووصلة ما بين قيامه وتمامه ، وأن إحاطة "الم" المنزلة في أول سورة آل عمران إحاطة إلهية حيايية قيومية مما بين غيبة عظمة إسم "الله" على تمام قيوميته البادية في تبارك ما انبأ عنه إسمه "الحي القيوم" وما اوصله لطفه من مضمون توحيده المنبئ عنه كلمة الإخلاص في قوله "لا إله إلا هو" ، فلذلك كان المجموع في منزله قرآناً حرفياً وقرآناً كلمياً إسمياً وقرآناً كلاماً تفصيلياً مما هو إسمه الأعظم ، كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم : إسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : وإلهكم إله واحد لا إلا هو الرحمن الرحيم " البقرة 163 ، "الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم" ⁸⁶ آل عمران

2

مما سبق يتضح ان البقاعي رحمه الله أن سورة البقرة هي سورة التمهيد لسورة آل عمران والمعاني في القرآن الكريم تكاملية بمعنى أن الفكرة تبدأ في سورة وتكملها نفس مسار السورة التالية فالفكرة التي تذكر إجمالاً في سورة يتم تفصيلها فيما يليها من السورة التي تليها وهذا هو

⁸⁶ نظم الدرر ج4 ص 201

أصل تسمية كتاب البقاعي رحمه الله "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" فالآيات والسور متناسبة كعقد الدرر يلتقي آخره بأوله وهذا ما قاله البقاعي رحمه الله في الإقتباس التالي :

وكما وقعت إلاحه في سورة البقرة لما وقع به الإفصاح في سورة آل عمران من نحو ما وقع تفصيله في سورة البقرة ليصير منزلاً واحداً بما أفصح مضمون كل سورة بإلاحه الأخرى ، فذلك هما غمامتان وغيايتان على قارئهما يوم القيامة - كما تقدم - لا تفترقان ، فأعظم "الم" هو مضمون "الم" الذي أفتتحت به سورة آل عمران ويليهِ بالرتبة ما أفتتحت به سورة البقرة ، ويليهِ في الرتبة ما أفتتحت به سور الآيات نحو قوله سبحانه وتعالى : "الم تلك آيات الكتاب الحكيم" سورة لقمان فللكتاب الحكيم إحاطة قواماً وتاماً وصلة ولمطلق الكتاب إحاطة كذلك / وإحاطة الإحاطات و أعظم العظمة إحاطة إفتتاح هذه السورة ⁸⁷ ، ما تقدم يتبين لنا بوضوح أن السور التي تبدأ باللواميم يجمعها موضوع واحد وأقول إن سورة البقرة تكلمت عن خطر يهود في حين تكلمت سورة آل عمران عن خطر النصارى بإدارة يهود فذلك وصف الله يهود في سورة آل عمران بأشد مما وصفهم به في سورة البقرة ولذلك قال تعالى في سورة البقرة : وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81) [البقرة : 80 ، 81] ، وقال تعالى في سورة آل عمران : ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) [آل عمران : 24] ، قال البقاعي رحمه الله في الفرق بين هاتين الآيتين في معرض شرحه آية آل عمران ، ولما كان المقام هنا لتناهي إجترائهم على العظام لإستهانتهم بالعذاب لإستقصارهم لمدته والتصريح بقتل الأمرين بالقسط عامة وبحبوط الأعمال وكان جمع القلة قد يستعار للكثرة أكدت إرادتهم حقيقة القلة بجمع آخر للقلة ، فقل على ما هو الأولى من وصف جمع القلة لما لا يعقل بجمع

⁸⁷ البقاعي نظم الدرر ج4 ص 203

جبرا له : (معدودات) وتطاول الزمان وهم على هذا الباطل حتى آنسوا به وإطمأنوا إليه لأنه ما كذب أحد بحق إلا عوقب بتصديقه بباطل .⁸⁸ ، ولشرح ما ذكره البقاعي رحمه الله فإن كلمة معدودات لا تخدم سوى معنى جمع القلة في حين كلمة معدودة تحتل جمع القلة وجمع الكثرة . أي أن يهود أصبحوا أكثر إستخفافا بعذاب الله في سورة آل عمران مما شرحه القرآن في سورة البقرة فأصبحوا أكثر توكيدا لقلة عذاب الله وعليه تمادى يهود في معاصيهم وبعبارة أخرى زاد ذلك من جرأتهم في التآمر على الإسلام والمسلمين ولهذا نلاحظ ان السورتان البقرة وآل عمران تكملان بعضهما البعض لمعنى هام يجمع السورتان وهو إضاءة الطريق في وقت اشتداد ظلمات الفتن كما أشار البقاعي رحمه الله في الإقتباسين السابقين فكانت سورة البقرة تمهيدا لقيومية الكتاب لكن سورة آل عمران كانت لقيومية الله سبحانه وتعالى فقد قال تعالى في بداية سورة البقرة : {الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)} [البقرة: 1، 2] وقال تعالى في بداية سورة آل عمران : {الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2)} [آل عمران: 1، 2]

ومن الطبيعي أن تحدث الفتن بعد مؤامرات يهود كما أسلفنا فجاءت سورة العنكبوت وهي السورة الثالثة بالترتيب في اللواميم لتتكلم عن الفتن وذلك لقوله تعالى في بداية سورة العنكبوت قوله تعالى : {الم (1) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2)} [العنكبوت: 1، 2] ، لكن نهاية سورة العنكبوت التي تتكلم عن الفتنة قوله تعالى : {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)} [العنكبوت: 69] ، أي أنه في نهاية المطاف لهذه الفتن إن الله تعالى يهدي المجاهدين للفعل الصحيح ببركة جهادهم فقد أورد القرطبي في تفسيره وقال سفيان بن عيينة لابن المبارك : إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور فإن

⁸⁸ نظم الدرر ج4 س 305

الله تعالى يقول : "لنهديَنهم"⁸⁹ وعليه فإن الله يهدي المجاهدين فيما ينفعهم في مواجهة الأعداء وهذا معنى هام وهو ان الله تعالى لا ولم ولن يترك الأحداث ليسيرها يهود وأعدائهم بل سيهدي المجاهدين لوسيلة المجاهدة لهذا الكيد بعكس المعنى الذي تبثه وسائل الإعلام والتي تسترهبنا من يهود وأعدائهم بغرض ان نستسلم لهذه المؤامرة ، ورد في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون⁹⁰ إن الأمميّين (غير اليهود) كقطيع الغنم ، وإننا الذئاب ، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة ؟ إنها لتغمض عيونها عن كل شيء . وإلى هذا المصير سيدفعون ، فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعداء العالم ، وإضطرار كل الطوائف إلى الخضوع .⁹¹ ، مما سبق فإن الفتنة تقع عندما ترهب قلوب العامة من بطش الظلمة وذلك عندما نقيس الأمور بمقياس بشري . وكلمة الملاء التي وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع هي لأولئك الذين يملؤون الناس رهبة وهيبة فينصاع الناس لهم ويؤكد هذا المعنى ما ورد في السيرة النبوية في ذكر غزوة بدر : " ولقيه الناس يهنئون بالروحاء بفتح الله . فلقية وجوه الخرج ، فقال سلمة بن سلامة بن الأقوش : ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله ما قتلنا إلا عجائز صلعا . فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا ابن أخي ، أولئك الملاء ، لو رأيتهم لهبتهم ولو امرؤك لأطعتهم"⁹² مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الملاء هم من يملؤون

⁸⁹ القرطبي الجامع لأحكام القرآن دار الكتب العلمية بيروت 1993 ج13 ص242

⁹⁰ بروتوكولات حكماء صهيون : قدم المترجم لهذا الكتاب الجهنمي بمقدمة مستقيضة وقال إن سبب وضعه أن زعماء الصهيونيين عقدوا ثلاثة وعشرون مؤتمرا منذ سن 1897 حتى سنة 14 أغسطس 1951 وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعا دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية وكان أول مؤتمراتهم في مدينة بال بسويسرا 1897 برئاسة تيودور هيرتزل وقد اجتمع فيه نحو ثلاثمائة من أعتى حكماء صهيون وكانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية ، وقرروا فيه خططهم السرية لإستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داوود . محمد خليفة التونسي "الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون " دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الرابعة ص 13

⁹¹ محمد خليفة التونسي "الخطر اليهودي " بروتوكولات حكماء صهيون " دار الكتاب العربي بيروت

الطبعة الرابعة البروتوكول الحادي عشر ص 158

⁹² محمد بن عمر أبو عبدالله الواقدي مغازي الواقدي دار الأعلمي بيروت ط3 1989 ج1 ص116 م ش

عيون الناس هيبة و رهبة وبهذا ينفذ الملاً مخططاتهم وهذا ما أشار إليه يهود في بروتوكولات حكماء صهيون آنفا وإن من أروع الأمثلة في توفيق الله للمجاهدين بما ورد في نهاية سورة العنكبوت في قوله تعالى "لنهديهم سبلنا" وذلك فيما ضربه مثلاً رائعا من الشيخ أحمد ياسين⁹³ رحمه الله تعالى فقد ورد في كتاب "الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الإنتفاضة ما يلي :

كان الشيخ معتقلا في السجن وجاءوا له بضابط الشؤون العربية في المخابرات الإسرائيلية⁹⁴ قد إستدعاني وجلس معي وقال لي : إسمع نحن نريد أن نوقف الإنتفاضة ، قلت له : انا مالي ا أن أوقفها أنت السلطة ، قال لا أنت بدك توقفها ، قلت له : أنا ، ومن انا حتى أوقفها ؟ قال : لا ورقة واحدة منك تنزلها ، بتوقفها ، قلت له أنا لا أستطيع ان أفعل هذا ، وأنا لا أستطيع أنزل ورق ، ومش شغلي هذا ، قال : أنا اليوم بدي الإنتفاضة تقف ولما يبجي يوم الشجر والحجر بأحط لك رقبتني ، وباقول لك إذبح⁹⁵ ، طبعا حدثني احد الإخوة الذي كان في المعتقل مع الشيخ أن الشيخ أحمد ياسين رحمه الله قال لإسحاق مردخاي "اليوم ذاك اليوم بدأ " بعبارة أخرى فإن الشيخ أحمد ياسين رحمه الله المشلول شللا رباعيا والمسجون في سجون إسرائيل يقول لقائد المنطقة الجنوبية في إسرائيل آنذاك متحديا كل الظروف المادية المحيطة إننا بدأنا الإنتفاضة وستكون في نهاية الأمر مذبحة لكم في هذه الأرض بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

⁹³ لشيخ أحمد إسماعيل ياسين ولد في 28 يونيو 1936 وتوفي في 22 مارس 2004 داعية ومجاهد ومؤسس ورئيس لأكبر جامعة إسلامية بها المجمع الإسلامي ومؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس وزعيمها أصيب بالشلل التام أثناء ممارسته للرياضة .[4]

⁹⁴ إسحاق مردخاي ولد في مدينة زاخو بكرديستان العراق في 22 نوفمبر 1944 أصبح عضوا بالكنيست ثم تولى منصبه وزيرا للدفاع والنقل من 1966- 20 01 ، تقاعد عن العمل السياسي بعد إكتشاف إعتداءات جنسية نسبت إليه عندما كان في العسكرية ، قائد المنطقة الجنوبية في إسرائيل عندما خاطب الشيخ أحمد ياسين رحمه الله : اسحاق مردخاي) هو

⁹⁵ أحمد منصور "الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الإنتفاضة " الدار العربية للعلوم " الطبعة الاولى 2003م ص 181

96 لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِي: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْي فَاقْتُلْهُ .

أي أن الله هدى الشيخ أحمد ياسين في أشد أوضاعه ضعفا حيث أنه مشلول شلل رباعي وهو في السجن ويتحدى السجان ولا يلبي طلب السجانين . فهذه من هداية الله للمجاهدين كما أشرنا في نهاية سورة العنكبوت آنفا .

ثم جاءت سورة الروم التي نتحدث عن دفع الظالمين بالظالمين وهو من كيد الله بدون أن يكون للمسلمين يد وهذا يؤكد معية الله للمسلمين في مواجهة مؤامرات يهود وغيرهم وكانت بداية سورة الروم : {الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4)} [الروم: 1 - 4] ، وبداية سورة الروم تتكلم عن موضوع هام جدا وهو ان الله دفع الروم بالفرس ثم دفع الفرس بالروم ثم جاء المسلمون ليهزموا الطرفين نعا في وقت واحد . والمعنى هنا أن الله يولي الله الظالمين بعضهم ببعض فتضعف قواهم أي الظالمين لقوله تعالى : {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)} [الأنعام: 129] (تفسير القرطبي 7 / 85) قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا" الْمَعْنَى وَكَمَا فَعَلْنَا بِهَؤُلَاءِ مِمَّا وَصَفْتُهُ لَكُمْ مِنْ اسْتِمْتَاعِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ أَجْعَلْ بَعْضَ الظَّالِمِينَ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ، ثُمَّ يَتَّبِعُوا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ غَدًا. وَمَعْنَى "نُوَلِّي" عَلَى هَذَا نَجْعَلُ وَلِيًّا. وَعَنْهُ أَيْضًا: نُسَلِّطُ بَعْضَ الظَّالِمَةِ عَلَى بَعْضٍ فَيُهْلِكُهُ وَيُذِلُّهُ. وَهَذَا تَهْدِيدٌ لِلظَّالِمِ إِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ ظُلْمِهِ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ظَالِمًا آخَرَ 97 وما نشاهده في اوقاتنا الحاضرة أكبر دليل على صحة ما ذهبنا إليه فبعد الحرب العالمية الثانية والتي أدت

96 الجامع الصغير وزيادته (ص: 13371، بترقيم الشاملة آليا) [حكم الألباني] (صحيح) انظر حديث رقم:

7414 في صحيح الجامع

97 القرطبي ج 7 ص 56

إلى إضعاف دول الإستعمار في العالم العربي والإسلامي مما نتج عنه أن نالت معظم الدول الإسلامية والعربية إستقلالها بعد هذه الحرب. وللتوضيح فمنطلقات هذه الدول الإستعمارية كان جزءا منها منطلقات صليبية فشجعت التبشير وضيقّت على الدعاة عملهم والموضوع بلغ من الوضوح بمكان بحيث أن الحرب العالمية الثانية كانت تمهيد لمرحلة مغايرة للمرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية ثم كانت سورة التي تلي سورة الروم في اللواميم وهي سورة لقمان والتي في بدايتها {الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2)} {لقمان: 1، 2} وهذا وصف للكتاب والحكمة بل إن صفات سيدنا لقمان والتي سميت السورة بإسمه هي الحكمة لقوله تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12)} {لقمان: 12، 13} فأهم خصائص مواجهة يهود وأعدائهم ان تكون المجاهدة بالحكمة والحكمة هي النتيجة الأخيرة لدراسة و تدريس القرآن الكريم لقوله تعالى . {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269)} {البقرة: 269} وقال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية ولما انقضى الكلام في الإنفاق والمال المنفق على هذا الأسلوب الحكيم تصريحاً وتلويحاً وختم ذلك بهاتين الصفتين وتضمن ذلك مع التصريح بأنه عليم أنه حكيم أتبع ذلك الوصف بأن من سعته وعلمه وحكمته أنه يهب من صفاته ما يشاء لمن يشاء بأن يؤتيه الحكمة فيوقفه على علم ما خفي من هذه الأمثال المتقنة والأقوال الحسنة تصريحاً وتلويحاً ويوقفه للعمل بذلك إنشاءً وتصحيحاً فقال تعالى منبهاً على ترجيح العمل بأمر الرحمن وقبول وعده بأنه على مقتضى العقل والحكمة وأن أمر الشيطان ووعدده على وفق الهوى والشهوة: - وقال الحرالي: ولما أبدى سبحانه وتعالى أمر الآخرة وأظهر ما فيها وبين أمر الدنيا من الترتيب والتسبيب ورجع بعضها على بعض عوداً على بدء أنبأ تعالى أن ذلك من حكمته وأنهى الحكمة لما فيها من استيفاء حكمة الدارين فليس الحكيم من علم أمر الدنيا بل من علم أمر ما بين الدنيا والآخرة فداوى أدواء الدنيا بدواء الآخرة وداوى النفس بدواء الدارين وضم

جوامعها في تيسير الكلم كما ضمّها لمن اصطفاه {ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة} [الإسراء 39]يؤتي الحكمة وهي العلم بالأشياء على ما هي عليه المزين بالعمل والعمل المتقن بالعلم⁹⁸ وجاءت هذه الآية في نهاية سورة البقرة والتي سبقتها قصة طالوت وجالوت وسيدنا داود عليه السلام أي بعد تحقق النصر والتمكين وهذا مما يحتاجه الإنسان من الحكمة في معالجة أمور الحكم ومقابلة مؤامرات يهود ويؤكد ذلك إستشهاد البقاعي رحمه الله بسورة الإسراء أو سورة بني إسرائيل في الإقتباس أعلاه بقوله تعالى : {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْفَلَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (39)} [الإسراء: 39] ، لقد تحدثت بداية سورة الإسراء سورة بني إسرائيل عن فساد بني إسرائيل ثم حذرت السورة من الشرك وأشكاله لكنها أي سورة بني إسرائيل وضعت محددات إجتماعية من الآية 23 "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا...حتى الآية 38 "كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها 38 الإسراء ، بعبارة أخرى فإن سورة بني إسرائيل شخّصت العلة وهي "علو بني إسرائيل" وأعطت الدواء بالآيات التي أشرنا إليها أعلاه وهو الحكمة المطلوبة لمجابهة يهود الذين يسعون لإفساد أخلاق المسلمين ليسهل لهم السيطرة عليهم ، وكيفيك لمعرفة دقة وبلاغة القرآن الكريم حين حذر المسلمين من الزنا في سورة الإسراء سورة بني إسرائيل في قوله تعالى : {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32)} [الإسراء: 32] ، وقال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية {ولا تقربوا} أي أدنى قرب بفعل شيء من مقدماته ولو بإخطاره بالخاطر {الزنى} مع أن السبب الغالب في فعل النساء له الحاجة وطلب التزيد، وفيه معنى قتل الولد بتضييع نسبه، وفيه تسبب في إيجاد نفس الباطل، كما أن القتل تسبب في إعدامها بالباطل، وعبر بالقربان تعظيماً له لما فيه من المفاصد الجارّة إلى الفتن بالقتل وغيره؛ ثم علله بقوله مؤكداً إبلاغاً في التنفير عنه لما للنفس من شدة الداعية إليه: {إنه كان} أي كوناً لا ينفك عنه {فاحشة} أي زائدة

القبح، وقد نهاكم عن الفحشاء في آية العدل والإحسان {وساء} الزنا {سبيلاً*} أي ما أسوأه من طريق⁹⁹! بعبارة أخرى يقول تعالى إننا يجب ألا ننجر إلى الإستدراج بخطوات يهود في إفساد المرأة ولذا قال لا تقربوا "أي بادننى قرب بفعل شيء من مقدماته وزاد التقبيح من هذا الفعل بوصفه "فاحشة" أي مزيد قبح لها . والنتيجة الأخطر ان الزناة يبتدعون أسلوب حياة مغاير لأسلوب المسلمين فكونه يسعى للزنى بالحرام فسيسعى تلقائياً لتحصيل المال بالحرام وستتقطع اوصال المجتمع ومفاسد يعرفها كل من شاهد حياة الفجرة . لكن البلاغة في القرآن الكريم هو أنه يصف خطة يهود كما لو كان القرآن الكريم حاضراً لإجتماعاتهم التآمرية فقد ورد في بروتوكولات حكماء صهيون في قولهم البروتوكول الأول :وحسبكم فأنظروا إلى هذه الحيوانات المخمورة التي أفسدها الشراب ، و إن كان لينتظر لها من وراء الحرية منافع لا حصر لها ، فهل نسمح لأنفسنا وأبناء جنسنا بمثل ما يفعلون ومن المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر ، وإنقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات والمجون المبكر الذي أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا وقهرماناتنا في البيوتات الغنية وكتبتنا ومن إليهم ، ونساؤنا في أماكن لهوهم – وإليهن أضيف من يسمين "نساء المجتمع " والرغبات من زملائهم في الفساد والترف¹⁰⁰ وعليه فسورة الإسراء او سورة بني إسرائيل هي شرح تفصيلي للفتنة التي ستصيب الامة الإسلامية مستقبلاً من جانب يهود بما أشارت إليه سورتي البقرة وآل عمران كما أسلفنا ولذا قدمت السورة وسائل العلاج لمثل هذه الفتنة ولهذا كانت إحدى سور اللواميم هي سورة العنكبوت سورة الفتنة المشروحة تفصيلاً في سورة الإسراء والله أعلم . وواجب على الامة الإسلامية مواجهة هذه الفتنة بالحكمة والتي أشارت إليها سورة لقمان وهذا يؤكد الحاجة للحكمة في مواجهة يهود . قد

⁹⁹ البقاعي "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " دار الكتاب الإسلامي " القاهرة الطبعة الثانية 1992

ج11 ص 409

¹⁰⁰ محمد خليفة التونسي "الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون " دار الكتاب العربي بيروت

الطبعة الرابعة ص 118

يسأل سائل لماذا الإسطراد في الإستشهاد ؟ أقول وبالله التوفيق إن الفتن التي أصيبت بها الأمة الإسلامية كانت نتيجة للإستعجال وعدم الحكمة في الحكم على الأمور ولا ادل من ذلك ما حصل في 11 سبتمبر والتي كانت هذه الحادثة ذريعة إتخذها الغرب للهجوم على دولتين مسلمتين فكانت فتنة حرب أفغانستان و حرب العراق التي شنتها أمريكا على هاتين الدولتين المسلمتين ولا زالت الآثار المدمرة من الهجوم على الإسلام من إفتعال المعركة تلو المعركة من أصحاب الإسلامفوبيا ولكن هذا يقودنا إلى موضوع يطول شرحه في مواجهة الفكر المنحرف وليس من أهداف البحث لكن هذا يوضح للقرئ خطورة قراءة قصة البقرة وتطبيقها العملي وأهمية موضوع هذا البحث ومما يؤكد هذه الفكرة وهي أن الحكمة هي المرحلة الأخيرة لتلاوة وتدبر القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى في سورة آل عمران : {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164)} [آل عمران: 164] ، لقد وردت هذه الآية في معرض تعقيب القرآن على احداث غزوة أحد لكن مع ملاحظة أن الحكمة رابعة في الترتيب بعد التلاوة والتركية والتعليم وهي الخطوات التي يجب إتباعها لمواجهة الأعداء المتربصين بالإسلام وجاء في نهاية اللواميم سورة السجدة والتي هي رأس المجموعة وخلاصة ما تم تداوله في اللواميم حيث أنه جرت العادة في القرآن انه في نهاية السورة يكون ملخصا لما تم تداوله في السورة والسور الأخيرة في القرآن ترتيبا تكون تلخيص للسور الطوال السابقة والله أعلم ،وعليه فإن ما جاء في نهاية سورة السجدة خلاصة لما تم تلاوته في مجموعة سور اللواميم بل وهي أعلى درجات الفهم في سور اللواميم .و سورة السجدة التي تقرأ في الركعة الاولى من صلاة الفجر يوم الجمعة . والسجود هو الوقت الذي العبد أقرب ما يكون لربه . وهذا إستشهادا لما في سورة السجدة من معان عالية ، وللتدليل على علو مكانة السجود في الإسلام ، فقد جاء في سنن أبي داود :

- حدثنا أحمد بن صالح وأحمد بن عمرو بن السرح ومحمد بن سلمة، قالوا: حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو- يعني ابن الحارث-، عن عُمارة بن غَزِيَّة، عن سُمَيٍّ مولى أَبِي، أنه سمع أبا صالح ذكوان يحدث عن أبي هريرة، أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - قال: "أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء"¹⁰¹

ولمناقشة ما جاء في سورة السجدة من بصائر فقد قال الحق تعالى في سورة السجدة : {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) } [السجدة: 4، 5] ، في هذه الآية تؤكد ان الله خلق السماوات وما بينهما في ستة أيام وهو سبحانه على كل شيء قدير وأمره أن يقول لشيء كن فيكون .فكان من الممكن أن يخلق السماوات والأرض بلحظة لكنه تعالى يعلمنا سبحانه التآني في الأمر. فالتآني هو أحد أهم دواعي الحكمة . فالتآني في فهم القرآن والتآني في التعامل مع الأحداث هو السبيل لمقاومة مؤامرات أعداء الله ، فلقد قال تعالى في كتابه العزيز: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)} [طه: 114] والآية دالة على عدم التعجل والإزدياد من العلم ، و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تأنى أصاب أو كاد ومن تعجل أخطأ أو كاد¹⁰² فبهذا الحديث يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من تعجل يكون مخطئاً أو قريباً من الخطأ ومن تأنى يكون مصيباً أو قريباً من الإصابتة فهؤلاء المتعجلون لإستتباط معاني كتاب الله بدون روية أدت إلى ما نشاهده من

¹⁰¹سنن أبي داود ت الأرئووط) 2 / 155 = (يزيد- لم يرو عنه غير عمرو بن مرة، وذكره ابن حبان في "الثقات"، والرجل المبهم يشبه أن يكون صلة بن زفر كما قال النسائي في "الكبرى" بإثر الحديث (1382). وأخرجه النسائي في "الكبرى" (660) و (735) و (1383) من طريق شعبة، بهذا الإسناد. وأخرجه أيضاً (1083) و (1382) من طريق العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة، عن طلحة بن يزيد أبي حمزة، عن حذيفة. لم يذكر الرجل من بني عيس. وهو في "مسند أحمد" (23375).
¹⁰² الجامع الصغير وزيادته (ص: 12288، بترقيم الشاملة آليا) [حكم الألباني] (ضعيف) انظر حديث رقم: 5510 في ضعيف الجامع

هجوم ظالم على الإسلام بجريرة متعجلي الفهم من كتاب الله عز وجل ، من ذلك ما تعجلوه من قول الله تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } (29) [التوبة: 29] ، وطبق المتعجلون هذا الفهم القاصر مما أحدث رداً فعل سلبية على الإسلام والمسلمين في حين أن الفهم الصحيح لهذه الآية في ظروفنا الزمانية هو أن أحكام الإسلام تتغير بتغير القوة والضعف لقول الإمام البقاعي في تفسير الآية : {مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (106) [البقرة: 106] وقال الحرالي: وهو الحق إن شاء الله تعالى. والنساء تأخير عن وقت إلى وقت، ففيه مدار بين السابق واللاحق بخلاف النسخ، لأن النسخ معقب للسابق والنساء مداول للمؤخر، وهو نمط من الخطاب عليّ خفي المنحى، لم يكد يتضح معناه لأكثر العلماء إلا للأئمة من آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخفاء الفرقان بين ما شأنه المعاقبة وما شأنه المداولة. ومن أمثاله ما وقع في النساء من نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن لحوم الأضاحي فتقبله الذين آمنوا نسخاً، وإنما كان إنساء وتأخيراً لحكم الاستمتاع بها بعد ثلاث إلى وقت زوال الدافّة التي كانت دفت عليهم من البوادي، فلم يلحق ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى فسرّه فقال: «إنما نهيتكم من أجل الدافّة» ، ففي متسع فقّهه أن أحكاماً تؤخر فتشابه النسخ من وجه ثم تعاد فتخالفه من هذا الوجه من حيث إن حكمة المنسوخ منقطعة وحكمة المنساء متراجعة. ومنه المقاتلة للعدو عند وجدان المنّة والقوة والمهادنة عند الضعف عن المقاومة هو من أحكام المنساء، وكل ما شأنه أن يمتنع في وقت لمعنى ما ثم يعود في وقت لزوال ذلك المعنى فهو من المنساء الذي أهمل علمه أكثر الناظرين وربما أضافوا أكثره إلى نمط النسخ لخفاء الفرقان بينهما؛ فبحق أن هذه الآية من جوامع أي الفرقان، فهذا حكم النساء والإنساء وهو في العلم بمنزلة تعاقب الفصول

بما اشتملت عليه من الأشياء المتعاقبة في وجه المتداولة في الجملة¹⁰³. وعليه فإن تطبيق الأحكام وقوانين الشريعة يكون بفهم بحسب قوة وضعف المسلمين وليس على الإطلاق كما فهمه المتعجلون في فهم القرآن الكريم والله أعلم .

إضافة لما سبق ففي نهاية سورة السجدة تجد خلاصة الفكرة التي طرحناها عن اللواميم فقد ورد في نهاية سورة السجدة قوله تعالى : وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24) [السجدة : 24] (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً) أَي قَادَةً وَقُدُوةً يُقْتَدَى بِهِمْ فِي دِينِهِمْ. وَالْكُوفِيُّونَ يَقْرَءُونَ " أُمَمَةً " ... يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا " أَي يَدْعُونَ الْخَلْقَ إِلَى طَاعَتِنَا. " بِأَمْرِنَا " أَي أَمْرِنَاهُمْ بِذَلِكَ. وَقِيلَ: " بِأَمْرِنَا " أَي لِأَمْرِنَا، أَي يَهْدُونَ النَّاسَ لِدِينِنَا. ثُمَّ قِيلَ: الْمُرَادُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَهُ قَتَادَةُ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ. " لَمَّا صَبَرُوا " قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ " لَمَّا " بَفَتْحِ اللَّامِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا، أَي حِينَ صَبَرُوا. وَقَرَأَ يَحْيَى وَحَمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَخَلْفٌ وَرُوَيْسٌ عَنْ يَعْقُوبَ: " لَمَّا صَبَرُوا " أَي لِمَصْبَرِهِمْ جَعَلْنَاهُمْ أُمَمَةً. وَاخْتَارَهُ أَبُو عُبَيْدٍ اعْتِبَارًا بِقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ " بِمَا صَبَرُوا " بِالْبَاءِ. وَهَذَا الصَّبْرُ صَبْرٌ عَلَى الدِّينِ وَعَلَى الْبَلَاءِ. وَقِيلَ: صَبَرُوا عَنِ الدُّنْيَا. (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أَي يَقْضِي وَيَحْكُمُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافَرِ، فَيَجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّ. وَقِيلَ: يَقْضِي بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَبَيْنَ قَوْمِهِمْ، حَكَاهُ النِّقَاشُ¹⁰⁴. مما تقدم فإنه يتبين أنهم في نهاية سورة السجدة فقد وضعت السورة خلاصة اللواميم وهي صناعة القادة الربانيين بعد أن صبروا بهذا الترتيب . وهم بذلك يصبحوا أئمة في الخير لهداية الأمة . وتذكرنا سورة السجدة وهي من اللواميم بواحد من أعظم القادة و الأئمة على الإطلاق سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام هذه السورة بالسجدة التي سجدها داود عليه السلام في محراب المسجد الأقصى إذ قال تعالى وهو يترقي بطريقة الحكم للخليفة سيدنا داود عليه الصلاة والسلام : {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ

¹⁰³ نظم الدرر ج2 ص 95

¹⁰⁴ القرطبي "الجامع لأحكام القرآن " دار الكتب العلمية بيروت 1993 ج14 ص 73

إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ (25) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) { [ص: 24 - 26] ، وقد أورد البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآيات {وحسن مآب *} أي مرجع في كل ما يؤمل من الخير، وفوق ذلك فهذا معلم ولا بد بأن هذه القضية لم يجر إلى ذكرها إلا الترقية في رتب الكمال لا غير ذلك، وأدل دليل على ما ذكرته - أن هذه الفتنة إنما هي بالتدريب في الحكم لا بامرأة ولا غيرها وأن ما ذكروه من قصة المرأة باطل وإن اشتهر فكم من باطل مشهور ومذكور هو عين الزور - قوله تعالى عقبها على هيئة الاستثمار منها صارفاً القول عن مظهر العظمة إلى المواجهة بلذيق الخطاب، على نحو ما يجري بين الأحباب {يا داود}. ولما كان مضمون الخبر لزيادة عظمة مما من شأنه أن تستكره نفوس البشر، أكد ذلك وإظهاراً لأنه مما يرغب فيه لحسنه وجميل أثره وينشط غاية النشاط لذكره فقال: {إنا} أي على ما لنا من العظمة {جعلناك} فلا تحسب لشيء من أسبابه حساباً ولا تخش له عاقبة {خليفة} أي من قبلنا تنفذ أوامرنا في عبادنا فحكمك حكمنا، وحذف ما يعلم أنه مراد من نحو {قلنا} إشارة إلى أنه استقبل بهذا الكلام الألد عند فراغه من السجود إعلاماً بصدق ظنه، وقال: {في الأرض} أي كلها إشارة إلى إطلاق أمره في جميعها،¹⁰⁵ فمقصود حادثة السجدة لسيدنا داود عليه السلام هو الترقية في الكمال حتى يكون خليفة في الأرض وبهذا تكون الأمة على طريق الإحياء بتتبع ما أمرت به ووجهت له سور اللواميم التي شرحناها آنفاً وهذا الإحياء لأئمة المسلمين يكون سبباً لإحياء أمة الإسلام وهذا الإحياء للامة يكون سبباً لإنتصار الأمة وعودتها لإعمار المسجد الأقصى والقدس المبارك بعد ان خربه الأعداء . ولهذا

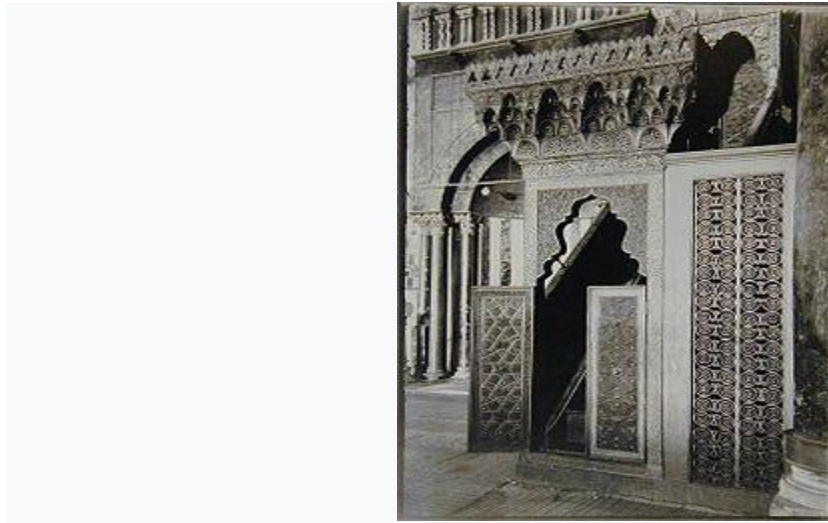
¹⁰⁵ نظم الدرر ج 16 ص 366

الإحياء والله أعلم قد كتبت سورة يس على قبة الصخرة المشرفة وتم نقشها على منبر صلاح الدين الأيوبي وقد ورد في الحديث : - حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن الفضل حَدَّثَنَا زيد حَدَّثَنَا حميد , عن عطاء , عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ , قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا وَقَلْبُ الْقُرْآنِ {يس} ¹⁰⁶

وهذا الحديث ¹⁰⁷ وهذا الحديث يدل على أن سورة ياسين بمثابة القلب للقرآن الكريم والله أعلم والحقيقة أن كتابة السورة التي تعد قلب القرآن على المسجد الأقصى ومنبر صلاح الدين الأيوبي ¹⁰⁸ ليس عملاً عشوائياً فإن في هذه السورة ما يؤكد أن موضوع السورة الرئيس هو

¹⁰⁶ السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور " دار الفكر بيروت 1993 ج 7 ص 39

¹⁰⁷ أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن لكل شيء قلباً، و (قلب) القرآن يس)). قال: لا نعلم رواه إلا زيد بن حميد. [1550] حدثنا يوسف بن موسى، ثنا وكيع، ثنا إسرائيل، عن ثوير بن أبي فاختة، عن أبيه، عن علي قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم [يجب سورة (سبح اسم ربك الأعلى) [قال البزار: لا نعلمه يروى عن علي إلا بهذا الإسناد]. ¹⁰⁸ البحث حسب المرفقات أدناه



منبر صلاح الدين

منبر صلاح الدين هو منبر أمر ببنائه نور الدين زنكي سنة 563 هـ ليضعه في المسجد الأقصى بعد أن يقوم بفتح المدينة. وقد صنع هذا المنبر في دمشق بواسطة مهرة الحرفيين من دمشق وحلب. وبالفعل نقل هذا المنبر إلى القدس بعد فتحها على يد صلاح الدين الأيوبي بعد أن فتح القدس فأمر بنقله ونصبه في المسجد

إحياء الأمة ثم أخبر سبحانه بإحيائه الموتى ، فقال : { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى } أي : نبعثهم بعد الموت . وقال الحسن ، والضحاك ، أي : نحْيِيهم بالإيمان بعد الجهل ، والأول أولى . ثم توعدهم بكتب آثارهم ، فقال : { وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا } أي : أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة { وَءَاثَارَهُمْ } أي : ما أبقوه من الحسنات التي لا ينقطع نفعها بعد الموت.¹⁰⁹ وعليه فسورة يسن تتحدث عن إحياء الأمة والآثار ما بعد الموت وهو بقاء الإحياء بعد الموت وهو العمل الصالح الذي يبقى بعد وفاة صاحبه وهو إحياء الأمة . بل إن القصة الأبرز في سورة ياسين هي قصة حبيب النجار رحمه الله والتي وردت في قوله تعالى : وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27) [يس : 20 - 27] والآيات تتحدث عن حبيب النجار وهو المدعو الذي أسلم على يد الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام لأنطاكية ليدعو أهل تلك القرية للإسلام وقدم المدعو الذي إستجاب للدعوة أعظم تضحية بدعوة قومه إلى الدين الحق الذي آمن به فكان حبيب النجار مثالا عمليا لما ذكرته سورة ياسين لقوله تعالى : إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12) [يس : 12] فكان الإحياء هو خروج حبيب النجار صاحب قصة سورة ياسين حيث أسلم ودعا و إستشهد دفاعا عن عقيدة الإسلام .وهو بهذا يكون نتاجا لدعوة أتباع عيسى عليه السلام والذي وصفهم تعالى بأنهم : إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا

الأقصى حيث خطب عليه قاضي دمشق محيي الدين بن الزنكي خطبة الجمعة بعدما غابت عن المسجد حوالي 90 عاماً هي فترة الاحتلال الصليبي.^[1]

¹⁰⁹ الإمام الشوكاني في كتابه فتح القدير دار ابن حزم بيروت سنة 2000 الطبعة الأولى ص 1464

عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) [آل عمران : 55]

فقصة سورة ياسين توضح بجلاء أن النصر للأمة الإسلامية يكون بتبني خط الدعوة إلى الله والذي يكون نهايته النصر ويؤكد هذا المعنى ما ورد في سورة الصف حيث قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14) [الصف : 14] ، قد يتساءل البعض كيف أصبح الحواريون ظاهرين والاحداث تثبت ان يهود صلبوا شبيهه عيسى ابن مريم . بعبارة اخرى أن يهود كانوا على الأرض متنفذين مع من تأمروا معه ولا يعنينا من الذي تأمروا معه . لكن كيف تفسر "ظهور الحواريين " مع هذا الوضع المادي الذي يثبت تفوق أعداء الحواريين عليهم .

قال البقاعي رحمه الله : ولما كان الظفر بالمحبيب أحب ما يكون إذا كان أول النهار ، تسبب عن تأييده قوله : (فأصبحوا) أي صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل (ظاهرين) أي عالين غالبين قاهرين في أقوالهم وأفعالهم لا يخافون أحداً إلا الله ولا يستخفون منه ، فالتأييد تارة يكون بالعلم وتارة بالفعل علمه شديد القوى { [النجم: 5] فصار علمه في غاية الأحكام وتبعته قوة هي في منتهى التمام، لأنه ناشيء عن علم مستفاد من قوة، وإلا لقال: علمه كثير العلم. {قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك} [النمل: 40] قوة مستفادة من علم، والظاهر كما هو ظاهر قوله تعالى: {جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة} [آل عمران: 55] وغيرها أن تأييد المؤمنين به كان بعد رفعه بيسير حين ظهر¹¹⁰

نعم إن الثبات على كتاب الله عز وجل هو الطريق للقوة كما قال البقاعي أنفا والذي سيؤدي الثبات على كتاب الله حتما للنصر المبين ولذلك قال تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَأَمَّا نُزَيْتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعُلُونَ (46)
 [يونس : 46] ، فالآية واضحة تماما إما ان ترى النصر بأم عينك أو يأتي الأجل فيراه من
 بعدك . فالنصر حتمي لمن ثبت على كتاب الله عز وجل ، وعليه فالدعوة إلى الله هي طريق
 إحياء الأمة بعد الثبات على كتاب الله وهي مهمة الرسل والتي صارت من مهام هذه الأمة
 المحمدية وذلك في قوله تعالى : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) [آل عمران : 104] .

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في كتابه: "جامع بيان العلم وفضله"(رقم:175) :
 "وَأَخْبَرَنَا خَلْفُ بْنُ أَحْمَدَ ، نا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ ، نا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ، نا ابْنُ وَضَّاحٍ ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ
 بْنُ عَمْرٍو ، ثنا ابْنُ أَبِي خَيْرَةَ ، ثنا عَمْرُو بْنُ كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ ، عَنِ الْحَسَنِ ، قَالَ :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الْإِسْلَامَ
 فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ " .¹¹¹

قال ملا علي القاري رحمه الله في: "مرقاة المفاتيح"(رقم: 249) : " (قال : قال رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم : من جاءه الموت وهو يطلب العلم) : الجملة الاسمية من المفعول في "
 جاءه " ، أي : من أدركه الموت في حال استمراره في طلب العلم ونشره ودعوة الناس إلى

¹¹¹ جامع الأحاديث (20/ 217 ، بترقيم الشاملة آليا) أخرجه الطبراني (291/12 ، رقم 13149) . قال
 الهيثمي (2/4) : فيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف.

-21933 من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة (الطبراني عن
 ابن عباس) أخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط (9/ 174 ، رقم 9454) قال الهيثمي (1/ 123) : فيه محمد
 بن الجعد وهو متروك.

-21934 من جاءه أجله وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام لم يفضلته النبيون إلا بدرجة (الخطيب عن سعيد
 بن المسيب عن ابن عباس)

أخرجه الخطيب (3/ 78) . وأخرجه أيضاً: الديلمي (3/ 559 ، رقم 5755).

-21935 من جاءه الموت وهو يطلب العلم يحيى به الإسلام لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة في الجنة
 (ابن عساكر عن الحسن مرسلاً. ابن النجار عن الحسن عن أنس)
 حديث الحسن المرسل: أخرجه ابن عساكر (51/ 61).

الصرط المستقيم (ليحيي به الإسلام) أي : لإحياء الدين عما اندرس قواعده وأحكامه ببنائها لا لغرض فاسد من المال والجاه (فبينه وبين النبيين درجة واحدة) : وهي مرتبة النبوة (في الجنة) " : أردفها بواحدة ، لأن الكلام قد سبق للعدد ، وقد سبق : إن وارث الأنبياء هم العلماء الزاهدون الداعون الخلق إلى الحق فيحبون الإسلام ، كذا قاله الطيبي ، وتوضيحه في كلام الأبهري : أكد الدرجة بواحدة لأنها تدل على الجنسية وعلى العدد ، والذي سبق له الكلام هو العدد الحاصل أن العلماء العاملين المخلصين لم تفتهم إلا درجة الوحي " .

المطلب الثاني: الكتاب:

كما سبق آنفا في شرح اللواميم فإن محور سورة البقرة هو "ذلك الكتاب " وهو القرآن الكريم و"الكتاب" من الكتب وهو وصل الشيء المنفصل بوصلة خفية من أصله كالخرز في الجلد بقدر منه والخياطة في الثوب بشيء من جنسه ليكون أقرب لصورة إتصاله الأول ، فسمي به ما ألزم الناس من الأحكام وما أثبت بالرقوم من الكلام ، ¹¹² أقول إن كتاب الله العزيز هو حبل الله المتين الذي نعتصم به لقوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)﴾ [آل عمران: 103] ، والحبل في هذه الآية هو كتاب الله عز وجل . وبهذا فإن حبل الله يربط الأمة برباط الأخوة في الله وهي وصلة خفية لعناصر منفصلة من الأمة وهذه الوصلة الخفية أغلى و أثمن من أية وصلة وذلك لقوله تعالى : وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63) [الأنفال : 62 ، 63] ، وهذه الآية تتضمن إستحالات ثلاث وهي أن تنفق

¹¹² نظم الدرر ج 1 ص 80

ما في الأرض جميعا لأن الناس في الأرض لهم مطالب وحاجات لأنفسهم فلا يمكن إقطاع حظوظهم من مال الله لتنفقه على تحقيق الإخوة بين المسلمين والثانية أن تنفق ما في الأرض جميعا لتحقيق أخوتهم فلو سلمنا جدلا أنك لديك كل ما في الأرض جميعا فهناك مطالب مادية لإخوانك تستقطع من المال الموجود عندك والمخصص لتحقيق أخوتهم والإستحالة الثالثة أن تحقق أخوتهم وذلك أن الدنيا إذا وجدت بين يدي المسلمين دب الحسد بينهم فثبت بهذا أن الرابط بين المسلمين أغلى و أوثق من كل رابطة بل وأغلى و أوثق من كل مال في الدنيا . أقول إن كتاب الله أوجد الأخوة بين المسلمين فصاروا لحمة واحدة ، ثم كان المعنى الثاني للكتاب وهو الجمع فكتاب الله الموجه لنا في أمور دنيانا وآخرتنا لقوله تعالى لأنه جمع تفصيل كل شيء وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89) [الإسراء : 89] ، ولأن كتاب الله يجيب على كل مسألة وقضية لقوله تعالى في الآية 89 من كل مثل . فأصبح موجهها لنا في حياتنا ولذلك أورد البقاعي رحمه الله في كتابه نظم الدرر : إشارة إلى أن هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا خليفة من أولي العزم من الرسل يرشدنا في كل أمر إلى صواب المخرج منه فمن أعرض خاب ، ومن تردد كاد ، ومن أجاب إتقى وأجاد .¹¹³ ولذا كانت خطبة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه في عهده كما أوردها الإمام الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء "وهذا كتاب الله فيكم لا تغنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره ، فصدقوا قوله ، وإنصحوا كتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنما خلقكم للعبادة" ¹¹⁴ ، مما سبق فإن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر الصديق رضي الله عنه يوجهنا لأن نستلهم الحلول للمشاكل والفتن التي تعصف بالأمة والتي تواجهنا بكتاب الله فهو أي كتاب الله يوجد لحمة الأخوة بين المسلمين ويوجههم وهو بهذا يكون طريقا لإحياء الأمة الإسلامية

¹¹³ نظم الدرر ج1 ص 56

¹¹⁴ للحافظ أبي نعيم الأصبهاني حلية الأولياء وطبقات الأصفياء دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة

1980 ج1 ص 35

وهي مدار معجزة قصة البقرة وهي عملية الإحياء بواسطة أفراد أمة الإسلام بعد وفاة نبيها عليه الصلاة والسلام وكما أن كتاب الله يحيي قلوب أفراد الأمة ويوجه الأمة حكاما ومحكومين فهو أيضا كتاب الله يقوم أي إعوجاج في الأمة أثناء مسيرتها . وهو أي كتاب الله القرآن من أمهات النعم لأنه كلام الله المحفوظ الذي لم يتبدل ولم يتغير . وفيه أي القرآن الكريم إجابة على كل سؤال وإستفسار يحتاجه الإنسان المسلم بشرط عدم الإستعجال كما قال تعالى في وصف القرآن في سورة الكهف : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْزَلَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) [الكهف : 1 ، 2] ، وقد مضى في الفاتحة ثم في الأنعام عن الإمام سعد الدين التفتازاني الشافعي رحمه الله أن كل سورة افتتحت بالحمد فلإشارة إلى نعمة من أمهات النعم التي هي إيجاد وإبقاء أولاً، وإيجاد وإبقاء ثانياً، وأنه أشير في الفاتحة لكونها أم الكتاب إلى الأربع، وفي الأنعام إلى الإيجاد الأول وهو ظاهر، وفي هذه السورة إلى الإبقاء الأول، فإن نظام العالم وبقاء النوع الإنساني يكون بالنبي والكتاب¹¹⁵. وفي آيتي سورة الكهف فإن واحدة من أم النعم هي وجود هذا الكتاب كما شرحنا آنفا . وهو معجزة الله الخالدة الذي تحدى بها سبحانه البشر بأن يأتوا بمثله وبه يتم إحياء الأمة ومعالجة كل أمورها ، ففي قصة البقرة إحتاج يهود لذبح بقرة ليتضح لهم جوانب مؤامرة عليهم . ولكننا أي المسلمون ترك الله فينا ما يكشف ويوضح لنا كل المؤامرات كأنما بقرة بني إسرائيل تذبح في كل وقت لكشف كل مؤامرة فالحمد لله على نعمة القرآن العزيز وذلك لقوله تعالى : وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89) [الإسراء : 89] ، طبعا الملاحظة المهمة في هذا الموضوع أن الآيات التي ذكرناها آنفا وردتا في سورتي الإسراء والكهف واللذان نزلتا بسبب أسئلة أعطاهما يهود لقريش لتمتحن نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأجاب نبينا صلى الله عليه وسلم وكفر يهود والمشركون في

¹¹⁵ نظم الدرر ج 12 ص 4

مكة عن علم متيقنين من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فإن عدم إيمان ذلك لكونهم معاندين لله والرسول صلى الله عليه وسلم وقد وصف البقاعي رحمه الله العناد في قوله "والعناد - كما قال الملوي: من كبر في النفس أو يبس في الطبع أو شراسة في الأخلاق أو خبل في العقل، وقد جمع ذلك كله إبليس،"¹¹⁶ ، ويهود قد جمعوا صفات إبليس آنفا كلها لمعرفتهم الأكيدة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولذا فإن السورتان اللتان أجابتا عن أسئلة يهود المتعنتة هي سورة الكهف وسورة الإسراء ، فالسورتان تتحدثان في أحد محاورهما هو تعنت يهود في التعامل مع الدين الإسلامي فأفادت هذه الآية في سورة الكهف كفاية القرآن لصد تأمر يهود وغيرهم على الإسلام والمسلمين والحمد لله رب العالمين على نعمة القرآن الكريم .

المطلب الثالث تقسيم المجتمع لمؤمنين وكفار ومنافقين :

طبعا في هذا التقسيم لهذا المجتمع هو للمؤمنين والكافرين والمنافقين . والمؤمنون في هذه السورة سورة البقرة هم المهاجرين والأنصار الذين كونوا القاعدة الصلبة في المدينة . والذين مدحهم تعالى في سورة الحشر في قوله تعالى : لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) [الحشر : 8 ، 9] ، وهذه القاعدة الإيمانية الصلبة هي التي أجبرت المنافقين على التظاهر بالإسلام خوفا من بأسها . ومن ثم كانت طائفة المنافقين المرتع الخصب لمؤامرات يهود التي كانوا ينفذونها في جسم الأمة الإسلامية في المدينة المنورة ، وبالتالي كان هذا هو المحرك لظهور "نظرية المؤامرة " في قصة ذبح البقرة فلقد حدثت مؤامرة في قصة البقرة لقوله تعالى :

¹¹⁶ نظم الدرر ج 21 ص 50

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) [البقرة : 72] فأخفوا قتلهم للقتيل وتدافعوا التهمة كل ينفي التهمة عن نفسه .وكذا فعل المنافقون حيث كانوا يدفعون عن أنفسهم تهمة التآمر على الإسلام والمسلمين ويتشارك تآمر المنافقين ومؤامرة قصة البقرة في أن الله "مخرج" أي مظهر هذه المؤامرة وكل مؤامرات بني إسرائيل مع ملاحظة أن الخطاب في الآية مع أفراد بني إسرائيل الذين كانوا يعيشون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : فَادَّارَأْتُمْ لأنهم راضون بفعل أجدادهم بل وسائرون عليها بل هم أكثر سوءاً من أجدادهم .وإن هذا المعنى يبدو واضحاً من خشية المنافقين أتباع يهود من إفتضاح أمرهم وذلك في قوله تعالى عن المنافقين : {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64)} [التوبة: 64] ، قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : {يحذر المنافقون} وعبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيراً لهم من أدنى النفاق فإنه يجر إلى أعلاه {أن تنزل} ولما كانت السورة الفاضحة لهم داهية ونائبة من نوائب الدهر وشدائده، عدى الفعل بعلی فقال: {عليهم سورة} أي قطعة من القرآن شديدة الانتظام {تنبئهم} أي تخبرهم إخبار عظيمًا مستقصي {بما في قلوبهم} لم يظهروا عليه أحداً من غيرهم أو أحداً مطلقاً، لعل هذا الصنف كانوا يسلفون الأيمان لعلها تشكك بعض الناس أو تخفف عنهم إذا نزل ما يهتكهم، روي أنهم كانوا يقولون ما يؤدي ويدل على النفاق ويقولون: عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا، وقال بعضهم بعد كلام قالوه: والله إني لأرانا شر خلق الله ولوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا¹¹⁷.

ويجمع ما بين يهود في قصة البقرة والمنافقين مؤامرتهم وخشيتهم من الفضيحة والله تعالى كاشف تآمرهم ومؤامراتهم سواء كانوا منافقي المدينة المنورة في عهد رسول الله صلى الله عليه

¹¹⁷ البقاعي "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" دار الكتاب الإسلامي القاهرة الطبعة الثانية سنة 1992 ج8 ص 515

وسلم أو في عصرنا هذا أو بالأحرى في كل عصر وهذا يفسر لنا الهجوم على علماء التفسير بتشويه السمعة أو القتل إن استطاعوا لذلك سبيلا وذلك لشدة وقع آيات الله على المنافقين و من هنا نفهم أهمية قصة البقرة التي تمثل نموذجا لهذا التآمر من المنافقين ويهود بكتاب الله العزيز .

المطلب الرابع: بنو إسرائيل:

موضوع قصة البقرة هو بني إسرائيل وما ورد إجمالاً عن مؤامرة بني إسرائيل في سورة البقرة ورد تفصيلاً في سورة الإسراء ولقد أفرد الحق تعالى سورة بإسم بني إسرائيل وهي سورة الإسراء ووصفهم بالفساد وهو موضوع قصة البقرة لقوله تعالى : وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا (4) ، أورد الطبري في تفسير هذه الآية : (لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) يقول: لتعصن الله يا معشر بني إسرائيل ولتخالفن أمره في بلاده مرتين (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا) يقول: ولتستكبرن على الله باجترائكم عليه استكبارا شديدا ¹¹⁸ وفساد بني إسرائيل في هذه الأيام أوضح ما يكون في الأرض المقدسة وغيرها و أما في قصة البقرة التي نحن بصددنا فأصل القصة فسادهم وقتلهم الرجل الثري ليرث ابن أخيه ثروته كما سيأتي في تفسير القصة لكن العبرة والرباط بين القصة وبني إسرائيل هو فضح الله لمخططات بني إسرائيل وإحباطها في حال قتالهم لجهة مؤمنة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وكمثال على فضح مؤامراتهم وتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أفادت به السيدة صفية بنت حيي رضي الله عنها وأرضاها حيث أورد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية : وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حَدَّثَنِي مُحَدَّثٌ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ أَبِي وَعَمِّي أَحَبَّ إِلَيْهِمَا مِنِّي، لَمْ أَلْقُهُمَا فِي وَلَدٍ لَهُمَا قَطُّ أَهْشُ إِلَيْهِمَا

¹¹⁸ الطبري جامع البيان في تأويل القرآن دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 1997 ج 8 ص 20

إِلَّا أَخَذَانِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبَاءَ - قَرْيَةَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ - غَدَا إِلَيْهِ أَبِي وَعَمِّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبِ مَغْلَسِينَ، فَوَلَّى اللَّهُ مَا جَاءَنَا إِلَّا مَعَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، فَجَاءَنَا فَاتَرَيْنِ كَسَلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهَوِينَا، فَهَشَشْتَ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ فَوَلَّى اللَّهُ مَا نَظَرَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، فَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ يَقُولُ لِأَبِي: أَهْوَ هُوَ؟ قَالَ نَعَمْ وَاللَّهِ! قَالَ تَعْرِفُهُ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ؟ قَالَ نَعَمْ وَاللَّهِ! قَالَ فَمَاذَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ؟ قَالَ عَدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ. وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ أَبَا يَاسِرٍ بَنَ أَخْطَبَ حِينَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ذَهَبَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ مِنْهُ وَحَادَثَهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَطِيعُونَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالَّذِي كُنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ، فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تُخَالِفُوهُ فَانْطَلَقَ أَخُوهُ حَيُّ بْنُ أَخْطَبَ - وَهُوَ يَوْمئِذٍ سَيِّدُ الْيَهُودِ، وَهُمَا مِنْ بَنِي النَّضِيرِ - فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَسَمِعَ مِنْهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ - وَكَانَ فِيهِمْ مُطَاعًا - فَقَالَ: أَتَيْتُ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ وَاللَّهِ لَا أَزَالُ لَهُ عَدُوًّا أَبَدًا. فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ أَبُو يَاسِرٍ يَا ابْنَ أُمِّ أَطْعَنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ وَاعْصِنِي فِيمَا شِئْتُ بَعْدَهُ لَا تَهْلِكْ، قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَطِيعُكَ أَبَدًا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَاتَّبَعَهُ قَوْمُهُ عَلَى رَأْيِهِ. قُلْتُ: أَمَّا أَبُو يَاسِرٍ وَاسْمُهُ حَيُّ بْنُ أَخْطَبَ [1] فَلَا أَذْرِي مَا آَلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، وَأَمَّا حَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَالِدُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ فَشَرِبَ عَدَاوَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابَّةً لَعَنَهُ اللَّهُ حَتَّى قُتِلَ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ قَتْلِ مُقَاتِلَةَ بَنِي قُرَيْظَةَ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ¹¹⁹.

وما حادثة حيي بن أخطب إلا واحدة من عدة حوادث والتي يتم فضحهم في فضيحة تلو أخرى وفي قصة البقرة حاول القاتل ومن معه من بني إسرائيل تأخير فضحهم ما استطاعوا لذلك سبيلا ولكن دون جدوى لأن الله هو المتولي فضحهم وإبطال كيدهم وهذا مما نفهمه من قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56)، قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: "فأما الذين كفروا"، فأما الذين جحدوا نبوتك يا عيسى،

¹¹⁹ ابن كثير البداية والنهاية دار الفكر بيروت ج3 ص 212

وخالفوا ملتك، وكذبوا بما جئتهم به من الحق، وقالوا فيك الباطل، وأضافوك إلى غير الذي ينبغي أن يُضيفوك إليه، من اليهود والنصارى وسائر أصناف الأديان، فإني أعذبهم عذاباً شديداً، أما في الدنيا فبالقتل والسبأ والذلة والمسكنة، وأما في الآخرة فبنار جهنم خالدين فيها أبداً "وما لهم من ناصرين"، يقول: وما لهم من عذاب الله مانع، ولا عن أليم عقابه لهم دافع بقوة ولا شفاعاة، لأنه العزيز ذو الانتقام¹²⁰ والآية أعلاه تتكلم عن يهود وهم من كذب عيسى عليه السلام وعليه فإن مؤامرات بني إسرائيل محكومة بالفشل حتماً قطعاً إن شاء الله تحقيقاً ومهما وجد بنو إسرائيل من دعم لمخططاتهم فمالها الفشل والخزي في الدنيا والآخرة طبعاً وليحقق بنو إسرائيل مخططاتهم في بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى المبارك فهذا يتطلب سلسلة من المؤامرات لتحقيق هذا الهدف وبهذا نفهم أهمية قصة البقرة التي توضح نهاية هذه المؤامرات بل وأشار القرآن صراحة لهذا المعنى في سورة الأنفال وهو فشل مؤامرات يهود في حال وجود الفئة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ففي تفسير قوله تعالى : إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) [الأنفال : 55 ، 56] ، ولعله إنما خص آل فرعون تذكيراً - لأكثر من كان يقول (غرَّ هؤلاء دينهم) وهم - اليهود - بأنهم كانوا بالنسبة إلى فرعون وآله اضعف من الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة إلى قريش وأتباعهم، فإن اليهود مع قتلهم عندهم كانوا قد دانوا لهم بذل العبيد لمواليهم بل أعظم ، ومع ذلك فإنهم نصرُوا عليهم لما كان الله معهم ، وإعلاماً لهم بأنهم الآن كآل فرعون في العناد مع ما هم من القلة والذلة، فقد جمعوا من كل قوم أخس صفاتهم وأردأ حالاتهم ، ولذلك أبدل من عموم (الذين كفروا) (الذين عاهدت منهم) وهم اليهود بلا شك ، إما بنو قينقاع أو النضير أو قريظة أو الجميع بحسب التوزيع ، فكل منهم نقض ما كان اخذ عليه (صلى الله عليه وسلم) من العهود ، وأخلف ما

¹²⁰ الطبري جامع البيان في تأويل القرآن دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 1997 ج 3 ص 292

كان أكده من الوعود.¹²¹ ، إن يهود الناقضين للعهد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هم شر الدواب أسوأ أنواع البهائم على الإطلاق . لم يعملوا عقولهم بل تمادوا بنقض العهد مرة بعد مرة وهم لا يتقون عذاب الله في الدنيا الذي آتاهم مرة بعد مرة والآخرة وسيأتي تفصيل ذلك في تطبيق قصة البقرة في أحداث السيرة النبوية إن شاء الله تعالى : وقد أكد الله تعالى هذا المعنى في سورة الإسراء في قوله تعالى

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا 3 الإسراء. ثم ذكره ثمرة كتاب موسى عليه السلام فقال تعالى : (وجعلناه) أي بالكتاب ، بما لنا من العظمة (هدى) ، ولما كان هذا التتوين يمكن أن يكون للتعظيم يستغرق الهدى ، بين الحال بقوله : (لبني إسرائيل) بالحمل على العدل في التوحيد والأحكام ، و أسرينا بموسى عليه السلام وبقومه من مصر إلى بلاد المسجد الأقصى ، فأقاموا سائرين إليها أربعين سنة ولم يصلوا ، ومات كل من خرج منهم من خرج منهم من مصر إلا (النقيبين الموفين) بالعهد ، فقد بان الفصل بين الإسرائيليين كما بان الفصل بين الكتابيين ، فذكر الإسراء أولاً دليل على حذف مثله لموسى عليه السلام ثانياً ، وذكر إيتاء الكتاب ثانياً دليل على حذف مثله أولاً ، فالآية من الاحتباك ؛ ثم نبه على أن المراد من ذلك كله التوحيد اعتقاداً وعبادة بقوله تعالى : (ألا) أي لئلا (تتخذوا) بالياء التحتية في قراءة أبي عمرو ، وبالفوقانية في قراءة الباقيين فنبه بصيغة الافتعال على أنه - لكثرة ما على وحدانيته من الدلائل ، وله إلى خلقه من المزايا والفضائل - لا يعدل عنه إلى غيره إلا بتكليف عظيم من النفس ، ومنازعة بين الهوى والعقل وما فطر سبحانه عليه النفوس من الإنقياد إليه والإقبال عليه ، ونفر من له همة عليه ونفس أبيه من الشرك بقوله منبهاً بالجار على تكاثر الرتب دون رتبة عظمتة سبحانه وعد الاستغراق لها ، تاركاً نون العظمة للتنصيص على المراد من دون لبس بوجه : (

¹²¹ نظم الدرر ج8 ص309

من دوني (وقال تعالى : (وكيلاً) أي رباً يكون أمورهم إليه ويعتمدون عليه من صنم ولا غيره ، لتقريب إليه بشفاعة ولا غيرها - منبهاً بذكر الوكالة على سفه آرائهم في ترك من يكفي في كل شيء إلى من لا كفاية عنده لشيء ، ثم أتبعه ما يدل على شرفهم بشرف أبيهم ، وأنه لم ينفعهم إدلاءهم إليه - عند إرادة الانتقام - بما ارتكبوا من الإجماع ¹²² ، أقول والله أعلم إن الله تعالى أنجى بني إسرائيل من فرعون وهم أذل قوم عند أظغى طاغية وكانت التوراة عند سيدنا موسى عليه السلام و أخبر تعالى بني إسرائيل أن لا سبيل لهم لأن يتكلموا على أموالهم ولا مؤامراتهم لأنهم مهما فعلوا فلن يسبقوا قدر الله الذي هزم فرعون مع علوه و تجبره على بني إسرائيل مع ذل وهوان بني إسرائيل بالنسبة لفرعون وبالتالي هم سيهزمون أمام المسلمين وستكون نتيجة مؤامراتهم الفشل والهزيمة كما هزم فرعون سابقاً . ومهما حاولوا هم ومن يؤيدهم فلن يسبقوا قدر الله : أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4) [العنكبوت : 4] ، وقد وردت الآية في سورة العنكبوت والتي أفاد البقاعي عن هدف السورة فقال مقصودها الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعاء إلى الله تعالى وحمده من غير فترة ، كما ختمت به السورة الماضية ، من غير تعريج على غيره سبحانه أصلاً ، لئلا يكون مثلاً الفرج عند المتعوض عوضاً منه مثلاً العنكبوت ، فهي سورة ضعف الكافرين وقوة المؤمنين ¹²³ ، أما بالنسبة للآية التي نحن بصددتها فقد قال البقاعي رحمه الله : (أم حسب) أي ظن ظناً يمشي له ويستمر عليه ، فلا يبين له جهله فيه بأمر يحسبه فلا يشتبه عليه بوجه (الذين يعملون السيئات) أي التي منعناهم بأدلة النقل المؤيدة ببراهين العقل منها بالنهي عنها ، ووضع موضع المفعولين ما اشتمل على مسند ومسند إليه من قوله : (أن يسبقونا) أي يفوتونا فوت السابق لغيره فيعجزونا فلا نقدر عليهم في الدنيا بإمضاء ما قدرناه

¹²² نظم الدرر ج11 ص 302

¹²³ نظم الدرر ج14 ص 384

عليهم في الدنيا بامضاء ما قدرناه عليهم من خير وشر في أوقاته التي ضربناها له ، وفي الدار الآخرة بأن نحبيهم بعد أن نميتهم ، ثم نحشرهم إلى محل الجزاء صغرة داخرين ، فنجازيهم على ما عملوا ونقتص لمن أساءوا إليه منهم ، ويظهر تحليلنا بصفة العدل فيهم. ولما أنكر هذا ، عجب ممن يحوك ذلك في صدره تعظيماً لإنكار فقال : (ساء ما يحكمون) أي ما أسوأ هذا الذي أوقعوا الحكم به لأنفسهم لأن أضعفهم عقلاً لا يرضى لعبيده أن يظلم بعضهم بعضاً ثم لا ينصف بينهم فكيف يظنون بنا ما لا يرضونه لأنفسهم .¹²⁴ ، فيهود يظنون ظنا خائبا وخاسرا وذلك لسوء ظنهم بالله وهو أنهم بأموالهم ونفوذهم الناتج عن مؤامراتهم يستطيعوا أن يفعلوا ما يريدون . فاعتقدوا بمالهم ما يعتقده العابد بربه فاتكلوا على أموالهم . فبنوا على هذا الظن السيء مؤامراتهم . في الحقيقة هم عبدوا أموالهم وذهبهم متكلين عليه للوصول إلى مآربهم . بل و أشربوا في قلوبهم العجل وهذه المؤامرات مصيرها الفشل لأن العليم الخبير يراقب فعلهم ويحبطه وفي ظن يهود السيء و ظن غيرهم في قول الله تعالى : **وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)** [فصلت: 23]، ففي سورة البقرة يضرب الله أمثالا مما سيقع في خلافة الأمة الإسلامية مما وقع في تمكين بني إسرائيل. بعبارة أخرى إن محور سورة البقرة هو الإستخلاف في الأرض فهي لتبين الأمة محاذير الخلافة والضعف الذي ينتابها بعد التمكين. فهو كلام موجه للأمة الإسلامية بمثال بني إسرائيل كالمثل المشهور إياك أعني وإسمعي يا جارة وأحد جوانب الإستخلاف مواجهة نظرية المؤامرة لكن الله تعالى فصل في سورة الإسراء تحليلا لأساليب يهود في إفساد الأمة وموقفهم من الدعوة مستقبلا والخطة المضادة لهذا العمل اليهودي الذي تحقق بنبوءة القرآن الكريم بإفساد يهود المتوقع هذا والله أعلم فما ذكر في البقرة إجمالا تم شرحه تفصيلا في سورة الإسراء سورة بني إسرائيل ولهذا كان الإستشهاد أعلاه.

¹²⁴ نظم الدرر ج 14 ص 392

المبحث الثالث: علاقة قصة البقرة وترباطها مع سورة البقرة:

المطلب الأول : آيات التمهيد لقصة البقرة "ولقد علمتم الذين إعتدوا منكم في السبت إن كتاب الله كعقد الدرر منتظمة بعضها مع بعض مترابطة تمهد الآيات السابقة للآيات اللاحقة وهو في الحقيقة ما إعتمه الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " وعليه فالآيات التي سبقت قصة البقرة هي تمهيد لقصة البقرة نفسها، ولقد سبقت قصة البقرة قصة الذين إعتدوا في السبت فإنهم في قصة المعتدين في السبت وكان تحايلا من يهود على أوامر شرعية هم من تسبب بها لأنهم أي يهود رفضوا أن يكون يوم راحتهم يوم الجمعة فتعننوا فكان يوم السبت يوم راحتهم فإمتحنهم الله فيما طلبوه . فكان تحايلا على أمر شرعي تعبدي . فكانت هذه القصة تمهيد لتحاييل أشد في مسألة تهمهم كمجتمع فتحايلا على أمر ما نزل إلا لمصلحتهم لئلا يحصل إقتتال داخلي بين بني إسرائيل في تحديد قاتل القتل فتحقن الدماء فقال تعالى : "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُنْتَقِينَ (66) [البقرة : 65 - 67]، قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : ثم جاءت قصة المعتدين في السبت مؤكدة لذلك إذ كان حاصلها أنهم لما ضيعوا أمراً واحداً من أوامره واستخفوا به وهو تحريم السبت عذبهم بعذاب لم يعذب به أحداً من العالمين فقال : ولقد وأقرب من ذلك أن يقال إنه سبحانه لما ذكرهم بنعمة العفو الحافظ لهم من الخسران قرعهم بخلافة¹²⁵ أخرى لهم خذل بها فريقاً منهم حتى غلبهم الخسران فما ضروا إلا أنفسهم مقسماً على أنهم بها عالمون ولها مستحضرون فقال تعالى عاطفاً على ما تقديره : لقد علمتم جميع ذلك من عهودنا وما ذكرنا من الإيقاع بمن نقض من شديد وعيدنا ومن التهديد على ذلك بضرب الذلة وما تبعها من أنواع النكال و (لقد) أي وعزتي لقد (علمتم الذين اعتدوا) أي تعمدوا العدوان (منكم في السبت) بأن استحلوه وأصل السبت القطع للعمل ونحوه

¹²⁵ الموجود في نسخة نظم الدرر خلافة لكني عدلتها لـ "خلافة" ليستقيم المعنى والله أعلم

(فقلنا) أي فتسبب عن اعتدائهم أن قلنا بما لنا من العظمة (لهم كونوا) بإرادتنا (قرده خاسئين) أي صاغرين مطرودين جمع خاسئ من الخسئ وهو طرد بكره واستخبات ، وسبب ذلك أن الله تعالى أمرهم بيوم الجمعة فأبوا إلا السبت ، فألزمهم الله إياه وجعله لهم محنة وحرمة عليهم فيه العمل ، فاصطادوا على تهيب وخوف من العقوبة ، فلما طال زمن عفوه عنهم وحلمه سبحانه فتجاهروا بالمعصية مسخ منهم من عصى بالمباشرة ومن سكت عن النهي عن المنكر (فجعلناها) أي فتسبب عن قولنا إنهم كانوا قرده كما قلنا ، فجعلنا هذه العقوبة (نكالا) أي قيداً مانعاً (لما بين يديها) من المعاصي من أهل عالمها الشاهدين لها (وما خلفها) ممن جاء بعدهم ، روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والنكال إبداء العقوبة لمن يتعظ بها ، واليد ما به تظهر أعيان الأشياء وصورها أعلاها وأدناها ، فلذلك ثبتت لأنها يد عليا هي اليمنى ويد دنيا هي اليسرى ، والخلف ما يخلفه المتوجه في توجهه فينطمس عن حواس إقباله شهوده - قاله الحرالي. وقال (وموعظة) من الوعظ وهو دعوة الأشياء بما فيها من العبرة للانقياد للإله الحق بما يخوفها في مقابلة التذكير بما يرجيها ويبسطها (للمتقين) وقد أشعر هذا أن التقوى عصمة من كل محذور وأن النقم تقع في غيرهم وعظاً لهم. ولما بين تعالى قساوتهم في حقوقه عامة ثم خاصة اتبعه بيان جساوتهم في مصالح أنفسهم لينتج أنهم أسفه الناس فقال: (وإذ قال موسى لقومه) بني إسرائيل (إن الله) أي الذي له الأمر كله (يأمركم أن تذبحوا بقرة) لتعرفوا بها أمر القتل الذي أعياكم أمره ، وتأوها ليست للتأنيث الحقيقي بل لأنها واحدة من الجنس فتقع على الذكر والأنثى. ولما كان من حقهم المبادرة إلى الامتثال والشكر فلم يفعلوا بين فظاظتهم على طريق الاستئناف معظماً لها بقوله حكاية عنهم (قالوا أئخذنا هزواً. ¹²⁶ .

هذه القصة قصة أصحاب السبت التي جاءت ممهدة لقصة البقرة . وهي قصة عجيبة من قصص بني إسرائيل التي يسردها القرآن الكريم عن هذه الأمة المغضوب عليها أمة يهود . وسفه يهود هو أنهم لم يتعظوا فكرروا التحايل في قصة البقرة . والقسم الذي أقسم الله به في قوله "ولقد" ذلك لغرابة القصة والأصل أن يكون اليهود أتقياء بعد هذه العقوبة الربانية لكنهم لم يفعلوا . بل إنهم يتآمرون في حياتهم كأنه لم تحدث لهم هذه القصة . هي آيات ربانية وهي عليهم عمى وتفصيل هذه القصة ورد في موضع آخر من القرآن الكريم وإختلاف سرد القصة في القرآن لإختلاف موضوع السورة ، فسرد القصة يأتي لخدمة هدف القصة الرئيسية للسورة والله أعلم ، لكننا نرجع إلى سرد القصة في سورة الأعراف لأن أحد مقاصد سورة الأعراف كما ذكر البقاعي رحمه الله في كتابه نظم الدرر مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد والإجتماع على الخير والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل في الأنعام ، وتحذيره بقوارع الدارين ، ...¹²⁷ فالأعراف تتحدث عن عقوبات دنيوية و أخروية لمن يعارض كتاب الله وهو ما وقع ليهود في مؤامرتهم في قصة ذبح البقرة وإستشهادنا برواية القصة في سورة الأعراف هي لإستكمال حيثيات وتفصيلات القصة التي ذكرت إجمالاً في سورة البقرة لإيجاد المشتركات بين القصتين وأفضل ما يشرح القرآن هو القرآن ، قال تعالى في سورة الأعراف : **وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ** 163 الأعراف ، **(كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)** : **(وسئلهم)** أي بني إسرائيل مبكتاً لهم ومقرراً) عن القرية (اي البلد الجامع) التي كانت حاضرة البحر (أي على شاطئه وهي أيله ، ولعله عبر بالسؤال ، ولم يقل : وإذ تعدو القرية التي - إلى آخره ، ونحو ذلك ، لأن كراحتهم للإطلاع على هذه الفضيحة اشد مما مضى ، وهي دليل على الصرف والصدق .

¹²⁷ نظم الدرر ج 7 ص 347

ولما كان السؤال عن خبر أهل القرية قال مبدلاً بدل اشتمال من القرية (إذ) أي حين (يعدون) أي يجوزون الحد الذي أمرهم الله به (في السبت إذ) أي العدو حين (حيثانهم) إيماء إلى أنها مخلوقة لهم ، فلو صبروا نالوها وهم مطيعون ، كما في حديث جابر رضي الله عنه رفعه (بين العبد وبين رزقه حجاب ، فإن صبر خرج إليه ، وإلا هتك الحجاب ولم ينل إلا ما قدر له)¹²⁸ (يوم سبتهم) أي الذي يعظمونه بترك الاشتغال فيه بشيء غير العبادة (شرعاً) أي قريبة مشرفة لهم ظاهرة على وجه الماء بكثرة ، جميع شارعة وشارع أي دان (ويوم لا يسبتون) أي لا يكون سبت ، ولعله عبر بهذا إشارة إلى أنهم لو عظموا الأحد على أنه سبت جاءتهم فيه ، وهو من : سبتت اليهود - إذا عظمت سبتها (لا تأتيهم) أي ابتلاء من الله لهم، ولو أنهم صبروا أزال الله هذه العادة فاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولما كان هذا بلاء عظيماً ، قال مجيباً لسؤال من كأنه قال لشدة ما بهره من هذا الأمر : هل وقع مثل هذا؟ مشيراً إلى أنه وقع ، ولم يكتف به ، بل وقع لهم أمثاله لأظهار ما في عالم الغيب منهم إلى عالم الشهادة : (كذلك) أي مثل هذا البلاء العظيم (نبلوهم) أي نجدد اختيارهم كل قليل (بما) أي سبب ما (كانوا) أي جبلة وطبعاً (يفسقون) أي يجددون في علمنا من الفسق ، وهو الخروج مما هو أهل للتوطن من الطاعات¹²⁹ ، في الآيات السابقة يورد الحق تبارك وتعالى صنفاً من المسلمين من يستعجل رزقه بالحرام ولا يصبر على شهوة الرزق . فيتحايل على أوامر الله تعالى بشتى الحيل الفقهية ليبرر سرقة وتواطئه على المال . ولا يقتصر الفعل على واحد فيسري أمر تجاوز حدود الله إلى بقية الأمة الإسلامية متبعين من تعدى على حدود الله . فيعم الفساد الجماعة المسلمة . فيصيبها عذاب الدنيا قبل الآخرة والملاحظ على قول البقاعي

¹²⁸ جامع الأحاديث (26/ 151)، بترقيم الشاملة (آيا) عن الباهلي: أن عمر قام في الناس خطيباً مدخله في الشام بالجابية فقال: تعلموا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه لم يبلغ منزلة ذي حق أن يطاع في معصية الله، واعلموا أنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق الله قول بحق وتذكير عظيم، واعلموا أن بين العبد وبين رزقه حجاباً، فإن صبر أتاه رزقه، وإن اقتحم هتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه، ...

¹²⁹ نظم الدرر ج8 ص 139

رحمه الله ان الله تعالى إبتلاهم لآنهم فسقوا وكان عاقبة الفسوق عن امر الله عقوبة في الدنيا و الآخرة ولعلم يهود بشدة الخزي المترتب على قصة أصحاب السبت فقد كتبهم فقد أورد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في قصة غزوة بني قريظة ما يلي: فلما رأى علي بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا تلقاه وقال : إرجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود، وكان علي قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم و أزواجه رضي الله عنهن فكره أن يسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تأمرني بالرجوع فكتمته ما سمع منهم فقال: أظنك سمعت في منهم أذى فإمض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصنهم وكانوا في أعلاه نادى بأعلى صوته نفرا من أشرفهم حتى أسمعهم فقال : أجيئوا يا معشر يهود يا إخوة القردة قد نزل بكم خزي الله عز وجل ¹³⁰، لقد كان تذكير رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود بفضيحتهم في قصة أصحاب السبت كافية في إرتداع يهود بني قريظة عن سب الرسول صلى الله عليه وسلم لشدة تأثير هذه القصة في يهود . و الأصل أن هذه القصة تردع يهود عن المعاصي و إرتكاب الحرام بعدما ما شاهدوه من المسخ لبعضهم فكانت فائدة قصة السبت أن يحفظوا العهود ولا يخونوا الأنبياء ولكن لغلبة شقوتهم عليهم نكت بنو قريظة العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت نتيجة هذا النكت أن ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاتلتهم وسبى نساءهم وذريتهم . فكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حق حيث وصفهم بإخوان القردة فكانت القصة في تاريخهم ولم يكن لهم أي يهود فهما يردعهم عن الغدر . ومع تأكد يهود من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسلموا حتى لو كان الإسلام نفاقا حتى ينجوا بأنفسهم لكن صدق الله فيهم وفي غيرهم : {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106)} [المؤمنون: 106] الأعراف : (164 - 167) وإذ قالت

¹³⁰ ابن كثير البداية والنهاية دار ابن كثير بيروت لبنان ج 4 ص 119

أمة. . . . (وَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَّيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) 73 ، ولما أخبر أن الفسق ديدنهم ، أكد به بقوله عطفاً على (إذ يعدون) [الأعراف 163] (وإذ) أي وأسألهم عن خبرهم حين (قالت أمة منهم) أي جماعة ممن يعتبر ويقصد من الواعظين الصالحين الذين وعظوا حتى أيسوا لأمة أخرى منهم لا يقلعون عن الوعظ خوفاً للموعوظين بما يتجاوزون به (لم تعظون قوماً) أي معتمدين على قوتهم (الله) أي الذي له الملك كله (مهلكهم) أي لا محالة لأنهم لا ينتهون عن الفساد ولا يتعظون بالمواعظ (أو معذبهم عذاباً شديداً) أي بعظيم ما يرتكبه وتماديهم فيه (قالوا) أي الأمة الأخرى من الواعظين : وعظنا (معذرة إلى ربكم) أي المحسن إليكم بالحفظ عما وقعوا فيه من الذنب والإقبال على الوعظ حتى إذا سئلنا عن أمرنا في عصيانهم نقول : فعلنا في أمرهم جهدنا، هذا إن لم يرجعوا (ولعلمهم يتقون) أي وليكون حالهم حال من يرجى خوفه لله فيرجع عن غيه ولما تراجعوا بهذا الكلام ليكون زاجراً للعاصين فلم يرجعوا ، أخبر أنه صدق ظنهم بإيقاع الأمرين معاً : العذاب الشديد والإهلاك فقال : (فلما نسوا ما ذكروا به) أي فعلوا في إعراضهم عنه فعل الناسي وتركوه ترك المنسي ، وهو أن الله لا يهملهم كما أن الإنسان لا يمكن أن يهمل أحداً تحت يده ، ليفعل ما يشاء من غير اعتراض (أنجينا) أي بعظمتنا (الذين ينهون) أي استمروا على النهي (عن السوء) أي الحرام (وأخذنا) أي أخذ غلبة وقهر (الذين ظلموا) أي بالعدو في السبب (بعذاب بئس) أي شديد جداً (بما كانوا) أي جبلة وطبعاً (يفسقون) أي بسبب استمرارهم على تجديد الفسق ولما ذكر ما هددهم به من العذاب الشديد، أتبعه الهلاك فقال : (فلما عتوا) أي تكبروا جلافة وبيساً عن الانتهاء (عن ما نهوا عنه) أي

بعد الأخذ بالعذاب الشديد ، وتجاوزوا إلى الاجترار على جميع المعاصي عناداً وتكبراً بغاية الوقاحة وعدم المبالاة ، كان مواقفهم لذلك الذنب وإمهالهم مع الوعظ أكسبتهم ذلك وغلظت أكبادهم عن الخوف بزاجر العذاب ، من عتا يعتو عتواً - إذا قيل على الاثام ، فهو عات ، قال عبد الحق في كتابة الواهي : وقيل إذا أقدم على كل اموره ، ومنه هذه الآية ، وقيل : العاتي هو المبالغ في ركوب المعاصي ، وقيل : المتمرد الذي لا ينفع فيه الوعظ والتنبيه ، ومنه قوله سبحانه : (فعتوا عن أمر ربهم)- انتهى الذاريات : 44 [أي جاوزوا المقدار والحد في الكفر وحقيقة : جاوزوا الأمر إلى النهي ، أو جاوزوا الائتثار بأمره ، والمادة ترجع إلى الغلظ والشدّة والصلابة (قلنا لهم) أي بما لنا من القدرة العظيمة (كونوا قردة) أي في صورة القردة حال كونكم (خاسئين) أي صاغرين مطرودين بعيدين عن الرحمة كما يبعد الكلب ولما تبين بما مضى من جرأتهم على المعاصي وإسراعهم فيها استحقاقهم لدوام الخزي والصغار ، أخبر أنه فعل بهم ذلك على وجه موجب للقطع بأنهم مرتكبون في الضلال ، مرتكبون سيئ الأعمال ، ما دام عليهم ذلك النكال ، فقال : (وإذ) (وهو عطف على) (وسئلهم) أي واذكر لهم حين (تأذن) أي اعلم إعلاماً عظيماً جهراً معتنى به (ربك) أي المربي لك والممهد لأدلة شريعتك والناصر لك على من خالفك ولما كان ما قيل جارياً مجرى القسم ، تلقى بلامه ، فكان كانه قيل : تاذن مقسماً بعزته وعظمته وعلمه وقدرته : (ليعثن) أي من مكان بعيد ، وأفهم أنه بعث عذاب بأداة الاستعلاء المفهمه لأن المعنى : ليسلطن (عليهم) أي اليهود ، ومد زمان التسليط فقال : (إلى يوم القيامة) الذي هو الفيصل الأعظم (من يسومهم) أي ينزل بهم دائماً (سوء العذاب) بالإذلال والاستصغار وضرب الجزية والاحتقار ، وكذا فعل سبحانه فقد سلط عليهم الأمم ومزقهم في الأرض كل ممزق من حين أنكروا رسالة المسيح عليه السلام ، كما اتاهم به الوعد الصادق في التوراة ، ومن أيام رسالة المسيح سلط الله عليهم الأمم ومزقهم في الأرض ، فكانوا مرة تحت حكم البابليين ، وأخرى تحت أيدي المجوس

، وكرة تحت قهر الروم من بني العيص ، واخرى في أسر غيرهم إلى أن أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فضرب عليهم الجزية هو وأُمته من بعده ولما كان السياق وموجباته ، علل ذلك مؤكداً بقوله : (إن ربك) اي المحسن إليك بإذلال أعدائك الذين هم أشد الأمم لك ولمن آمن بك عداوة) لسريع العقاب (اي يعذب عقب الذنب بالانتقام باطناً بالنكتة السوداء في القلب ، وظاهراً - إن أراد - بما يريد ، وهذا بخلاف ما في الأنعام فإنه في سياق الإنعام بجعلهم خلانف ولما رهب ، رغب بقوله : (وإنه لغفور) أي محاء للذنوب عيناً وأثراً لمن تاب وآمن) رحيم) أي مكرم منعم بالتوفيق لما يرضاه ثم بما يكون سبباً له من الإعلاء في الدنيا والآخرة¹³¹ ، إن الله عز وجل أراد إعلامك إعلاماً عظيماً يتناسب مع إعتناء الله بنصرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فعندما تمادى يهود بصيد الحيتان يوم السبت أمهلهم الله مدة ثم جاء المسخ . وهم يهود يعرفون أن محمد صلى الله عليه وسلم هو النبي المرسل ولكنهم ينكرون نبوته فسيكون بعد الإمهال عقوبة لهم . فقصة السبت تذكر يهود بألا يتناولوا في تجاوزاتهم . وفي هذه القصة حيث كانت " حيتانهم " ونسب الحق تعالى الحيتان لهم إن صبروا على رزقهم لكنهم يهود تعجلوا رزقهم بالحرام فباؤوا بخسارة الدنيا والآخرة ومما هدد به الحق تعالى يهود بأن يسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب وهذا السوم خاص بالبهايم وهم تم إعتبارهم في عداد البهائم بل هم أسوأ أنواع البهائم لقوله تعالى : إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) [الأنفال : 55 ، 56] وهذه الآيات نزلت في يهود كما شرحناه آنفا فهم لإنغلاق أفهامهم فهم يرون أحداثاً ولا يتعظون "وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون " . وهذه الآيات وهي عذاب الله ليهود إلى يوم القيامة آية ربانية لا يستطيع يهود الإنفكاك منها مهما حاولوا وتآمروا فإن الله في نهاية الأمر سيسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب . والرعب الشديد مخافة من هذه الحقيقة

¹³¹ نظم الدرر ج8 ص 142

هو الذي ينتاب قلوبهم خوفاً ذبح توعدهم الله به ولقد ورد في كتاب ¹³² Pillar of Fire
وكاتبه إيغال لوسين ¹³³ The degradation of Alfred Dreyfus . The mob cried
"death to the Jews"

Theodor Herzl (1860–1904)"concluded that Europe was becoming a
dangerous place for the Jews"

لقد إستنتج ثيودور هيرتزل ¹³⁵ أن أوروبا أصبحت مكاناً خطراً على اليهود وذلك حين حضر
حفل تجريد الضابط اليهودي الفرنسي والذي خان فرنسا وسرب معلومات عسكرية لألمانيا فقد
تم تجريده من رتبته العسكرية حيث صاح الجنود الفرنسيون "الموت لليهود" ، مما سبق ذكره
فإن الدافع الرئيس لتأسيس دولة إسرائيل هو الرعب الذي إنتاب يهود مما ينتظرهم في أوروبا
كلها . ولمزيد من التوضيح فإن يهود هم صانعو الثورة الفرنسية . وعليه كانت فرنسا بمثابة
المثال الذي يحتذى بالتسامح مع يهود . فقد كتبت البروتوكولات عنها "تذكروا الثورة الفرنسية"¹³⁶

¹³² Pillar of fire Yigal Lossin Pillar of fire Shikmona Publishing co Ltd, Jerusalem
\Israel 1983 pg12-13

¹³³ كتاب "عمود النار" هو كتاب مصور عن نشأة الصهيونية وتطور الأحداث حتى إقامة دولة إسرائيل
ومؤلفه كان مدير التلفزيون الإسرائيلي إبان حرب 1948
¹³⁴ قضية دريفوس هي صراع اجتماعي وسياسي حدث في نهاية القرن التاسع عشر في عهد الجمهورية
الفرنسية الثالثة. اتهم بالخيانة في هذه القضية النقيب ألفريد دريفوس، وهو فرنسي الجنسية يهودي الديانة.
تم تجريد ألفريد دريفوس من رتبته في 5 يناير 1895، اتهم النقيب دريفوس في نهاية 1894 بأنه أرسل
ملفات فرنسية سرية إلى ألمانيا.

¹³⁵ تيودور هرتزل (2 مايو 1860 – 3 يوليو 1904)، الاسم العبري الممنوح إلى عهد ختانه بنيامين
زئيف، المعروف أيضاً بالعبرية باسم "رؤيا الدولة" كان صحفياً نمساوياً-مجرياً، كاتب مسرحي، ناشط
سياسي وكاتب كان والد الصهيونية السياسية الحديثة. شكل هرتزل المنظمة الصهيونية وشجع الهجرة
اليهودية إلى فلسطين في محاولة لتشكيل دولة يهودية. على الرغم من أنه توفي قبل إنشائها، إلا أنه معروف
بأب دولة إسرائيل https://ar.wikipedia.org/wiki/تيودور_هرتزل.

136

هي فترة مؤثرة من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية في فرنسا (Révolution française: بالفرنسية) لثورة الفرنسية
عرفت عدة مراحل استمرت من 1789 حتى 1799، وكانت لها تأثيرات عميقة على أوروبا والعالم الغربي عموماً، انتهت

التي نسميها (الكبرى) إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لدينا جيدا لأنها من صنع أيدينا¹³⁷ عندما يصل الأمر لأن يصيح الجنود الفرنسيين في الدولة التي صنعها يهود لهذه الدرجة فمن باب أولى ان تكون كراهية يهود في الدول الأوروبية الأخرى أكثر من ذلك . ولذا إن دفع هيرتزل لتأسيس دولة لليهود في فلسطين هروبا من أوروبا التي تكرههم وهم واثقين ثقة كبيرة جدا بما توعدهم القرآن الكريم من أن الله تعالى يرسل من مكان بعيد بما أفهمته كلمة "يبعث" وينفذ الله وعيده وما يحاوله يهود من تجنب المذبحة في أوروبا سيجدونه في فلسطين حين يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي ورأيي تعال فأقتله ولم يؤمنوا واستمروا في تحديهم لقدر الله . لقد صدق قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه "عقول كادها باريها" والحقيقة أن هذه النتيجة هي محور قصة البقرة في سورة البقرة ، لم يكن شعور اليهود في فرنسا بخطر العداوة لهم وكراهيتهم حالة إستثنائية بل لقد كان في روسيا القيصرية من هذا الشيء الكثير فقد أورد د محسن محمد صالح في كتابه "دراسات منهجية في القضية الفلسطينية" ، كما ان مشاركة اليهود بفاعلية في قيادة الحركات الثورية اليسارية زادت من عداء السلطات القيصريّة الملكية الروسية ضدهم . وإنفجرت العداوة بشكل مكشوف إثر إغتيال قيصر روسيا الكسندر الثاني سنة 1881، والتي أتهم فيها اليهود . فبدأت موجة من الإجراءات العديدة القاسية ضد اليهود سميت اللاسامية ، أي توجيه العداء لليهود لكونهم ينتمون للعرق السامي ، وصاحب هذه الإجراءات أحيانا أحداث دموية ، مثل مذابح كيشينيف ، و من أمثلة القوانين التي أخذت تصدر تباعا : حق الروس في طرد اليهود من قراهم ، واليهودي الذي يغادر قريته لا يسمح له

وانتهت بتصدير الأزمة من خلال الاستعمار بالتوسع اللاحق للإمبراطورية بسيطرة البورجوازية خلال التحالف مع نابليون الفرنسية، انتهت بسيطرة البورجوازية التي كانت متحالفة مع طبقة العمال مع إحفاق مجموعة من الحقوق والحريات للطبقة العاملة والمتوسطة للشعب الفرنسي. أسقطت الملكية وأسست الجمهورية وشهدت فترات عنيفة من الاضطراب السياسي، وتوجت أخيرا في دكتاتورية نابليون الذي جاء سريعا بكثير من مبادئها إلى أوروبا الغربية وخارجه

الثورة_الفرنسية/https://ar.wikipedia.org/wiki/

بالعودة ، ومنع تشغيل اليهود في المناطق الريفية ، واليهودي الذي يهجر مهنته للعمل في التجارة يسقط حق إقامته في روسيا ، وتحريم لإقامة اليهود في موسكو ، وحرمان اليهود من حق الانتخاب والترشيح لمجالس البلديات . وقد أدى كل ذلك إلى ظهور ما يعرف ب "المشكلة اليهودية " 138

وأورد إيغال لوسين في كتابه عمود النار المشار إليه أعلاه عن مجازر اليهود في روسيا القيصرية :

On the third day, life in Kishinev returned to normal. Following an order from the capital . St. Petresburg that the program cease. The Jews emerged from their holes and hiding [laces and walked the streets as they did before ... but the entire world now spoke of Kishinev , the city of slaughter . Herzl himself now changed his mind about Uganda Plan . He felt that what happened was only the first sighn of the coming storm which would wreak havoc upon the Jewish people in the twentieth century >

في اليوم الثالث عادت الحياة لطبيعتها بعد صدور أمر من العاصمة في سانت بطرسبيرغ بوقف البرنامج . وخرج اليهود من حفرهم ومخابئهم وعادوا للسير في الطرقات كما فعلوا سابقا ... لكن العالم كله أصبح يتحدث عن كيشينوف , مدينة المذبحة . لقد غير هيرتزل فكرته حيث شعر أن ما حدث كان الإشارة الأولى للعاصفة القادمة للانتقام وتخريب مقدرات اليهود

¹³⁸ د محسن محمد صالح "دراسات مهجية في القضية الفلسطينية " مركز الإعلام العربي – مصر الطبعة الاولى 2003 ص 171

في القرن العشرون¹³⁹ ما أريد ان أقوله أن حادثة الضابط الفرنسي اليهودي درايفوس والمذابح التي وقعت في روسيا القيصرية نتيجة طبيعية لمؤامرات يهود لمحاولتهم إغتيال القيصر الروسي ألكسندر الثاني لكن العجيب كل العجب ان الله سبحانه و تعالى الذي توعد يهود ببعث من يسومهم سوء العذاب ختم الله الآية بقوله تعالى "وإنه لغفور رحيم " سبحانه هذه مغفرته ليهود المعاندين إذا أسلموا واستغفروا على كل أفعالهم فكيف بمغفرته ورحمته لعباده المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم نسأل الله المغفرة والرحمة آميين الأعراف : (168 - 169) .

(. . . وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)، أما بعد فإن الآيات أعلاه تتكلم عن ظلم بني إسرائيل بعد التمكين وتجاوز مرحلة الخطر مع حكم فرعون وملأه وكان المفترض أن يقابل بنو إسرائيل ذلك التمكين بالشكر والإمتثال لأوامر الله . ولكن قابلوها بالكفر بهذه النعم . سنة متكررة نراها للمسلمين بعد التمكين والدنيا الغرور وهذا إمتداد لكفرهم بنعمة صيد الحيتان في السبت ويقع المسلمون فيما وقع لبني إسرائيل وينسى الإنسان ما كان منه من قبل ويمر على نعم الله كأن لم يدعنا إلى ضرر مسه . وبعد تمكين الله لبني إسرائيل في الأرض وبعد نجاتهم من مؤامرة فرعون وبعد عبادتهم العجل تصبح الدنيا أكبر همهم لعدد كبير من الذي خرجوا مع سيدنا موسى عليه السلام .

هذه قصة أصحاب السبت تتحدث عن إنحراف بعد التمكين ولهذا والله أعلم درس تفسير سورة البقرة الخليفة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثماني سنوات أثناء حكمه كما ورد في الموطأ كما أشرنا في هذا البحث في غير هذا الموضع لأنها أي سورة البقرة تبحث عن

Yigal Lossin "Pillar of fire", Shikomona Pub co. Jerusalem 1983 pg 31¹³⁹

الإستخلاف وما يترتب على التمكين في الأرض وقصة أصحاب السبت بها من العبر الشيء الكثير فإن التحايل الذي صنعه يهود على تعليمات الله لم تجد نفعا في دفع البلاء الذي نزل بهم عدلا لتعنتهم حيث كان يوم راحة بني إسرائيل يوم الجمعة فتمرد بنوا إسرائيل على ذلك فهذا التمرد أورثهم مسخا في خلقتهم فصاروا قردة وخنازير .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله وإسألهم عن القرية الآية قال : إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم يوم الجمعة فخالفوا إلى يوم السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به فلما ابتدعوا السبت ابتلوا فيه فحرمت عليهم الحيتان وهي قرية يقال لها مدين أيلة والطور فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تر حتى مثله من السبت المقبل فإذا جاء السبت عادت شرعا ثم إن رجلا منهم أخذ حوتا فحزمه بخيط ثم ضرب له وتدا في الساحل وربطه وتركه في الماء فلما كان الغد جاء فأخذه فأكله سرا ففعلوا ذلك وهم ينظرون ولا يتناهون إلا بقية منهم فنهوهم حتى إذا ظهر ذلك في الأسواق علانية قالت طائفة للذين ينهونهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم في سخطنا أعمالهم ولعلمهم يتقون فكانوا أثلاثا ثلثا نهى وثلثا قالوا لم تعظون وثلثا أصحاب الخطيئة فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم فأصبح الذين نهوا ذات غداة في مجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم وقد باتوا من ليلتهم وغلقوا عليهم دورهم فجعلوا يقولون : إن للناس شأنا فانظروا ما شأنهم فاطلعوا في دورهم فإذا القوم قد مسخوا يعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد والمرأة بعينها وإنها لقردة .¹⁴⁰ إن بني إسرائيل جادلوا في يوم الجمعة وأبوا إلا أن يكون يوم راحتهم يوم السبت عنادا وتمردا . فأورثهم ذلك فتنة كانت نهاية قصتهم أن مسخوا قردة وخنازير فإن معاندة الشارع في أحكامه سببا للهلاك وكانت قصة البقرة لقوم من بني إسرائيل لم يتعظوا بما حصل لأسلافهم فتحايلوا . اما في قصة

¹⁴⁰ السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور دار الفكر بيروت 1993 ج 3 ص 588

البقرة فخاطبهم الله بقوله فأدارأتم في قصة القتل ولم ينفعهم ذلك شيئاً من قدر الله تعالى وقصة البقرة تبحث في موضوع لاحق لقصة أصحاب السبت وهو ان التأخر في تنفيذ مطالب الشرع يرفع الكلفة التي تدفعها الأمة بمماثلة فئة من المتأمرين ومن المعروف أن لو بني إسرائيل ذبحوا البقرة حين أمروا لما اضطروا لشراء البقرة بالثمن الباهظ جدا الذي اضطروا لدفعه كما سيأتي لاحقاً إن شاء الله وقصص بني إسرائيل ليست للسرد للإستمتاع فهي لعبرة عظيمة . وما حدث مع بني إسرائيل يحدث مثله في أمة الإسلام .

وقد أورد البقاعي : وما انبأ به (صلى الله عليه وسلم) (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب لا تبعتموهم) وفي بعض طريقة (حتى لو كان فيهم من أتى امه جهاراً لكان فيكم ذلك ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن؟)¹⁴¹ وإنما قوي وكثر في هذه الأمة حال هاتين الملتين لما آتاها الله من الكتاب والعلم والحكمة فاختلّفوا فيها بالأغراض والأهواء وإيثار عرض الدنيا ، وسامحوا الملوك والولاة وحلّوا لهم ما حرم الله وحرّموا لهم ما حلّ الله ، وتوصلوا بهم إلى اغراضهم في الاعتداء على من حسدوه من اهل الصدق والتقوى ، وكثر البغي بينهم فاستقر حالهم على مثل حالهم ، وسلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم ، وتمادى ذلك فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكاً إلى أن تضع الحرب اوزارها وتصير الملل كلها ملة واحدة ويرجع الافتراق إلى ألفة التوحيد ، فكل من اقتطع واقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر والباطن حظاً مختصاً من ظاهر أو باطن ولم يجمع

¹⁴¹ جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي (ص: 11469)

جاء جبريل يتعاهد دينكم لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل ولتأخذن بمثل أخذهم إن شبراً فشبراً وإن ذراعاً فذراعاً وإن باعاً فباعاً حتى لو دخلوا في حجر ضب دخلتم فيه ألا إن بني إسرائيل افترقت على موسى سبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم ألا إنها افترقت على عيسى ابن مريم إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة الإسلام وجماعتهم ثم إنكم تكونون على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة الإسلام وجماعتهم (الطبراني ، والحاكم عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده) أخرجه الطبراني (13/17 ، رقم 3) ، قال الهيثمي (260/7) : فيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف وقد حسن الترمذي له حديثاً وبقيّة رجاله ثقات . والحاكم (219/1 ، رقم 445).

بينهما في علمه وحاله وعرفانه فهو بما لزم الظاهر الشرعي دون حقيقة باطنه من يهود هذه الأمة كالمقيمين لظاهر الأحوال الظاهر التي بها تستمر الدنيا على حسب ما يرضى ملوك الوقت وسلطينهم ، المضيعين لأعمال السرائر ، المنكرين لأحوال أهل الحقائق الشاهد عليهم تعلق خوفهم ورجائهم بأهل الدنيا ، المؤثرين لعرض هذا الأدنى ، فبهذا ظهرت أحوال اليهود في هذه الأمة.¹⁴² ، أقول وبالله التوفيق لو أن المسلمين هبوا لنصرة فلسطين في سنة 1948 لكان الثمن المطلوب في ذلك الوقت أقل بكثير من الثمن الذي يجب أن ندفعه الآن لتحريرها . فالمماطلة والنأي عن المنهج الإسلامي في مواجهة يهود أدت لزيادة هائلة في تكلفة الإستعادة المرتقبة والله أعلم ، والسؤال ما الذي يشابه فعل المسلمين فعل أشباههم من يهود في قصة أصحاب السبت أورد البقاعي في تفسير قوله تعالى : كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (69) [التوبة : 69]

قال (صلى الله عليه وسلم) : (صنم أمتي الدينار والدرهم)¹⁴³ وقال (صلى الله عليه وسلم) : (لكل أمة عجل وعجل أمتي الدينار والدرهم)¹⁴⁴ فلا فرق بين ظن المشرك أن الصنم الذي صنعه بيده ينفعه وظن المفتونين من هذه الأمة ان ما اكتسبوا من الدينار والدرهم ينفعهم حتى يشير مثلهم : ما ينفعك إلا درهمك (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) [التوبة : 74] فما من آية نزلت في المشركين في ذكر أحوالهم وتبيين ضلالهم

¹⁴² نظم الدرر ج8 ص534

¹⁴³ وقال الحسن البصري لكل أمة صنم يعبدونه وصنم هذه الأمة الدينار والدرهم.

¹⁴⁴ جامع الأحاديث (17/ 460، بترقيم الشاملة آليا)

-لكل أمة عجل يعبدونه وعجل أمتي الدراهم والدنانير (الديلمى عن حذيفة)

أخرجه الديلمى (338/3، رقم 5019

وتفاصيل سرهم وإعلانهم إلا وهي منطبقة على كل مفتون بديناره ودرهمه ، فموقع قول المشركين (في أصنامهم) ما نعبدكم إلا لقربونا إلى الله زلفى ([الزمر : 3] : قال (صلى الله عليه وسلم) (إنما أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم)¹⁴⁵ فكل من أحبهما وأعجب بجمعها فهو مشرك هذه الأمة وهما لاته وعزاه اللتان تبطلان عليه قول لا إله إلا الله لأنه تأله ماله ؛ قال (صلى الله عليه وسلم) (لا إله إلا الله نجا لعباد الله من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم) فمن وجد من هذا مسة فليسمع جميع ما أنزل في المشركين من القرآن منطبقاً عليه ومنزلاً إليه وحافاً به حتى يخلصه الله من المشرك بما له من ظلمته التي غشيت ضعيف إيمانه إلى صفاء نور الإيمان في مضمون قوله تعالى : ¹⁴⁶ (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور .

الخلاصة : أن قصة أصحاب السبت جاءت سابقة لقصة البقرة و ممهدة لها لأنها قصة أصحاب السبت هي بداية الانحراف بعد التمكين والخروج من ذل فرعون وبطشه . قابل يهود ذلك بالتحايل لإستحلال محرم عليهم . وقفت فئة معاندة ومصرة على هذه المعصية دون رادع من الله أو ممن يأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر . وبهذا الإصرار مسخهم الله قردة و خنازير لأنهم أي يهود أصبحوا أسوأ من الدواب لعدم إتعاظهم . لذلك في هذه القصة "موعظة للمتقين " . والوعظ نصيحة إن لم يتم تنفيذها تقع العقوبة . ففي حال عدم وجود أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر تقع الأمة في الهلاك ولا أدل على هلاك بني إسرائيل بعد قصة أصحاب السبت وإنغماسهم بالدنيا والمال والحرام ما ورد في الآية 169 من سورة الأعراف حيث قال تعالى : فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ

¹⁴⁵ جامع الأحاديث (9/ 484، بترقيم الشاملة آليا)

- 8886 إنما أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم (اليزار عن ابن مسعود) [المنأوى]

¹⁴⁶ نظم الدرر ج8 ص 530

سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169) [الأعراف : 169] .

(فخلف) أي نشأ ، ولما كانوا غير مستغرقين لزمان البعد ، أتى بالجار فقال : (من بعدهم خلف) أي قوم هم أسوأ حالاً منهم (ورثوا الكتاب) أي الذي هو نعمة ، وهو التوراة ، فكان لهم نقمة لشهادته عليهم بقبح أفعالهم ، لأنه بقي في أيديهم بعد أسلافهم يقرؤونه ولا يعملون بما فيه ؛ قال ابن فارس : والخلف ما جاء من بعد ، أي سواء كان محركاً أو ساكناً ، وقال أبو عبيد الهروي في الغريبين : ويقال : ؛ خلف سوء - أي بالسكون - وخلف صدق ، وقال الزبيدي في مختصر العين : والخلف : خلف السوء بعد أبيه ، والخلف : الصالح ، وقال ابن القطاع في الأفعال : وَخَلَفَ خَلْفُ سَوْءٍ : صاروا بعد قوم صالحين ، وَخَلَفَ سَوْءٍ ، قال الأخفش : هما سواء ، أي بالسكون ، منهم من يسكن ومنهم من يحرك فيهما جميعاً ، ومنهم من يقول : خلف صدق - أي بالتحريك - وخلف سوء - أي بالسكون - يريد بذلك الفرق بينهما ، وكل إذا أضاف ، يعني فإذا لم يضاف كان السكون - للفساد ، والتحريك للصالح ؛..... ولما كان المظنون بمن يرث الكتاب الخير ، فكان كأنه قيل : ما فعلوه من الخير فيما ورثوه ؟ قال مستانفاً : (يأخذون) أو يجدون الأخذ دائماً ، وحق ما أخذوه بالإعلام بأنه مما يعرض ولا يثبت بل هو زائل فقال : (عرض) وزاده حقارة بإشارة الحاضر فقال (هذا) وصرح بالمراد بقوله : (الأدنى) أي من الوجودين ، وهو الدنيا (ويقولون) أي دائماً من غير توبة.

ولما كان النافع الغفران من غير نظر إلى معين ، بنوا للمفعول قولهم : (سيغفر لنا) أي من غير شك ، فأقدموا على السوء وقطعوا بوقوع ما يبعد وقوعه في المستقبل حكماً على من يحكم ولا يحكم عليه ، وصرح بما أفهمه ذلك من إصرارهم معجباً منهم في جزمهم بالمغفرة مع ذلك بقوله : (وإن) أي والحال أنه إن (يأتهم عرض مثله) في الدناءة ولخسة - والحرمة كالرشي

(يأخذوه) ولما كان هذا عظيماً ، أنكر عليهم مشدداً - للنكير بقوله مستأنفاً (ألم يؤخذ عليهم)
(بناه للمفعول إشارة إلى أن العهد يجب الوفاء به على كل حال ، ثم عظمه بقوله : (ميثاق الكتاب) اي الميثاق المؤكد في التوراة (أن لا يقولوا) أي قولاً من الأقوال وإن قل (على الله) أي الذي له الكمال العظمة (إلا الحق) أي المعلوم ثباته ، وليس من المعلوم ثباته إثبات المغفرة على القطع بغير توبة ، بل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب ولما كان ربما وقع في الوهم أنه أخذ على أسلافهم ولم يعلم هؤلاء به ، نفى ذلك بقوله : (ودرسوا ما فيه) أي ما في ذلك الميثاق بتكرير القراءة للحفظ (والدار الآخرة) أي فعلوا ما تقدم من مجانبة التقوى والحال أن الآخرة (خير) أي مما يأخذون (للذين يتقون) أي هم يعملون ذلك بإخبار كتابهم ، ولذلك أنكر عليهم بقوله : (أفلا تعقلون) أي حين أخذوا ما يشقيهم وينفى بدلاً مما يسعدهم ويبقى ، وعلى قراءة نافع وابن عامر وحفص بالخطاب يكون المراد الإعلام بتناهي الغضب¹⁴⁷

وهنا وقفة وهي أن تغيير مسؤولين فاسدين لم يتلقوا قسطهم الوافر من التربية الإسلامية سيؤدي بالمسؤولين الجدد لممارسة نفس أساليب الإحتيال التي مارسها أسلافهم ، وهذا وضع يهود بعد إرتكابهم معصية صيد الحيتان يوم السبت فلم تكن لهم موعظة ولا مانعة لهم من الإنهماك في الذنوب ، بل إنهم أي يهود تمادوا في الذنوب ويصف أجل الوصف لحالتهم الإمام السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور حيث أورد رحمه الله

وأخرج أبو الشيخ عن السدي قال : كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى في الحكم فإذا قيل له يقول : سيغفر لي ، وأخرج أبو الشيخ عن أبي الجلد قال : يأتي على الناس زمان تخرب صدورهم من القرآن وتتهافت وتبلى كما تبلى ثيابهم لا يجدون لهم حلاوة ولا لذادة إن قصرُوا عما أمروا به قالوا : إن الله غفور رحيم وإن عملوا بما نهوا عنه قالوا : سيغفر لنا إنا لا

¹⁴⁷ نظم الدرر ج 8 ص 148

نشرك بالله شيئاً أمرهم كله طمع ليس فيه خوف لبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب أفضلهم في نفسه المدهن ، وأخرج أبو الشيخ عن الحسن قال : المؤمن يعلم أن ما قال الله كما قال الله والمؤمن أحسن عملاً وأشد الناس خوفاً لو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يعاين لا يزداد صلاحاً وبراً وعبادة إلا ازداد فرقا يقول : ألا أنجوه؟ والمنافق يقول : سواد الناس كثير وسيغفر لي ولا بأس علي فيسيء العمل ويتمنى على الله¹⁴⁸ وهنا موقف يستحق الوقوف والتأمل فإن تغيير القضاة بعدما يكتشف فسادهم في بني إسرائيل لم يكن ليغير الواقع الذي يعيشه شعب بني إسرائيل لقيام المسؤول الجديد بنفس تجاوزات المسؤول القديم . فالعبرة ليست بأي تغيير لمسؤول في الدولة لم يأخذ حظه من العلم الشرعي والتربية الإيمانية التي تغرس في نفوس أصحابها الربانية ومن ثم القيادة الآمنة على مقدرات الأمة . وهي أغلى مقدرات الأمة بعبارة أخرى إن تغيير القيادات في الدولة المتواصل لن يؤدي إلى تحسين وضع الأمة ما لم يتوفر الإنسان الأمين الصادق الذي لا يغش رعيته ولذلك أورد البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال يوماً لمن حوله: تمنوا. فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً فأنفقه في سبيل الله. ثم قال: تمنوا. فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً أو زبرجداً أو جوهراً فأنفقه في سبيل الله وأتصدق. ثم قال عمر: تمنوا. فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين. قال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وحذيفة بن اليمان¹⁴⁹

بمثل هؤلاء الرجال الذين بنوا على الصدق و الأمانة تقوم الأمة وتعود إلى سابق عزتها . لو ألقيت ألف محاضرة عن إدارة الأعمال والتعامل مع الجمهور و..... إلخ لن تخلق هذه

¹⁴⁸ السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور دار الفكر بيروت 1993 ج3 ص564

¹⁴⁹ الجامع لعلوم الإمام أحمد - العقيدة (420/ 4)

رواه البخاري في "التاريخ الصغير" 1/ 54، والحاكم 3/ 226، وأبو نعيم في "الحلية" 1/ 102.

المحاضرات إنسانا أميناً صادقاً مع الله يعرف حق الأمة ويحذر الآخرة ولذلك شرحت لنا سورة الأعراف الطريق لإنشاء هذه القيادة في قوله تعالى : وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170) [الأعراف : 170] ولما بين ما للمفسدين من كونهم قالوا على الله غير الحق فلا يغفر لهم ، بين ما للصالحين المذكورين في قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون [الأعراف : 159] فقال عاطفاً على تقديره : أولئك حبطت أعمالهم فيما داسوا من الكتاب ، ولا يغفر ما أتوا من الفساد : (والذين يمسكون) أي يمسكون إمساكاً شديداً يتجدد على كل وجه الا استمرار ، وهو إشارة إلى إن التمسك بالسنة في غاية الصعوبة لا سيما عند ظهور الفساد (الكتاب) أي فلا يقولوا على الله إلا الحق ، ومن جملة تمسيكهم المتجدد إنتقالهم عن ذلك الكتاب عند إتيان الناسخ لأنه ناطق لك والله الموفق. ولما كان من تمسيكهم بالكتاب عند نزول هذا الكلام إنتقالهم عن دينهم إلى الإسلام كما وقع الأمر به في المواضع التي تقدم بيانها ، عبر عن إقامة الصلاة المعهودة لهم بلفظ الماضي دون المضارع لئلا يجعلوه حجة في الثبات على دينهم. فيفيد ضد المراد فقال : (وأقاموا الصلاة) وخصها إشارة إلى أن الأولين تركوها كما صرح به في آية مريم ، وتتويهاً بشأنها بياناً لأنها من أعظم شعائر الدين، ولما كان التقدير إخباراً عن المبتدأ: سنؤتيهم أجورهم لإصلاحهم ، وضع موضعه للتعميم قوله : (إنا لا نضيع) أي بوجه من الوجوه (أجر المصلحين)¹⁵⁰ ، لاحظ في كلام الإمام البقاعي رحمه الله أعلاه ان الله تعالى عبّر عن إقامة الصلاة بالفعل الماضي "لئلا يجعلوه حجة في الثبات على دينهم" بعبارة أخرى إن إقامة الصلاة لوحدها ولو أنها أساس الدين لكنها لوحدها غير كافية لخلق عالم ربّاني بل إن سورة الأعراف تكلمت عن إثنين هما إبليس والذي إنسلخ من آياتنا بلعام بن باعوراء وكلاهما كان عالماً بالدين مؤدياً للصلاة في

مرحلة من المراحل لكن كل منهما إتبع هواه تاركا الدين والتقوى لغلبة الهوى على نفسه هذا والله أعلم

المطلب الثاني: الآيات التي أعقبت قصة البقرة "أتحدثونهم بما فتح الله ":

أعقب قصة البقرة في سورة البقرة قوله تعالى : ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74) أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضْهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76) [البقرة : 74 - 76] ، العجيب في قصة البقرة أن بعد هذه القصة لم تلتن قلوب بني إسرائيل وذلك لأن إحياء النفس بعد موتها بعظام بقرة ميتة مما يلين القلب . ولكن الذي حدث عكس ذلك تماما قال البقاعي رحمه الله في تفسيره نظم الدرر ، ولما كان حصول المعصية منهم بعد رؤية هذه الخارقة مستبعد التصور فضلاً عن الوقوع أشار إليه بقوله (ثم قست) من القسوة وهي اشتداد التصلب والتحجر (قلوبكم) ولما كانت لهم حالات يطيعون فيها أتى بالجار فقال (من بعد ذلك) أي من بعدما تقدم وصفه من الخوارق في المراجعات وغيرها تذكيراً لهم بطول إمهاله لهم سبحانه مع توالي كفرهم وعنادهم، وتحذيراً من مثل ما أحل بأهل السبب (فهي) أي فتسبب عن قسوتها أن كانت (كالحجارة) التي هي أبعد الأشياء عن حالها، فإن القلب أحيى حيّ والحجر أجمد جامد ، ولم يشبهها بالحديد لما فيه من المنافع ، ولأنه قد يلين . ولما كانت القلوب بالنظر إلى حياتها ألين لين وبالنظر إلى ثباتها على

حالة أصلب شيء كانت بحيث تحير الناظر في أمرها فقال (أو) قال الحرالي: هي كلمة تدل على بهم الأمر وخفيته فيقع الإبهام والإيهام¹⁵¹.

وهذا الإبهام بالنسبة إلى الرائي لهم من الآدميين، وأما الله تعالى فهو العالم بكل شيء قبل خلقه كعلمه به بعد خلقه وزاد أشد مع صحة بناء أفعل من قسى للدلالة على فرط القسوة فقال (أشد قسوة) لأنها لا تلين لما حقه أن يلينها والحجر يلين لما حقه أن يلينه وكل وصف للحي يشابه به ما دونه أقبح فيه مما دونه من حيث إن الحي مهياً لصد تلك المشابهة بالإدراك.

ولما كان التقدير فإن الحجارة تنفعل بالمزاولة عطف عليه مشيراً إلى مزيد قسوتهم وجلافتهم بالتأكيد قوله: (وأن من الحجارة) وزاد في التأكيد تأكيداً لذلك قوله (لما ينفجر) أي يفتح بالسعة والكثرة (منه الأنهار) ذكر الكثير من ذلك وتذكيراً بالحجر المتفجر لهم منه الأنهار بضرب العصا ثم عطف على ذلك ما هو دونه فقال : (وإن منها لما يشقق) أي يسيراً بتكلف بما يشير إليه الإدغام والتفعل من التشقق وهو تفعل صيغة التكلف من الشق وهو مصير الشيء في الشقين أي ناحيتين متقابلتين - قاله الحرالي.

(فيخرج منه الماء) الذي هو دون النهر ، ثم عطف على هذا ما هو أنزل من ذلك فقال: (وإن منها لما يهبط من خشية الله) أي ينتقل من مكانه من أعلى الجبل إلى أسفله لأمر الملك الأعلى له بذلك وقلوبكم لا تنقاد لشيء من الأوامر فجعل الأمر في حق القلوب لما فيها من العقل كالإرادة في حق الحجارة لما لها من الجمادية وفي ذلك تذكير لهم بالحجارة المتهافنة من الطور عند تجلي الرب.

قال الحرالي : والخشية وجل نفس العالم مما يستعظمه. ولما كان التقدير : فما أعمالكم - أو: فما أعمالهم ، على قراءة الغيب - مما يرضي الله ؟ عطف عليه (وما) ويجوز أن يكون حالاً

¹⁵¹ نظم الدرر ج1 ص ق480

من قلوبكم أي قست والحال أنه ما (الله) أي الذي له الكمال كله (بغافل) والغفلة فقد الشعور بما حقه أن يشعر به (عما تعلمون) فانتظروا عذاباً مثل عذاب أصحاب السبت إما في الدنيا وإما في الآخرة ، ولم أر ذكر قصة البقرة في التوراة فلعله مما أخفوه لبعض نجاساتهم كما أشير إليه بقوله تعالى ¹⁵²: تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً لم تكن هذه الآية لتؤدي إلى تقوى و إتعاض بني إسرائيل بل إزدادوا تقحماً لمعاصي الله سبحانه وتعالى وأكثر ما يعيننا هو تعامل يهود مع المسلمين من بعد هذه الآيات في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك ينير لنا أسلوب يهود في تعاملهم معنا في هذه الأيام وهذا أقرب للتطبيق العملي فندرس الآية قوله تعالى : "أتحدثونهم بما فتح الله عليكم"البقرة 76 ، حيث قال البقاعي في تفسيره لهذه الآية: ولما كان الكلام مرشداً إلى أن التقدير فهم لجراتهم على الله إذا سمعوا كتابكم حرفوه وإذا حدثوا عباد الله لا يكادون يصدقون عطف عليه قوله " وإذا لقوا الذين آمنوا " بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم "قالوا " نفاقاً منهم "آمنوا إذا خلا بعضهم " أي المنافقين "إلى بعض قالوا " لائمين لهم ظناً منهم جهلاً بالله لما وجدوا كثيراً من أسرارهم وخفي أخبارهم مما هو في كتابهم من الدقائق وغير ذلك عند المؤمنين مع إجتهدهم في إخفائها أن بعضهم أفشاها فعلمت من قبله ¹⁵³ وقصة هذه الآية

ما رواه ابن كثير في تفسيره حيث أورد وقال السدي: هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا. وكذا قال الربيع بن أنس، وقتادة وغير واحد من السلف والخلف، حتى قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فيما رواه ابن وهب عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال: "لا يدخلن علينا قسبة المدينة إلا مؤمن". فقال رؤسائهم من أهل الكفر والنفاق: اذهبوا فقولوا: آمنا، واكفروا إذا رجعت إلينا، فكانوا يأتون المدينة بالبُكر، ويرجعون إليهم بعد العصر. وقرأ قول الله

¹⁵² نظم الدرر دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ج 1 ص 484

¹⁵³ نظم الدرر ج 1 ص 488

تعالى: { وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاکْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [آل عمران: 72] ، وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة: نحن مسلمون. ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره. فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر. فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون. وكان المؤمنون يظنون أنهم مؤمنون فيقولون: أليس قد قال الله لكم كذا وكذا؟ فيقولون: بلى. فإذا رجعوا إلى قومهم [يعني الرؤساء] قالوا: { أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } الآية ، وقال أبو العالية: { أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } يعني: بما أنزل الله عليكم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم. وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: { أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ } قال: كانوا يقولون: سيكون نبي. فخلا بعضهم ببعض فقالوا: { أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } (154). قول آخر في المراد بالفتح: قال ابن جريج: حدثني القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله تعالى: { أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة تحت حصونهم، فقال: "يا إخوان القردة والخنازير، يا عبدة الطاغوت"، فقالوا: من أخبر بهذا الأمر محمداً؟ ما خرج هذا القول إلا منكم { أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } بما حكم الله، للفتح، ليكون لهم حجة عليكم. قال ابن جريج، عن مجاهد: هذا حين أرسل إليهم علياً فأذوا محمداً صلى الله عليه وسلم. وقال السدي: { أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } من العذاب { لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ } هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به. فقال بعضهم لبعض: { أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } من العذاب، ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم. وقال عطاء الخراساني: { أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } يعني: بما قضى [الله] لكم وعليكم. وقال الحسن البصري: هؤلاء اليهود، كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض، قال بعضهم: لا تحدثوا أصحاب

¹⁵⁴ ابن كثير تفسير القرآن العظيم بيت الأفكار الدولية السعودية 1999 ص106

محمد بما فتح الله عليكم مما في كتابكم، فيحاجوكم به عند ربكم، فيخصموكم¹⁵⁵ ، مما سبق فإن يهود كانوا حريصين على جمع المعلومات التي تخص محمدا صلى الله عليه وسلم ليسهل ليهود عمل مخططاتهم لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم . و هذه الحادثة تنبئ بكيفية التعامل مع يهود من عدم السماح لليهود بالإطلاع على معلومات عن الإسلام والمسلمين وهو ما يعرف بأمن المعلومات وهذه جزء هام من نظرية المؤامرة والتي تدور عليها قصة البقرة في سورة البقرة . فإن يهود لم يتعظوا من فشل مؤامرتهم في قصة البقرة حتى يتجنبوا مصير متآمري قصة البقرة . بل الحقيقة انهم مع تطاول الزمان يزدادوا تأمرا عما كان أسلافهم "فباؤوا بغضب على غضب" والحقيقة أن نقضهم لكل عهد يعاهدونه ينتهي بهم بكارثة تحل بهم وهم لا يتعظون فمؤامراتهم سببا لهلاكهم وهم أي يهود مستمرون في مؤامراتهم كأسوأ أنواع البهائم فالحمار يتعظ عندما يقع في طريقه ولا يكرر خطأه لكنهم يهود يكررون أخطاءهم جدا بأسوأ من الحمار كمثال على الدواب ولذا ورد في سورة الأنفال يصف يهود قوله تعالى : إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) [الأنفال: 55، 56]، وقال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : (الذين عاهدت منهم) وهم اليهود بلا شك ، إما بنو قينقاع أو النضير أو قريظة أو الجميع بحسب التوزيع ، فكل منهم نقض ما كان أخذ عليه صلى الله عليه وسلم من العهود ، وأخلف ما كان أكده من الوعود¹⁵⁶ ، وسيأتي شرح هذه الوقائع في التطبيقات العملية لقصة البقرة في السيرة النبوية إن شاء الله.

¹⁵⁵ تفسير ابن كثير بيت الأفكار الدولية السعودية طباعة سنة 1999 ص 106

¹⁵⁶ نظم الدرر للبقاعي ج8 ص 309

الفصل الثاني

مكانة سورة البقرة

الفصل الثاني

مكانة سورة البقرة

المبحث الأول: لا تستطيعها البطلة

المطلب الأول: وسائل الإعلام والسحر الذي لا يستطيعه البطلة

المطلب الثاني: "لا تقولوا راعنا وقولوا أنظرنا واسمعوا"

المطلب الثالث: الديمقراطية والشورى

المطلب الرابع: ما ننسخ من آية أو ننسها

المطلب الخامس: القضية الفلسطينية "جالوت"

المطلب السادس: المداراة والمداهنة وتلبيس يهود

المطلب السابع: الجهوية ومؤامرة شاس ابن قيس

المبحث الثاني: مكانة سورة البقرة في السيرة النبوية وإهتمام الصحابة بسورة البقرة

المطلب الأول: وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا " ومواقف أبوبكر الصديق المستنيرة

المطلب الثاني: يا أصحاب سورة البقرة

المبحث الأول

لا تستطيعها البطلة

المطلب الأول: وسائل الإعلام والسحر الذي لا يستطيعه البطلة:

تحدثنا في المطلب السابق أن أعمال يهود تدور على "نظرية المؤامرة" وهي كذلك وهناك تطبيقات عملية لنظرية المؤامرة في وقتنا الحالي . وفهم هذه المؤامرات المعاصرة أهم من سرد أحاديث وقصص بني إسرائيل لمجرد السرد فالمهم هو الإعتبار ، ولمؤامرات يهود جوانب عديدة لا نستطيع حصرها بل لا يمكن حصرها لقوله تعالى : {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)} [إبراهيم: 46] ، وقال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : {قد مكروا مكرهم} أي الشديد العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم بحيث لم يبق لهم مكر غيره في تأييد الكفر وإبطال الحق؛ والمكر: الفتل إلى الضرر على وجه الحيلة {و} الحال أنه {عند الله} أي المحيط علماً وقدرة {مكرهم} هو وحده به عالم من جميع وجوهه وإن دق، وعلى إبطاله قادر وإن جل {وإن كان مكرهم} من القوة والضخامة {لتزول} أي لأجل أن تزول {منه الجبال *} والتقدير على قراءة فتح اللام الأولى ورفع الثانية: وإن كان بحيث إنه تزول

منه الجبال، والمعنيان متقاربان، وقيل: «إن» نافية، واللام لتأكيد النفي؛ والجبال: الآيات والشرائع، بل هي أثبت¹⁵⁷.

وعليه فلا يمكن حصر جميع جوانب مؤامرة يهود وغيرهم والله وحده بنص الآية قادر على ذلك . وهذا يعني أن بقدراتنا البشرية الذاتية لا نستطيع مواجهة يهود . ولكن بإسترشادنا بكتاب الله وتدبر معانيه فإن الله ينصرنا عليهم . وسنطرح في بحثنا جوانب المؤامرة الأكثر ظهورا في واقعنا المعاصر في صراعنا مع يهود على أن نبحت في مؤامراتهم مرتبة حسبما جاء في كتاب الله العزيز بحسب ترتيب الآيات التي أعقبت قصة البقرة في سورة البقرة . لكن هناك ملاحظة هامة جدا وهو أنه لا سبيل لمواجهة مؤامرات يهود بالأساليب البشرية الاعتيادية لضخامة وفضاعة كيدهم بالإسلام والمسلمين . وأي مواجهة بين يهود والمباشرين للمواجهة بأدوات بشرية بدون الإهتداء بكتاب الله عز وجل محكوم عليها بالفشل والله أعلم ، وأولى المؤامرات المعاصرة لليهود والواضحة للعيان للوهلة الأولى هي مؤامرتهم في توجيه وسائل الإعلام والتي يشبه عملها عمل السحر في المستمعين وورد في سورة البقرة التنبيه على هذا النوع من المؤامرة . على أية حال فإن سورة البقرة وضعت أسسا وخطوط عامة لمقاومة فساد بني إسرائيل ومؤامراتهم ويؤكد ذلك ما أورده الإمام السيوطي في كتابه الدر المنثور ، والحقيقة أن سورة البقرة لا تستطيعها البطلة أي السحرة كما أسلفنا سابقا بحسب نص الحديث . و أحد اخطر جوانب السحر في أيامنا هو تأثير وسائل الإعلام وذلك في توجيه العامة وتشويه أفكارهم وبالتالي تضليل مسارهم ، ومن الآيات التي وردت في سورة البقرة بعد قصة البقرة والتي أشارت إلى نظرية المؤامرة تلويا فكانت الآيات التالية مفصلة لما أجمله القرآن سابقا فقال تعالى : وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101) [البقرة : 101] ، وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ

¹⁵⁷ نظم الدرر ج10 ص 437

وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)

[البقرة : 102] ، أورد البقاعي رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين : (واتبعوا ما تتلوا) أي تقرأ أو تتبع ، وعبر بالمضارع إشارة إلى كثرته وفشوه واستمراره (الشياطين على ملك) أي زمن ملك (سليمان) من السحر الذي هو كفر قال الحراي : من حيث إن حقيقة أمر يبطل بذكر اسم الله ويظهر أثره فيما قصر عليه من التخيل والتمريض ونحوه بالاقترار به من دون اسم الله الذي هو كفر - ¹⁵⁸ . ولمزيد من توضيح هذه الآيات والتي تتكلم عن إحدى أكبر أساليب يهود في الإغواء وهي وسائل الإعلام فنورد ما قاله القرطبي في تفسير هذه الآيات حيث قال رحمه الله ما يلي : قوله تعالى: واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتريه ما له في الآخرة من خلاق و لبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون (102) فيه أربع وعشرون مسألة: الأولى - قوله تعالى: " واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان " هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضا، وهم اليهود. وقال السدي: عارضت اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوراة فانفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وبسحر هاروت وماروت.....الثالثة - السحر، قيل : السحر أصله التمويه بالحيل والتخايل ، وهو أن يفعل الساحر أشياء و معاني ، فيخيل للمسحور أنها بخلاف

ما هي به، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ، وركاب السفينة السائرة سيرا حثيثا يخيّل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه. وقيل: هو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته ، وكذلك إذا علته ، والتسحير مثله ، قال لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا * عسافير من هذا الانام المسحر

آخر : أرانا موضعين لأمر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب عسافير وذبان ودود * وأجراً من مجلحة الذئاب وقوله تعالى : " إنما أنت من المسحرين " يقال : المسحر الذي خلق ذا سحر ، ويقال من المعلنين ، أي ممن يأكل الطعام ويشرب الشراب.

وقيل: أصله الخفاء ، فإن الساحر يفعله في خفية. وقيل: أصله الصرف ، يقال : ما سحرك عن كذا ، أي ما صرفك عنه، فالسحر مصروف عن جهته. وقيل: أصله الاستمالة ، وكل من استمالك فقد سحرك. بوقيل في قوله تعالى : " بل نحن قوم مسحورون " أي سحرنا فأزلنا بالتخييل عن معرفتنا. وقال الجوهري : السحر الأخذ ، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر ، وقد سحره يسحره سحرا. والساحر : العالم ، وسحره أيضا بمعنى خدعه ، وقد ذكرناه.

وقال ابن مسعود : كنا نسمي السحر في الجاهلية العضه. والعضه عند العرب : شدة البهت وتمويه الكذب ، قال الشاعر : أعوذ بربي من النافثات في عضه العاضه المعضه الرابعة - واختلف هل له حقيقة أم لا ، فذكر الغزنوي الحنفي في عيون المعاني له : أن السحر عند المعتزلة خدع لا أصل له ، وعند الشافعي وسوسة وأمراض. قال : وعندنا أصله طلسم يبني على تأثير خصائص الكواكب ، كتأثير الشمس في زئبق عصي فرعون ، أو تعظيم الشياطين ليسهلوا له ما عسر. قلت : وعندنا أنه حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما شاء، على ما يأتي. ثم من السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة. والشعوذي : البريد لخفة سيره. قال ابن فارس في المجمل : الشعوذة ليس من كلام أهل البادية ، وهي خفة في اليدين وأخذة كالسحر ، ومنه ما

يكون كلاما يحفظ ، ورقى من أسماء الله تعالى. وقد يكون من عهود الشياطين ، ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك.

الخامسة - سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم الفصاحة في الكلام و اللسان فيه سحرا ، فقال : (إن من البيان لسحرا) أخرجه مالك وغيره. وذلك لان فيه تصويب الباطل حتى يتوهم السامع أنه حق، فعلى هذا يكون قوله عليه السلام : (إن من البيان لسحرا) خرج مخرج الذم للبلاغة والفصاحة ، إذ شبهها بالسحر. وقيل: خرج مخرج المدح للبلاغة والتفضيل للبيان ، قاله جماعة من أهل العلم. والاول أصح، والدليل عليه قوله عليه السلام : (قلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض) ، وقوله : (إن أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون).

الثرثرة : كثرة الكلام و ترديده ، يقال : ثرثر الرجل فهو ثرثر مهذار. والمتفيهق نحوه. قال ابن دريد فلان يتفيهق في كلامه إذا توسع فيه وتنطع، قال: وأصله الفهق وهو الامتلاء، كأنه ملا به فمه. قلت: وبهذا المعنى الذي ذكرناه فسره عامر الشعبي راوي الحديث وصعصعة بن صوحان فقالا: أما قوله صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان لسحرا) فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وهو عليه، وإنما يحمد العلماء البلاغة واللسانة ما لم تخرج إلى حد الإسهاب والإطناب، وتصوير الباطل في صورة الحق. وهذا بين، والحمد لله.¹⁵⁹ ، مما تقدم فإن الإمام القرطبي صنف من ضمن أعمال السحر "إن من البيان لسحرا" . وقد تقدم كلام القرطبي رحمه الله عن أن السحر يكون بإيحاء خفي لا يحس به المسحور الذي تم ثنيه عن وجهته دون أن يشعر والتمويه بالحيل والخفاء والإستمالة والأخذة والخدع والفصاحة باللسان . وكل أوصاف القرطبي التي وصف بها السحر هي بالضبط أوصاف تنطبق على أفعال وسائل الإعلام والتي هي عنوان المطلب . والقرآن الكريم

¹⁵⁹ القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" دار الكتب العلمية بيروت ج1 ص 32

أولى وسائل الإعلام أهمية خاصة وقد أفرد سورة كاملة تتحدث عن وسائل الإعلام وهي سورة الشعراء . ومقصود السورة كما أورده البقاعي رحمه الله :

مقصودها وتسميتها بالشعراء أدل دليل على ذلك بما يفارق به القرآن الشعر من علو مقامه ، واستقامة مناهجه وعز مرامه ، وصدق وعده ووعيده وعدل تبشيره وتهديده ، وكذا تسميتها بالظلة إشارة إلى أنه أعدل في بيانه ، أو أدل في جميع شأنه ، من المقادير التي دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالكميال والميزان ، وأحرق من الظلة لمن يبارزه بالعصيان¹⁶⁰. لكن في النسخة التي أرجع إليها أشارت الحاشية للفقرة أعلاه لكلمة "الظلة" وجدت في مخطوطة أخرى "المظلمة" وفي مخطوطة ثالثة وجدت الكلمة "الظلمة" . وأميل شخصيا لترجيح كلمة الظلمة وذلك لأن سورة الشعراء كان في بدايتها الآية : وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) [الشعراء : 10 ، 11]

فعلى الرغم من أن قوم فرعون قوم كافرين إلا انه في هذه السورة أشار إلى صفة مشتركة بين الكافرين والمنافقين بالوصف "الظالمين" ذلك أن الفريقين يستخدمون وسائل الإعلام لتمير ظلمهم فعبر تعالى باللفظ الذي يجمع الفريقين ، إضافة لما سبق فقد كانت آخر آية في سورة الشعراء قوله تعالى : إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227) [الشعراء : 227] وعليه فإن سورة الشعراء تتكلم عن الظالمين في بداية السورة وفي نهايتها . والشعر أو وسيلة الإعلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أعلى درجات البيان عند العرب وهو وسيلة الظلمة في السيطرة على العامة . وقد كان للعرب مطارحات شعرية وإهتماما بالشعر الذي عبر عن مشاعرهم وأحاسيسهم . ويكفي لمعرفة أهمية تأثير الشعر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ما ورد في الدر المنثور ان جبريل عليه السلام أعان حسان بن ثابت على

¹⁶⁰ البقاعي نظم الدرر دار الكتاب الإسلامي الطبعة الثانية 1992 ج 14 ص 2

مدحته النبي صلى الله عليه و سلم بسبعين بيتا وأخرج ابن سعد وأحمد عن أبي هريرة قال :
مر عمر بحسان وهو ينشد في المسجد فلحظ إليه فنظر إليه فقال : قد كنت أنشد فيه وفيه من
هو خير منك فسكت ثم التفت حسان إلى أبي هريرة فقال : أنشدك بالله هل سمعت رسول الله
صلى الله عليه و سلم يقول " أجب عني اللهم أيده بروح القدس " ؟ قال : نعم ، وأخرج ابن
سعد عن ابن سيرين قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة وهم في سفر " أين حسان
بن ثابت ؟ فقال : لبيك يا رسول الله وسعديك قال : أحد فجعل ينشده ويصغي إليه حتى فرغ
من نشيده فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لهذا أشد عليهم من وقع النبل ¹⁶¹ وأخرج ابن
عساكر عن حسن بن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " لعبد الله بن رواحة ما
الشعر ؟ قال : شيء يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعرا " ، وأخرج ابن سعد عن
مدرّك بن عمارة قال : قال عبد الله بن رواحة : قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم :
كيف تقول الشعر اذا أردت أن تقول - كأنه يتعجب لذاك - ! قلت : انظر في ذاك ثم أقول
قال : فعليك بالمشرّكين وأخرج ابن سعد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله
عليه و سلم " من يحمي أعراض المسلمين فقال عبد الله بن رواحة : أنا ، وقال كعب بن مالك
: أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : انك تحسن الشعر ، وقال حسان بن ثابت : أنا
، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أهجهم فان روح القدس سيعينك " .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال " اذا
نصر القوم بسلاحهم أنفسهم فالسنتهم أحق ، فقام رجل فقال : يا رسول الله أنا ، قال : لست
هناك ، فجلس فقام آخر فقال : يا رسول الله أنا ، فقال بيده معنى أجلس ، فقام حسان فقال :
يا رسول الله ما يسرنني به مقولا بين صنعاء وبصرى وانك ما سببت قوما قط بشيء هو أشد

¹⁶¹ الجامع الصغير وزيادته (ص: 4288، بترقيم الشاملة آليا)
اهُجُّ قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشَقِ النَّبْلِ (ق) عن عائشة ، [حكم الألباني ، (صحيح) انظر حديث رقم:
2523 في صحيح الجامع

عليهم من شيء يعرفونه فمر بي إلى من يعرف أيامهم وبيوتاتهم حتى أضع لساني فأمر به إلى أبي بكر¹⁶² . إن ما ذكره السيوطي أعلاه ليدل دلالة قاطعة على أهمية الإعلام في المعركة مع أعداء الله وأهمية إختيار الأشخاص الأكثر قدرة على الدفاع عن وجهة نظر المسلمين بل ومهاجمة الكافرين وهذا هو الأصل . إضافة لما ذكر هناك أهمية ان يتعرف المسلمون على سقطات أعداء الله فيسلط الإعلام الإسلامي الضوء عليها فعندما أمر رسول الله صلى الله عليه بحسان لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما وذلك ليطلع أبا بكر حسان على معاييب قريش فيهجوهم . وهذا يعني أن معركة وسائل الإعلام تتضمن جميع المعلومات عن الخصم والله أعلم ، أما عن تأثير الإعلام فقد قال تعالى في نهاية سورة الشعراء : هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ (223) وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) [الشعراء : 221 - 224] ، (والشعراء يتبعهم) أي بغاية الجهد ، في قراءة غير نافع بالتشديد ، لاستحسان مقالهم وفعالهم ، فيتعلمون منهم وينقلون عنهم (الغاؤون) أي الضالون المائلون عن السنن الأقوم إلى الزنى والفحش وكل فساد يجر إلى الهلاك ، وهم كما ترى بعيدون من أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) ورضي عنهم الساجدين الباكين الزاهدين . ولما قرر حال أتباعهم ، فعلم منه أنهم هم أغوى منهم ، لتهتكهم في شهوة اللقطة باللسان ، حتى حسن لهم الزور والبهتان ، دل على ذلك بقوله : (ألم تر أنهم) أي الشعراء . ومثل حالهم بقوله : (في كل واد) أي من أودية القول من المدح والهجو والنسيب والرياء الحماسة والمجون وغير ذلك (يهيمون) أي يسيرون سير الهائم حائرين وعن طريق الحق جائرين ، كيفما جرهم القول انجروا من القدح في الأنساب ، والتشبيب بالحرم ، والهجو . ومدح من لا يستحق المدح ونحو ذلك ، ولهذا قال : (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) أي لأنهم لم يقصدوه . وإنما ألجأهم إليه الفن الذي سلوكه فأكثر اقوالهم لا حقائق لها ،

¹⁶² السيوطي الدر المنثور دار الفكر للطباعة بيروت لبنان ج6 ص 337

وهذا بخلاف القرآن فإن معانيه جليلة محققة ، في ألفاظ متينة جميلة منسقة ، وأساليب معجزة مفحمة ، ونظوم معجبة محكمة ، لا كلفة في شيء منها ، فلا رغبة لذي طبع سليم عنها ، فأنتج ذلك أنه لا يتبعهم على أمرهم إلا غاو مثلهم ، ولا يزهد في هذا القرآن إلا من طبعه جاف ، وقلبه مظلّم مدلهم .¹⁶³

مما سبق يتبين أن الشعراء وقد عطفهم الله على السحرة في نهاية سورة الشعراء أضف إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحرا" فتأثير الشعراء وبعبارة أخرى تأثير وسائل الإعلام يكاد يكون مواز للسحر بل هو وجه من وجوه السحر كما شرح الإمام القرطبي رحمه الله. لكن اللافت قراءة التشديد يتبعهم (بتشديد التاء) والقراءة الثانية يتبعهم فأما كلمة يتبعهم (بدون تشديد) فهم في هذه الحالة يسيرون بنفس سرعة الشاعر في الإغواء ولتوضيح الأمر فالمقطورة تتبع (بدون تشديد) محرك القطار لكن في قراءة يتبعون (بالتشديد) فإنها تعني أن الغاؤون يسيرون بسرعة أكبر من سرعة الشعراء ولتصوير المعنى فلو تخيلنا حافلة تحركت من الخرطوم لمدينة ود مدني وأراد راكب اللحاق بها بعدما تحركت فيجب أن يسير بسرعة أكبر من سرعة الحافلة وعليه فإن تأثير الإعلام متفاوت بحسب ما تقتضيه القراءتان وعليه فإن تقبل العامة لما تورده وسائل الإعلام متفاوت بين مستمعي هذه الوسائل وهذه الفكرة التي أوردتها قصة البقرة إجمالاً ذكرت تفصيلاً في سورة الشعراء كما أسلفنا . والإجمال واضح في نهاية قصة البقرة حين تفاوتت القراءات لكلمة (تشابه علينا) وسيأتي في تفسير قصة البقرة تفصيلاً لما ذكرناه بأكثر من ذلك،

إضافة لما ذكر فإن شرح معنى كلمة الغاؤون يشرح ما ذكرناه آنفاً ويضيف لذلك وهي كلمة من غواه فكما أورد مرتضى الزبيدي في كتابه تاج العروس من جواهر القاموس (وغواه) تغوية لغة (و) قوله تعالى والشعراء (يتبعهم الغاؤون) جاء في التفسير (أي الشياطين أو

¹⁶³ نظم الدرر ج 14 ص 115

من ضل من الناس أو الذين يحبون الشاعر إذا هجا قوماً (بما لا يجوز نقله الزجاج) أو يحبونه لمدحه إياهم بما ليس فيهم (ويتابعونه على ذلك عن الزجاج أيضاً) (والمغواة مشددة) الواو أي مع ضم الميم (المضلة) وهى المهلكة وأصله في الزبية تحفر للسباع ومنه قول رؤبة * الى مغواة الفتى بالمرصاد * يريد الى مهلكته ومنيته (كالمغواة كمهواة) أي بالفتح يقال أرض مغواة أي مضلة (ج مغويات) بالألف والتاء هو جمع المغواة بالتشديد وأما جمع المغواة فالمغاوى كالمهاوى (والاغوية كأثفية المهلكة) أيضاً حفرة مثل (الزبية) تحفر للذئب ويجعل فيها جدى إذا انظر إليه سقط يريده فيصاد (وتغاؤوا عليه) أي تجمعوا عليه و (تعاونوا عليه) وأصله في الشر لأنه من الغى والغواية وقوله (فقتلوه) هو من حديث قتلة عثمان فتغاؤوا عليه والله حتى قتلوه¹⁶⁴ ، مما تقدم فالغاوين يقعون فيما يرسمه لهم الشعراء كما يقع الذئب أو الأسد حين يراد صيده فيربط له ظبي ويحفر حول الظبي حفرة تغطى بالقش فيقع في الحفرة حين يندفع الأسد بإرادة ذاتية عنيفة دون تدبر للأمر ومتسرعاً في الهجوم على الظبي المقيد فيتم صيده أقول هذا لأن هذا فعل وسائل الإعلام التي يسيطر على جزء كبير منها يهود بأموالهم فهي أي وسائل الإعلام توجه مستمعيها للوجهة التي تريدها فيقع المستمعون البعيدون عن فهم كتاب الله على الأغلب فرائس لشباك نصبت لهم . وعامة الناس لديهم قابلية كبيرة للتأثر بما يقال لهم ويؤكد ذلك تصنيف الإمام علي بن أبي طالب لعامة الناس في وصيته لكميل بن زياد : "يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها ، إحفظ ما أقول لك : الناس ثلاثة ، فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق...¹⁶⁵ . وتحليل كلام سيدنا الإمام علي رضي الله عنه فإن الجهل بعلم الدين هو الأرضية المناسبة لسموم الإعلام الناعق

¹⁶⁴ مرتضى الزبيدي تاج العروس دار الفكر بيروت طبعة 1994 ج20 ص 33

¹⁶⁵ للحافظ أبي نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" دار الكتاب العربي بيروت ط الثالثة 1980 ج1 ص80

. وهم أي يهود عالمون بتصنيف الناس كما أشار إليه كلام الإمام علي بتأثير وسائل الإعلام في توجيه الرأي العام

فلقد ورد في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون في البروتوكول الثاني " إن الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس . فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور ، وتعلن شكاوي الشاكين ، وتولد الضجر أحيانا بين الغوغاء . وغن تحقيق حرية الكلام قد ولد في الصحافة ، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة ، فسقطت في أيدينا ، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذا ، وبقينا نحن وراء الستار ، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب ، ولو أن ذلك كلفنا أنهارا من الدم : فلقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا ، ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافا من الأمميين (غير اليهود) أمام الله ¹⁶⁶ ولمعرفة مدى تأثير وسائل الإعلام على العامة نورد ما تم ذكره في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون حيث قال : "دعوهم يتمتعوا ويفرحوا بأنفسهم حتى يلاقوا يومهم ، أو دعوهم يعيشوا في أحلامهم بملذات وملاه جديدة ، أو يعيشوا في ذكرياتهم للأحلام الماضية ، دعوهم يعتقدوا ان هذه القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم . بتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع ، وبمساعدة صحافتنا نزيد من ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة ، إن الطبقات المتعلمة ستختال زهوا أمام أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافا في مزاوله المعرفة التي حصلتها من العلم الذي قدمه إليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولهم حسب الإتجاه الذي توخيانه ¹⁶⁷ وقد يقول قائل إن ما ذكرته البروتوكولات أشياء يصعب تصديقها لكنني أعيد القارئ للبروتوكولات والتي أشارت إلى مدى نجاح نتائج هذه المخططات فقد قالت البروتوكولات : "لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا ان نجاح دارون Darwin و ماركس

¹⁶⁶ بروتوكولات حكماء صهيون دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الرابعة ص 124

¹⁶⁷ بروتوكولات حكماء صهيون ص 123

Marx و نيتشة Nietzsche قد رتبناه من قبل والأثر غير الأخلاقي لإتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا على التأكيد¹⁶⁸ .

مما سبق يتضح أن يهود يمارسون عملية تزييف الحقائق وتضليل الجماهير بقوة الرأي العام الذي يسيطرون عليه بواسطة وسائل الإعلام أقول وإن عصا موسى عليه السلام التي أبطلت سحر سحرة فرعون . ولكن الله تعالى أعطانا ما هو أقوى من عصا موسى ، أعطانا الله كتابه العزيز الذي فيه سورة البقرة التي لا تستطيع إبطالها البطة وهم السحرة. بعبارة أخرى إن الشبهات التي ينتجها يهود في وسائل الإعلام موجود وسيلة إبطالها في سورة البقرة . وضرب الله مثلا لنا في إبطال شبهاتهم بقصة البقرة التي نحن بصددها . وهنا الفرق الرئيس لأمة الإسلام التي تنتج معجزتها بكتاب الله الموجود والمحفوظ بحفظ الله له . وهذا واضح أشد الوضوح في كتاب الله في قوله في أول سورة الكهف حيث قال تعالى : {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2)} [الكهف: 1، 2] ، وقال البقاعي في تفسير هذه الآية : (قيما) تصريحاً باللائم تأكيدا له ، ومقيدا انه مهيم على ما قبله من الكتب مقيم لغيره وقد مضى في الفاتحة ثم في الأنعام عن الإمام سعدالدين التفتازاني الشافعي رحمه الله أن كل سورة أفتتحت بالحمد فلإشارة إلى نعمة من امهات النعم¹⁶⁹ وعليه فإن كتاب الله مقوم لغيره عن أي إنحراف كائنا من كان هذا الإنحراف لقوله تعالى : {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54)} [الكهف: 54] وهذه الآية تعني أن كل قضية تطرح لها من كتاب الله العزيز بيان وتوضيح وحيث أن هذا الكتاب "قيم" فهو يقوم المسلمين كلهم من كل مؤامرات يهود وغيرهم . وهذه كما ذكر البقاعي رحمه الله من أمهات

¹⁶⁸ بروتوكولات حكماء صهيون ص 124

¹⁶⁹ نظم الدرر ج 12 ص 4

النعم . فالحمد لله على نعمة الإسلام ونعمة الكتاب . وكتطبيق عملي لهذا الكيد عبر وسائل الإعلام من يهود و أعوان يهود فلقد ورد في بنود إجتماع لأجهزة المخابرات المصرية بحضور مساعد رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن وكان الإجتماع مخصصا لتحديد إطار ونقاط لمحاربة الإسلاميين . ولقد ورد في بنود هذا الإجتماع العبارة التالية :

"3- تحريك قضايا التطرف الديني من وقت لآخر ، وتسليط الأضواء عليها إعلاميا مع تشجيع غلاة المتطرفين بعد القبض عليهم وتصعيد الغرور فيهم حتى تكون تصريحاتهم المغرورة المتمتة مادة لأجهزة الإعلام لإثارة الجمهور عليهم بدلا من التعاطف معهم ، ثم ربط هذه القضايا بالعمالة لبعض دول الرفض المتطرفة مثل ليبيا والعراق¹⁷⁰ ومن الإقتباس المتقدم يتبين لنا بوضوح أننا أمام معركة أحد أهم جوانبها وسائل الإعلام والتي يشنها يهود على الإسلام وتأصيل ذلك في سورة الشعراء وهي السورة التي تعني بوسائل الإعلام حيث كان الشعر وسيلة الإعلام الرئيسية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . والعجيب والغريب أن فرعون حاكم مصر في عهد موسى لجأ إلى نفس الأسلوب الذي لجأت إليه أجهزة الإعلام في حربها للإتجاه الإسلامي في مصر وذلك بتسليط الأضواء على تصرف لمسلم ما في ظرف معين فلقد قال تعالى : **وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ** (19) [الشعراء : 19] ، **قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ** (20) [الشعراء : 20] ، قال البقاعي رحمه الله في تفسيره في شرح هاتين الآيتين : ذكره ذنباً هو أهل لأن يخاف من عاقبته فقال مهولاً له بالكناية عنه : (**وفعلت فعلتك**) أي من قتل القبطي ، ثم أكد نسبته إلى ذلك مشيراً على أنه عامله بالحلم تخجيلاً له فقال : (**التي فعلت وأنت**) أي والحال أنك (**من الكافرين**) أي لنعمتي وحق تربيتي بقتل من ينسب إليّ ، أو عده منهم لسكوته عنهم إذا ذاك ، لأنه لم يكن قبل الرسالة

¹⁷⁰ الطريق إلى جماعة المسلمين تأليف حسين بن محسن بن علي جابر دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة جمهورية مصر العربية ص 320

مأموراً فيهم بشيء ، فكان مجاملاً لهم ، فكأنه قال : وأنت منا . فما لك الآن تتكر علينا وتنسبنا إلى الكفر ؟ (قال) مجيباً له على طريق النشر المشوش ، واثقاً بوعد الله مقراً بالسلامة مقراً بما دندن عليه من القتل لأنه لم يكن متحققاً لذلك ، وما ترك قتله إلا التماساً للبينة : (فعلتها إذاً) اي إذ قتلته (وأنا من الضالين) أي لا أعرف ديناً ، فأنا واقف عن كل وجهة حتى يوجهني ربي إلى ما يشاء - قال ابن جرير : والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال - على أن هذه الفعلة كانت مني خطأ (ففررت) اي فتسبب عن فعلها وتعقبه أني فررت (منكم) اي منك لسطوتك ومن قومك لإغرائهم إياك عليّ (لما خفتكم) على نفسي أن تقتلوني بذلك القتل الذي قتلته خطأ مع كونه كافراً مهدر الدم (فوهب لي ربي) الذي أحسن إليّ بتربيتي عندكم تحت كنف أمي آمنة مما أحدثتم من الظلم خوفاً مني (حكماً) اي علماً أعمل به عمل الحكام الحكماء (وجعلني من المرسلين) اي فاجهد الآن جهداً فإنني لا أخافك لقتل ولا غيره .¹⁷¹ .

في آيات سورة الشعراء التي ذكرناها آنفاً لقد ركز فرعون على فعلة سيدنا موسى عليه السلام والذي تصرف وقتل القبطي في الوقت الذي لم يؤمر به بالقتال في الوقت الذي كان فرعون قد قتل الآلاف من أطفال بني إسرائيل وهو أي فرعون يعير موسى بقتله لقبطي واحد بدون قصد من موسى عليه السلام فكان خطاب فرعون يركز على قتل قبطي واحد متناسياً قتله الآلاف من أطفال بني إسرائيل، لقد كان ذلك في عهد موسى عليه السلام وفرعون اما الإعلام في عصرنا فقد تلاعب بمصطلحات الكلمات لتضليل المسلمين ، وعلى المسلمين أن يختاروا مصطلحات إسلامية خالصة بعيدة عن تأثير وسائل الإعلام ، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك مصطلح الإسلام السياسي الذي إنتشر بين اوساط المسلمين . والذي لو سلمنا به فهذا يعني أن هناك إسلام سياسي و إسلام غير سياسي . وهذا مخالف لفهمنا للإسلام

¹⁷¹ نظم الدرر ج 14 ص 22

فالإسلام منهج شامل واحد يمس كافة جوانب الحياة . فرسول الله صلى الله عليه وسلم كلن داعية وكان قائدا عسكريا وكان سياسيا بامتياز . فكل من يفهم الإسلام فهما ناقصا لا يمكن أن يحقق نصر الله المطلوب أبدا . فلو سلمنا بمصطلح الإسلام السياسي لنتج عندنا فهم لإسلام كهنوتي يقتصر على العبادات والذكر والمعاملات الشخصية فقط وهذا مما يتيح لأعداء الإسلام التسلط على أمة خانعة لا تتور لتحقيق إستخلاف الإسلام في الأرض . بل وهذا المصطلح يتيح لأعداء الإسلام القضاء على منابع القوة في الامة الإسلامية بتشتيت المسلمين في مفاهيم متباينة قنتباين مواقفهم تبعا لذلك. وعليه يجب على دعاة الإسلام إستخدام المصطلح الصحيح في مخاطباتهم . وقد يكون المسلم طبيب أو مهندس أو أستاذ جامعي لكن إستخدامه لمصطلح مدسوس يؤدي لكوارث على أمة الإسلام ، إن التسليم بوجود إسلام سياسي يعني أن هناك إسلام غير سياسي وهذا طعن في صلب الدين لقوله تعالى : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)} [الأنعام: 153] فاتباع السبل هو بداية التفرق عن سبيل الله وطريق الإسلام واحدة . فالإسلام يجب ان يؤخذ متكاملا بدون نقص للقيام به وهذا ما قاله تعالى في كتابه العزيز : {وَأَنَّ احْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49)} [المائدة: 49] سمى الله عز وجل صرفنا عن بعض ما أنزله الله إلينا فتنة وهي كذلك ومنعا لهذا الخلل في صفوف الجماعة المسلمة ومراجعة كافة الثغرات فإن من يتولى أمرا من أمور المسلمين يجب عليه تحصين نفسه بالفهم الشرعي منعا لأي إختراق وذلك بإستعمال مصطلحات إسلامية وليست تلك المدسوسة على المسلمين وسيأتي تفصيل لما ذكرناه آنفا في مطلب "لا تقولوا راعنا"، وقد أكد ما ذكرناه آنفا الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإن لجاهل

ربما عاد إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنجاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع غلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا، فثبت أن هذا التكليف متوجه على العلماء، ولا شك أنهم بعض الأمة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين [التوبة: 122]¹⁷²، ولحاجة الأمة للتوجيه والمتابعة للصيقة ورد في سورة الكهف: **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** (28) [الكهف: 28].

قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (واصبر نفسك) أي إحبسها وثبتها في تلاوته وتبيين معانيه (مع الذين يدعون ربهم) شكراً لإحسانه ، واعترافاً بامتنانه ، وكنى عن المداومة بما يدل على البعث الذي كانت قصة أهل الكهف دليلاً عليه فقال تعالى: (بالغداة) أي التي التي الانتقال فيها من النوم إلى اليقظة كالإنتقال من الموت إلى الحياة (والعشي) أي التي الانتقال فيها من اليقظة إلى النوم كالإنتقال من الحياة إلى الموت ؛ ثم مدحهم بقوله تعالى معللاً لدعائهم: (يريدون) أي بذلك (وجهه) لا غير ذلك في رجاء ثواب أو خوف عقاب وإن كانوا في غاية الرثاثة ، وأكد ذلك بالنهي عن ضده فقال مؤكداً للمعنى لقصر الفعل وتضمينه فعلاً آخر: (ولا تعد عيناك) علواً ونبوءاً وتجاوزاً (عنهم) إلى غيرهم ، أي لا تعرض عنهم ، حال كونك (تريد زينة الحياة الدنيا) التي قدمنا في هذه السورة أننا زينا بها الأرض لنبلوهم بذلك فإنهم وإن كانوا اليوم عند هؤلاء مؤخرين فهم عند الملك الأعلى مقدمون ، وليكونن عن قريب - إذا بعثنا من نريد من العباد بالحياة من برزخ الجهل - في الطبقة العليا من أهل العز ، وأما بعد البعث الحقيقي فلتكونن لهم مواكب يهاب الدنو منها كما كان لأهل

¹⁷² الرازي التفسير الكبير دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة ج8 ص167

العز ، وأما بعد البعث من نريد من العباد بالحياة من في حياتهم قبلها هاربين مستخفين في غاية الخوف والذل ، وأما إن عدت العينان أحداً لما غفل عنه من الذكر ، وأحل به من الشكر ، فليس ذلك من النهي في شيء لأنه لم يرد به إلا الآخرة .¹⁷³

ولفهم مقصود الآية اعلاه فهي في سياق سورة الكهف وأحد مقاصد سورة الكهف هو رد الفتن فقرة عشر آيات من سورة الكهف تكون حرزا من المسيح الدجال . وقد نزلت هذه السورة أصلا للرد على أسئلة يهود والتي أرادوا فيها إمتحان سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم تكن إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم سببا لهداية يهود بل ضلوا عن علم بعبارة اخرى إن سحر وسائل الإعلام يبطل مع آيات القرآن و من أعظم ما يبطلها ما ورد في سورة الكهف التي ترد على الفتن والله أعلم .ولذا أوصى الله نبيه عليه الصلاة والسلام بعدم ترك أفراد المسلمين عرضة للشبهات والشكوك التي يبيثها يهود وعليه فإن المتابعة للصيقة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم لأفراد المسلمين لمعالجة آثار كل حملات إعلامية لتشويه الإسلام مهمة جدا هذه الشبهات التي يبيثها أعداء الإسلام وعليه فمن هو دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بهذه المتابعة. والأمر لا يقتصر على محاولة إضلال عامة المسلمين بل يصل الأمر لمحاولة فتنة زعماء المسلمين بل ورأس الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم لكن هيهات والله مولاه وناصره صلى الله عليه وسلم فقد قال تعالى في كتابه العزيز : وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا (73) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذَا لَأَذْنُكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75) [الإسراء : 73 - 75] هذه الآية وردت في سورة الإسراء كما هو مذكور أعلاه ، لكن كما نعلم فإن سورة الإسراء لها إسمين آخرين وهما سورة سبحان وسورة بني إسرائيل . والسبب أننا نذكر إسم السورة في بداية الحديث عند الإستشهاد بالآية ذلك لأن لكل سورة قصة خاصة

¹⁷³ نظم الدرر ج12 ص 50

بها والآيات المذكورة بالسورة تخدم المعنى الذي جاءت به هذه السورة ، وبهذا يتضح لنا الهدف من إيراد الآية والتي تجيء لخدمة الأهداف العامة للسورة . بل في أبعد من ذلك فإن فقد أورد الكرمانى في كتابه "أسرار التكرار في القرآن " أسباب تباين بعض الآيات المتشابهة في كتاب الله عز وجل وتختلف صياغة كل آية بحسب الهدف والغاية الأسمى لسورة القرآن التي ورد بها الآية ويكون الهدف والغاية الأسمى مرتبط بإسم السورة . فإن سورة الإسراء تتكلم عن علو بني إسرائيل حيث أن ذلك واحد من أسماء سورة الإسراء . وتتكلم سورة الإسراء عن فساد عظيم يقوم به بنو إسرائيل وذلك أن سورة الإسراء بدأت بكلمة سبحان .

وكل من أسمائها واضح الدلالة على ما ذكر أنه مقصودها أما سبحان الذي هو علم للتنزيه فمن أظهر ما يكون فيه ، لأن من كان على غاية النزاهة عن كل نقص كان جديراً بان لا نعبد إلا إياه وأن نعرض عن كل ما سواه لكونه متصفاً بما ذكر وقد ذكر الإمام البقاعي في تفسير سورة الحديد في التسبيح : ولما ختمت الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث ، جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه وتبيينه بالدليل والبرهان والسيف والسنان فقال تعالى كالتعليل لآخر الواقعة : (سبح) أي أوقع التسبيح بدلالة الجبل تعظيماً له سبحانه وإقراراً بربوبيته وإذعاناً لطاعته ، وقصره ، وهو متعد ليدل على العموم بقصره ، وعلى الإخلاص بتعديته باللام وجعله ماضياً هنا وفي الحشر والصف ومضارعاً في الجمعة والتغابن ليدل على أن مما أسند إليه التسبيح هو من شأنه وهجيره ودينه وتخصيص كل من الماضي والمضارع بما افتتح به لما يأتي في أول الجمعة ، والإتيان بالمصدر أول الإسراء أبلغ من حيث إنه يدل إطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال ¹⁷⁴ وعليه فما أشارت إليه سورة الإسراء بالتسبيح بصيغة المصدر يشير إلى عظم الجريمة التي ستقع من يهود في سورة الأقصى في بعض الروايات . وهذا مما دفعنا كهدف من أهداف البحث توضيح خطر يهود

¹⁷⁴ نظم الدرر ج 19 ص 252

ففي هذه الآية أورد البقاعي رحمه الله فقال محذراً للبصراء عن الاغترار بوساوس الأشقياء: (وإن) أي وأكثر هؤلاء أعمى ، قد افتتن في نفسه بهواه مع بياننا لطريق الرشد بما أوحينا إليك من هذه الحكمة حتى صارت أوضح من الشمس وإن الأعداء (كادوا) أي قاربوا في هذه الحياة الدنيا لعماهم في أنفسهم عن عصمة الله لك بسبب عمائم عما جبلت عليه من الفطنة ، وجودة الفطرة ، وذكاء القريحة ، وثقوب الفهم ، وبعد المرمى في الوقوف على خداع المخادعين ، ومكر الماكرين لتجلي الدقائق في مرآة قلبك الصقيلة وصافي فكرتك الشفافة . ولما كانت (إن) مخففة من الثقيلة أتى باللام الفارقة بينها وبين النافية فقال تعالى: (ليفتتونك) أي ليخالطونك مخالطة تميلك إلى جهة قصدكم بكثرة خداعهم بإطماعهم لك في الموافقة لما يعلمون من ظاهر الحياة الدنيا (عن الذي أوحينا) أي بما لنا من العظمة (إليك) من الحكمة (لتقتري) أي تقطع متعمداً (علينا) على عظمتنا (غيره) من طرد من أوحينا إليك الأمر بمصابرتهم ، إطماعاً منهم في إسلام من هو بحيث يرجى إسلامه إسلام الجم الغفير منهم لشرفه ونحو ذلك مما عناه الله سبحانه وهو أعلم بمراده ؛ قال الرماني : وأصل الفتنة ما يطلب به خلاص الشيء مما لابس (وإذا) أي لو ملت إليهم (لإتخذوك) أي بغاية الرغبة (خليلاً) ومن كان خليل الكفار لم يكن خليل الله ، ولكنك أبصرت رشداً فلزمت أمر الله ، واستمروا على عمائم إتماماً لتفضيلنا لك على كل مخلوق ، ¹⁷⁵ هذه الآية نزلت في مكة المكرمة تحذيراً من كيد المشركين لكنها أي هذه الآية في سورة الإسراء أو سورة بني إسرائيل والتي كما أشرنا سابقاً تعبر عن كيد يهود والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. أقول هذا التحذير والذي ورد في سورة الإسراء من شدة تأثير يهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال ركونه لهم فما بالك فيمن هو أقل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه لا يجوز الإستخفاف بكيد يهود وهو مع تحذير الله لنا بهذه الصيغة البلاغية الرائعة . هذا

¹⁷⁵ نظم الدرر ج 11 ص 480

يعني ان يهود يوجهون سهامهم لإضلال القيادات الإسلامية عن إتخاذ القرار الصحيح بتلبيس الأمر على هذه القيادات . وعليه فإن زعماء المسلمين مطالبون بتحسين أنفسهم من هذا الكيد ويكفي ما ذكرناه عن سيدنا عمر بن الخطاب في تدبره لسورة البقرة في غير هذا الموضع. فهذا ينبئ أن الخطب جلل هذا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المطلب الثاني: لا تقولوا راعنا وقولوا أنظرنا ولكافرين عذاب أليم:

تحدثنا آنفا عن مؤامرات يهود في الإعلام المأجور والذي يفعل فعل السحر في عامة الناس وهذا الفن يتقنه يهود وأحد اهم عناصر الإعلام المأجور هو تغيير المفاهيم الأساسية لينفذ منها يهود للطعن بدين الله كما أشرنا إلى شبهة "الإسلام السياسي" التي ناقشناها آنفا.

إن مما يستفاد من قصة البقرة ان الله مطلع على ما يفعله يهود من مؤامرات ومكائد سرية بعيدا عن أعين الناس لكن الله تعالى مطلع عليها وفاضحهم في مؤامراتهم وأنه سبحانه قد بين لنا في كتاب الله ما نتقيه من هذا الكيد . فنثبت إرادة الله هذه في عدة مطالب قادمة إصرار يهود على المؤامرات المتواصلة على الرغم من إبطالها الواحدة تلو الأخرى بفهم من كتاب الله العزيز . والغاية من إيرادنا لهذه الممارسات ليهود هو هدفين أولهما توضيح شبهات يهود وثانيهما العلاج لهذه الشبهات من كتاب الله عز وجل و ذلك كتطبيق عملي لقصة البقرة التي فضحت مؤامراتهم ومما لا شك فيه أننا لا ننسب كل المؤامرات ليهود فهناك من هم غير يهود ويتآمرون لكن موقع يهود من هذه المؤامرات هو موقع القيادة والتوجيه لهذه المؤامرات وذلك في قوله تعالى : **وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) [البقرة : 41]**

وقد أشرنا سابقا إلى نفس الآية و أنها تعني أن يهود رواد في الفساد ويؤكد هذا المعنى أدبيات يهود فدعني أقتبس من كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ما يؤكد المعنى الذي ذهب إليه القرطبي رحمه الله وذلك فقالوا في البروتوكولات: "وانني أستطيع في ثقة أن أصرح اليوم بأننا أصحاب التشريع ، وأننا المتسلطون في الحكم ، والمقررون للعقوبات ، وأننا نقضي بإعدام من نشاء ونعفو عن من نشاء ، ونحن - كما هو الواقع - أولو الأمر الأعلون في كل الجيوش ، الراكبون رؤوسها ، ونحن نحكم بالقوة القاهرة ، لأنه لا تزال في أيدينا الفلول التي كانت الحزب القوي من قبل ، وهي الآن خاضعة لسلطاننا ، إن لنا طموحا لا يحد ، وشرها لا يشبع ، ونقمة لا ترحم ، وبغضاء لا تحس . إننا مصدر إرهاب بعيد المدى . وإننا نسخر نسخر في خدمتنا أناسا من جميع المذاهب و الأحزاب ، من رجال يرغبون في إعادة الملكيات ، وإشتراكيين ، وشيوعيون ، وحالمين بكل أنواع الطوبيات ، ولقد وضعناهم جميعا تحت السرج ، وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما بقي من السلطة ، ويحاول أن يحطم كل القوانين القائمة ، وبهذا التدبير تتعذب الحكومات ن وتصرخ طلبا للراحة ، وتستعد - من أجل السلام - لتقديم أي تضحية ، ولكننا لن نمنحهم أي سلام حتى يعترفوا في ضراعة بحكومتنا الدولية العليا¹⁷⁶ طبعاً هذه كلماتهم وتصريحاتهم وهي تشي بسوء سيرتهم وسريرتهم تجاه البشرية . و إزبينو بريزنسكي والقس جسي جاكسون والعديد من الشخصيات الأمريكية والذين تحدثوا وادلوا بتصريحاتهم المعلنه والمستترة

لقد أقام يهود دولتهم إسرائيل في قلب المنطقة العربية والإسلامية وحملات تهويد القدس جارية على قدم وساق . والإعتراف بهذه الدولة يتحقق من دول عظمى وأخرى عربية و إسلامية . لكن كل هذا لا ينفي حقيقة أن الله من ورائهم محيط لقوله تعالى:وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) [الإسراء : 2] .

¹⁷⁶ بروتوكولات حكماء صهيون ص 145

وقيل: كفيلا بأمورهم، حكاة الفراء وكيفا " أي شريكا، عن مجاهد. وقيل: ربا يتوكلون عليه في أمورهم، قاله الكلبي ، وقال الفراء: كافيا، والتقدير: عهدنا إليه في الكتاب ألا تتخذوا من دوني وكيفا. وقيل: التقدير لئلا تتخذوا. والوكيل: من يوكل إليه الأمر¹⁷⁷ هذا يعني أن الله تعالى يقول لبني إسرائيل ألا تتكلموا على أموالكم ولا نفوذكم فإن قضاء الله نافذ عليكم وعلى غيركم وعليه وبحسب ما ذكرناه مما إقتبسناه من كتاب البروتوكولات ومما ورد في تفسير قوله تعالى "ولا تكونوا أول كافر به " نستنبط أنه على الرغم من أن كفر المشركين سابق لزمان كفر يهود إلا ان الله تعالى أشار في كتابه العزيز إلى انهم أي يهود أصحاب علم وقيادة وذلك لتوليهم مكانة عالية بحكم كتابهم وعلمهم فصاروا قادة في الكفر وهم يهود الموجهين للمنافقين فيما يبيثونه من تشكيك في صفوف الامة الإسلامية وذلك لقوله تعالى :

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) [البقرة : 14 ، 15] ، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا قال: كان رجال من اليهود إذا لقوا أصحاب النبي (ص) أو بعضهم، قالوا: إنا على دينكم، وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون¹⁷⁸ فصرنا أمام مؤامرة مكتملة الأركان يهود وهم الشياطين يوجهون المنافقين سرا وبعيدا عن أعين المسلمين . حتى لا ينفضح أمرهم .وهؤلاء المنافقون ينفذون مخططات يهود في بث الشبهات والشائعات المثبطة حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن على الرغم من كل الإحتياطات التي أخذها يهود والمنافقون معهم ويأخذونها فإن الله تعالى متعهد بإخراج كيدهم مرة بعد أخرى وهم يهود لا يتعظون ولا يرتدعون بغباء العجل الذي أشربوه في قلوبهم . حيث أن العجل مثل في الغباوة .

¹⁷⁷ القرطبي ج 10 ص 140

¹⁷⁸ الطبري ج 1 ص 163

من أوائل المؤامرات التي نبه إليها القرآن بعد سرد قصة البقرة قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) [البقرة : 104] .

قال البقاعي رحمه الله في تفسيره : ولما كان من الحق كما قال الحرالي إجراء الأمور على حكم ما أثبتها الحق لأنها بذلك حق هو مثال للحق المبين وصرفها على من لم يثبتها الحق في حيزه إفك وقلب عن وجهه فهو خيال باطل هو في باب الرأي بمنزلة السحر في الحس فهو خيال لما صحة النسبة فيه مثال اتبع الآيات الدامة للسحر الحقيقي التنبيه على السحر المجازي الذي حيلوا به الخير وقصدوا به الشر ليكون النهي عنه نهياً عن الأول بطريق الأولى فقال ملتفتاً عن ذكرهم إلى خطاب المؤمنين الذي هو أخص من (يا بني إسرائيل) الأخص من يا أيها الناس اعبدوا ربكم [البقرة : 21] (يا أيها الذين آمنوا) ، أي أقروا بالإيمان صدقوا إقراركم به بأن (لا تقولوا) للنبي (صلى الله عليه وسلم) : (راعنا) التي تقصدون بها الرعاية والمراقبة لمقصد الخير وخفض الجانب ، فاغتمها اليهود لموافقة كلمة سيئة عندهم فصاروا يلوون بها ألسنتهم ويقصدون بها الرعونة وهي إفراط الجهالة فنهاهم عن موافقتهم في القول منعاً للصحيح الموافق في الصورة لشبهه من القبيح وعوضهم منها ما لا يتطرق إليه فساد فقال : (وقولوا انظُرنا) فأبقى المعنى وصرف اللفظ.

قال الحرالي : ففيه إلزام تصحيح الصور لتطابق تصحيح المقاصد وليقع الفرق بين الصورتين كما وقع الفرق بين المعنيين فهي آية فرقان خاصة بالعرب.

قال الأصفهاني : وهذا النهي اختص بهذا الوقت ، قال الواحدي لإجماع الأمة على جواز المخاطبة بهذا اللفظ الآن وقال : (واسمعوا) أي قولوا ما أمرتكم به وامثلوا جميع أوامري ولا تكونوا كاليهود في حملهم السماع على حقيقته وقولهم (سمعنا وعصينا) وعطف (وللكافرين

(على غير معطوف عليه مذكور مرشد إلى أن التقدير : فإن السماع أي القبول إيمان وللسامعين نعيم كريم والإعراض كفر وللكافرين من اليهود وغيرهم (عذاب أليم.)

ولما أرشد ختم الآية إلى العلة الحاملة على الامتثال علل بعلّة أخرى فقال : (ما يود الذين كفروا) مطلقاً (من أهل الكتاب) اليهود والنصارى (ولا) من (المشركين) بأي نوع كان من أنواع الشرك بغضاً فيكم حسداً لكم (أن ينزل عليكم) وأكد الاستغراق بقوله : (من خير من ربكم) أي المحسن إليكم ، فكأنه قيل : للسماع علتان حاملتان عليه داعيتان إليه : إحداها أخروية وهي النعيم للمطيع والعذاب للعاصي ، والأخرى دنيوية وهي مخالفة الأعداء ، فإنهم ما يودون أن ينزل عليكم شيء لكم فيه خير فضلاً عن أن تمتثلوه ، ومخالفة الأعداء من الأغراض العظيمة للمتمكنين في الأخلاق الفاضلة من ذوي الأدوات الكاملة ، ولم يعطف (ما يود) لأنه مع ذلك علة للعة ، فكأنه قيل : لهم عذاب أليم لأنهم يودون لكم خيراً ؛ فسماعكم من جملة عذابهم ، لأنه واقع على خلاف ودادتهم مع ما يدخر لهم في الآخرة بكفرهم وتمنيهم كفرهم ، ولا يخفى ما فيها وفي التي بعدها من التحريض على الكتاب الذي لا ريب فيه¹⁷⁹ .

الحقيقة إن الإمام البقاعي أبدع في تعليقه الذي ذكرناه آنفاً فأول ما ذكره القرآن من محاولات السحر بعد تعلمهم من هاروت وماروت هو محاولة تغيير المفاهيم وهو الذي وصفه البقاعي وكل هذا يتم من يهود بغاية القوة وبغاية السرية لقوله تعالى (ما يودّ) بإدغام الدال وفي تغيير المفاهيم حيث قال البقاعي رحمه الله : "التنبية على السحر المجازي الذي خيلوا به الخير قصدوا به الشر ليكون النهي عنه نهياً عن الأول بطريق الأولى " انتهى لقد اعتبر الإمام البقاعي رحمه الله تغيير المفاهيم نوع من السحر المجازي لخطورة ما يفعله في الناس ممن يسمعه ولا يتفطن لموضع الخلل فيما يسمع من عامة "الذين آمنوا " . حيث تمر المصطلحات

¹⁷⁹ نظم الدرر ج2 ص 88

التي وضعها يهود متقصدين إضلال المسلمين وليست عملاً عشوائياً . بل هو عمل مدروس بعناية ومخطط له ، لقد حدد القرآن مصطلحاً للتخاطب له لمنع أية محاولة للطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه ولذا وجه القرآن لإستعمال المصطلح الصحيح الذي يفيد المعنى ويمنع التآمر اليهودي وبتحديد المصطلح الصحيح يتضح لنا قوله تعالى : {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)} [فصلت: 42] .

قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : {لا يأتيه الباطل} أي البين البطلان إتيان غلبة فيصير أو شيء منه باطلاً بيناً، ولما كان المراد تعميم النفي، لا نفي العموم، أدخل الجار فقال: {من بين يديه} أي من جهة الظاهر مثل ما أمر أخبر به عما كان قبله {ولا من خلفه} من جهة العلم الباطن مثل علم ما لم يشتهر من الكائن والآتي سواء كان حكماً أو خبراً لأنه في غاية الحقيقة والصدق، والحاصل أنه لا يأتيه من جهة من الجهات، لأن ما قدام اوضح ما يكون، وما خلف أخفى ما يكون، فما بين ذلك من باب الأولى، فالعبارة كناية عن ذلك لأن صفة الله لا وراء لها ولا أمام على الحقيقة، ومثل ذلك ليس وراء الله مرمى، ولا دون الله منتهى، ونحوه مما تفهم العرب ومن علم لسانها¹⁸⁰ أي أنه لا يكون هناك سابقاً ولا لاحقاً فتنة إلا نبه تعالى على خطورتها ونسف القرآن الكريم كل دس من يهود في فكر المسلمين وهنا المعجزة وهي أننا نتلقى القرآن الذي هو كلام الله ليحدد لنا المسارات في مواجهة يهود وكيدهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو أننا تركنا بدون توجيه القرآن لغلبننا حتماً لشدة مكرهم ودهائهم حيث لا ينفع في مقاومة يهود إلا كتاب الله "المخرج من كل فتنة " كما روى الإمام علي رضي الله عنه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذلك كل فتنة ليهود تبدأ بإبعادنا عن كتاب الله سواء عملياً أو بدس الإسرائيليات أو نشر التأويلات الباطلة . ولكل باطل يثيره يهود في كتاب الله العزيز ما يرد عليه . وهنا نلاحظ تفصيل لما أجملته قصة البقرة في

¹⁸⁰ نظم الدرر ج17 ص 201

قوله تعالى : والله مخرج ما كنتم تكتمون " فقد أظهر تعالى مؤامرة يهود وفضحهم على الرغم من التكتّم الشديد الذي يتخذه يهود . وهذا بحد ذاته آية ربانية والتوجيه القرآني يمنع أي إنحراف يستطيع يهود من خلاله تلبيس الأمر على عامة المسلمين ولذا كانت رغبة يهود يرغبون برغبة جامحة ولذا قال تعالى في الآية في سورة البقرة : مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105) [البقرة : 105] .

أورد البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية :

ولما أرشد ختم الآية إلى العلة الحاملة على الامتنثال علل بعلّة أخرى فقال : (ما يودّ الذين كفروا) مطلقاً (من أهل الكتاب) اليهود والنصارى (ولا) من المشركين بأي نوع كان من أنواع الشرك بغضاً فيكم حسداً لكم (أن ينزل عليكم) وأكد الاستغراق بقوله : (من خير من ربكم) أي المحسن إليكم ، فكأنه قيل : للسماع علتان حاملتان عليه داعيتان إليه : إحداها أخروية وهي النعيم للمطيع والعذاب للعاصي ، والأخرى دنيوية وهي مخالفة الأعداء ، فإنهم ما يودون أن ينزل عليكم شيء لكم فيه خير فضلاً عن أن تمتثلوه ، ومخالفة الأعداء من الأغراض العظيمة للمتمكنين في الأخلاق الفاضلة من ذوي الأدوات الكاملة ، ولم يعطف (ما يود) لأنه مع ذلك علة للعة ، فكأنه قيل : لهم عذاب أليم لأنهم يودون لكم خيراً ؛ فسماعكم من جملة عذابهم ، لأنه واقع على خلاف ودادتهم مع ما يدخر لهم في الآخرة بكفرهم وتمنيهم كفرهم ، ولا يخفى ما فيها وفي التي بعدها من التحريض على الكتاب الذي لا ريب فيه. ولما بين سبحانه ما يودون أتبعه التعريف بأن له التصرف التام ، رضي من رضي وسخط من سخط فقال معلقاً الأمر بالاسم الأعظم الجامع : (والله) أي ما يودون والحال أن ذا الأسماء الحسنی (يختص) ولما كان المنزل أتم الرحمة عبر عنه بقوله : (برحمته) التي وسعت كل

شيء من الهداية والعلم وغير ذلك (من يشاء) أي يجعله مختصاً أي منفرداً بها من بين الناس ، ولو كان عند غيره بمحل الاحتقار كما كان العرب عند بني إسرائيل لما كانوا يرون من جهلهم وضلالهم وجفائهم واختلال أحوالهم ؛ و (الإختصاص) عناية تعين المختص لمرتبة ينفرد بها دون غيره ، و (الرحمة) نحلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه ، أدناه كشف الضر وكف الأذى ، وأعلاه الإختصاص برفع الحجاب - قاله الحرافي¹⁸¹ في هذه الآية يتضح لنا بجلاء أن يهود يعملون مؤامراتهم بغاية السرية ويبدلون غاية جهدهم في إخفاء ضلوعهم في المؤامرات على الإسلام والمسلمين. وعليه فهم يخفون هذا الوداد ويؤكد هذا إدغام الدال في الدال في كلمة (يودّ) و أصلها يودد وأدغمت الدال في الدال لأن هذا مما يخفيه يهود لئلا يتفطن المسلمون لأهمية القرآن الكريم في فضح مؤامرات يهود وقد ذكر البقاعي أن الإدغام يكون بسبب سرية المعلومة والرغبة في إخفائها وذلك حين فسر الإمام البقاعي الفرق بين الآيتين في سورة الأنفال وسورة الحشر الآيتين حيث قال تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) [الأنفال : 13] ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4) [الحشر : 4] فأشار البقاعي في الفرق بين الآيتين أنه في سورة الأنفال خرج كفار قريش بكل عتادهم مظهرين قوتهم وتحديهم فكانت الكلمة في سورة الأنفال :يشاقق" في حين ان الكلمة في سورة الحشر "يشاق" لأن يهود شاقوا الرسول صلى الله عليه وسلم سرا حيث خرج مجرمهم ليلقي صخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسند ظهره لحائط بني النضير . هذا هو القصد في الإستشهاد . أي أنني أطبق هنا قاعدة تفسيرية إستبطنها الإمام البقاعي رحمه الله ، طبعا سرية العمل عند يهود ستأتي عندما نتحدث عنها في فصل تفسير سورة البقرة لكن الموضوع هاهنا أشد خطورة وهو أن القرآن الكريم ينسف مخططات يهود بأشد مما نسفته معجزة إحياء النفس بذبح البقرة. فبالرغم

¹⁸¹ نظم الدرر ج 2 ص 89

من إتخاذ يهود والمنافقون كافة الإحتياطات لإخفاء أثر كتاب الله عليهم سرا فإن الله يفضحهم وقد ذكر ذلك تعالى في سورة الفاضحة سورة التوبة. وهي السورة التي تفضح المنافقين ويهود معا وذلك في قوله تعالى : وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127) [التوبة : 127] ولما كان انصرافهم عن مثل هذا المقام مستهجناً ، أشار إلى شدة قبحه بأداة التراخي فقال : (ثم انصرفوا) أي إن لم يكن أحد يراهم ، وإن رآهم أحد من المؤمنين تجشموا المشقة وثبتوا ؛¹⁸² .

مما سبق يتبين أن المنافقين يبذلون جهدا متكلفا وذلك بان نظر بعضهم إلى بعض طالبين منهم الصبر وعدم الإنصراف سريعا لمحاولة إخفاء أثر الكتاب عليهم حتى لو تجشموا العناء في ذلك. وهذه الآية دليل على أن فعلهم فعل عصابة متآمرة تذكر بما تأمرت به سابقا بالنظرات بعضهم لبعض . وهذا دليل على التفكير الطويل والاجتماعات المستغرقة للوقت في كيفية محاربة الإسلام والمسلمين . وانها أي هذه المحاولات ليست وليدة الساعة بل هو مكر شديد بسبب شدة تاثير القرآن عليهم وذلك أن هذا الكتاب مهيمن على ما سبقه من الكتب . وقد وصف تعالى تأثير الآيات المنزلة على رسول الله على المنافقين عملاء يهود كما أسلفنا سابقا وذلك بقوله تعالى في سورة البقرة : أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) [البقرة : 19] ولما تم مثل القرآن استأنف الخبر عن حال ممثل لهم والممثل بهم حقيقة ومجازاً فقال : (يجعلون أصابعهم) أي بعضها ولو قدروا لحشوا الكل لشدة خوفهم (في آذانهم من الصواعق) أي من أجل قوتها ، لأن هولها يكاد أن يصم ، وقال الحرالي : جمع صاعقة وهو الصوت الذي يमित سامعه أو يكاد ، ثم علل هذا بقوله : (حذر الموت والله) أي والحال أن المحيط بكل شيء

¹⁸² نظم الدرر ج 9 ص 54

قدرة وعلماً) محيط بالكافرين (فلا يغنيهم من قدره حذر ، وأظهر موضع الإضمار لإعراضهم عن القرآن وسترهم)¹⁸³.

إن معاني القرآن العظيم المنزل من عند الله كثرة وسعة وغزارة كمثّل ماء صاب من كل السماء بإنهمار شديد حيث ينصب صبا لغزارة معانيه التي يجهلها هؤلاء المنافقين والذين كل همهم الدنيا فلم يفتح الله لهم باب الفهم وفي نفس الوقت فإن القرآن العظيم هدى وشفاء للمؤمنين فهو من رحمة الله فإن القرآن الكريم يفضح مؤامرات يهود ويوضح للمسلمين طريقة التعامل مع يهود وغيرهم وذلك لقوله تعالى : وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَلْعَجَمِيّ وَعَرَبِيّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44) [فصلت : 44] .

قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية :

(والذين لا يؤمنون) أي أردنا أنه لا يتجدد منهم إيمان (في آذانهم وقر) أي ثقل مذهب للسمع المصم لهم لذلك لا يسمعون سماعا ينفعهم لأنهم بادروا إلى رده أول ما سمعوه وتكبروا عليه فصاروا لا يقدرّون على تأمله فهزمهم الكسل و أصمهم الفشل فعز عليهم فهمه (وهو عليهم) أي خاصة (عمى) مستعل على أبصارهم وبصائرهم لازم لهم ، فهم لا يعونه حق الوعي ، ولا يبصرون الداعي به حق الإبصار ، فلهم به ضلال وداء ، ولذلك قالوا "ومن بيننا وبينك حجاب " وذلك لما يحصل لهم به من الشبه التي هيئت قلوبهم لقبولها ن أو يتمادى بهم في الأوهام التي لا يألّفون سوى فروعها وأصولها¹⁸⁴ وقد ذكر هذا المعنى الإمام البقاعي في تفسير قوله تعالى : وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا

¹⁸³ نظم الدرر ج1 ص 125

¹⁸⁴ نظم الدرر ج17 ص 307

(82) [الإسراء : 82 ، 83] وفي الدارمي عن قتادة قال : ما جالس القرآن أحد فقام عنه بزيادة أو نقصان - ثم قرأ هذه الآية¹⁸⁵ .

الخلاصة : إن إستعمال مصطلحات وكلمات دسها يهود عن عمد للنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه سببا لإنسداد أفق الفكر الذي أطلقه كتاب الله عز وجل و إضلال التوجيه بالتفكير لوجهة مخالفة للكتاب والسنة وهو أول وسائل السحر الخفي الذي ذكره الإمام البقاعي بعد ذكر السحر الحقيقي الذي يعلمانه هاروت وماروت للناس ببابل كما وأن حرف الكلمات ومدلولاتها أحد أهم وسائل التآمر في وسائل الإعلام . وهذا يعني أن يهود لا يكتفون بتحرف بعض المعاني ولكن يوجدون طريقا وسبيلا لمخالفة المسلمين بمصطلحات تبعد المسلمين عن الصراط المستقيم فينتج عن ذلك إنشقاق صف المسلمين وبالتالي فهذه خطوة أولى لإيقاع هزيمة بالمسلمين . بعبارة أخرى إن هذا الإنحرف الذي يسعى يهود له يتكامل مع خطوات أخرى يتخذوها لتحقيق أهدافهم اللئيمة .

المطلب الثالث: الشورى والديمقراطية:

قلنا في المطلب السابق ان يهود إتخذوا من كلمة راعنا مدخلا للطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم و دينه وهذا ديدنهم التلاعب بالمصطلحات مما ينتج عنه إنحراف في الفهم والسلوك عند المسلمين ومن المصطلحات التي جرى التلاعب بموقعها ولها تأثير شديد في واقعنا المعاصر هو مصطلح الشورى وكلمة الديمقراطية فالأولى مبدأ من مبادئ الإسلام نؤمن به ونعتقد ونمارسه والثانية مبدأ إتخذه العلمانيون شعارا براقا يضللون عامة المسلمين به . صحيح أن الديمقراطية مناخ يتيح للإسلام أن يظهر ويتبوأ موقع القيادة في المجتمع المسلم بما أفرزته نتائج الإنتخابات التي حقق الإسلاميون فيها الفوز مرة بعد أخرى . لكن حتى الديمقراطية

¹⁸⁵ نظم الدرر ج11 ص 498

كتشريع يعتريها القصور ولتوضيح الفرق فقد كان هناك تطبيق عملي لمبدأ الشورى في غزوة أحد فمما أورده القرطبي في تفسيره قوله تعالى: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) الأولى- قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْأَوَامِرِ الَّتِي هِيَ بِتَدْرِيجٍ بَلِيغٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِأَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ مَا لَهُ فِي خَاصَّتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَبِعَةٍ، فَلَمَّا صَارُوا فِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ أَمَرَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ فِيمَا لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ تَبِعَةٍ أَيْضًا، فَإِذَا صَارُوا فِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ صَارُوا أَهْلًا لِلِاسْتِشَارَةِ فِي الْأُمُورِ. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْإِسْتِشَارَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: شَرْتُ الدَّابَّةَ وَشَوَّرْتُهَا إِذَا عَلِمْتُ خَبَرَهَا بِجَرِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ. وَيُقَالُ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَكُضُ فِيهِ: مِشْوَارٌ. وَقَدْ يَكُونُ مِنْ قَوْلِهِمْ: شَرْتُ الْعَسَلَ وَاشْتَرْتُهُ فَهُوَ مَشُورٌ وَمُشْتَارٌ إِذَا أَخَذْتُهُ مِنْ مَوْضِعِهِ، قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ: فِي سَمَاعٍ يَأْذُنُ الشَّيْخُ لَهُ ... وَحَدِيثٌ مِثْلُ مَا ذِي مُشَارٍ «4» الثَّانِيَّةُ- قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَالشُّورَى مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ وَعِزَائِمِ الْأَحْكَامِ، مَنْ لَا يَسْتَشِيرُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالِدِينَ فَعَزَلُهُ وَاجِبٌ. هَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِ. وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ" [الشورى: 38] «5». قَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى يُغْبَنَ قَوْمِي، قِيلَ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أُشَاوِرَهُمْ. وَقَالَ ابْنُ خُوَيْرٍ مَنَادُ: وَاجِبٌ عَلَى الْوَلَاةِ مُشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ، وَفِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، وَوُجُوهِ الْجَيْشِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَرْبِ، وَجُوهِ النَّاسِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَصَالِحِ، وَوُجُوهِ الْكُتَّابِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْعُمَّالِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَصَالِحِ الْبِلَادِ وَعِمَارَتِهَا. وَكَانَ يُقَالُ: مَا نَدِمَ مِنْ اسْتِشَارٍ «1». وَكَانَ يُقَالُ: مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ. الثَّالِثَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الْاجْتِهَادِ فِي الْأُمُورِ وَالْأَخْذِ بِالظُّنُونِ مَعَ إِمْكَانِ الْوَحْيِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُشَاوِرَ فِيهِ أَصْحَابَهُ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: ذَلِكَ فِي مَكَائِدِ الْحُرُوبِ، وَعِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَتَطْيِيبًا لِنَفُوسِهِمْ، وَرَفْعًا لِأَقْدَارِهِمْ، وَتَأْلُفًا عَلَى دِينِهِمْ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَغْنَاهُ عَنْ رَأْيِهِمْ بِوَحْيِهِ. رُوِيَ هَذَا عَنْ قَتَادَةَ وَالرَّبِيعِ وَابْنِ إِسْحَاقَ وَالشَّافِعِيِّ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: هُوَ كَقَوْلِهِ (وَالْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ) تَطْيِيبًا لِقَلْبِهَا، لَا أَنَّهُ وَاجِبٌ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ

وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ: كَانَتْ سَادَاتُ الْعَرَبِ إِذَا لَمْ يُشَاوِرُوا فِي الْأَمْرِ شَقَّ عَلَيْهِمْ: فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى، نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ: فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْطَفَ لَهُمْ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ لِأَضْغَانِهِمْ، وَأَطْيَبَ لِنَفُوسِهِمْ. فَإِذَا شَاوَرَهُمْ عَرَفُوا إِكْرَامَهُ لَهُمْ. وَقَالَ آخَرُونَ: ذَلِكَ فِيمَا لَمْ يَأْتِهِ فِيهِ وَحْيٌ. رُويَ ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالضَّحَّاكِ قَالَا: مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِالْمُشَاوَرَةِ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى رَأْيِهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ مَا فِي الْمُشَاوَرَةِ مِنَ الْفَضْلِ، وَلِتَقْتَدِيَ بِهِ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ. وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "وَشَاوَرَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ" وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

شَاوِرْ صَدِيقَكَ فِي الْخَفِيِّ الْمَشْكِلِ ... وَاقْبَلْ نَصِيحَةَ نَاصِحٍ مُتَفَضِّلٍ

فَاللَّهُ قَدْ أَوْصَى بِذَلِكَ نَبِيَهُ ... فِي قَوْلِهِ: (شَاوِرْهُمْ) وَ (فَتَوَكَّلْ)

الرابعة- جَاءَ فِي مُصَنَّفِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ). قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَصِفَةُ الْمُسْتَشَارِ إِنْ كَانَ فِي الْأَحْكَامِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا دِينًا، وَقَلَمًا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي عَاقِلٍ. قَالَ الْحَسَنُ: مَا كَمَلَ دِينُ امْرِئٍ مَا لَمْ يَكْمُلْ عَقْلُهُ. فَإِذَا اسْتَشِيرَ مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَاجْتَهَدَ فِي الصَّلَاحِ وَبَذَلَ جَهْدَهُ فَوَقَعَتِ الْإِشَارَةُ خَطَأً فَلَا غَرَامَةَ عَلَيْهِ، قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ. الْخَامِسَةُ- وَصِفَةُ الْمُسْتَشَارِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا مُجَرَّبًا وَادًّا فِي الْمُسْتَشِيرِ. قَالَ شَاوِرُ صَدِيقَكَ فِي الْخَفِيِّ الْمَشْكِلِ وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَقَالَ آخَرُ:

وَإِنْ بَابُ أَمْرِ عَلَيْكَ التَّوَى ... فَشَاوِرْ لَبِيبًا وَلَا تَعَصِهِ

فِي أَبْيَاتِ «1». وَالشُّورَى بَرَكَةٌ. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ وَلَا خَابَ مَنْ اسْتَخَارَ). وَرَوَى سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَا شَقِيَّ قَطُّ عَبْدٌ بِمَشُورَةٍ وَمَا سَعِدَ بِاسْتِغْنَاءٍ رَأْيٍ). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شَاوِرْ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ، فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ غَالِيًا وَأَنْتَ تَأْخُذُهُ مَجَانًا. وَقَدْ جَعَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَةَ- وَهِيَ أَعْظَمُ النَّوَازِلِ- شُورَى. قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَكَانَتِ الْأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُونَ الْأَمَنَاءَ

مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: لِيَكُنْ أَهْلُ مَشُورَتِكَ أَهْلَ
التَّقْوَى وَالْأَمَانَةِ، وَمَنْ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى. وَقَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ بَيْنَهُمْ إِلَّا هَدَاهُمْ
لِأَفْضَلِ مَا يَخْضُرُ «2» بِهِمْ¹⁸⁶.

لقد حشد القرطبي تقريباً الإستشهادات العامة بموضوع الشورى بالإقتباس أعلاه لكن هناك نقاط
يجب توضيحها وهي كما يلي لقد إستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن ابي سلول
في موضوع الخروج لقتال قريش في غزوة أحد . ومعروف من هو عبدالله بن أبي سلول وموقعه
في الدين فهو رأس المنافقين بإجماع علماء المسلمين وكانت مشورة عبدالله بن أبي سلول في
موضعها حيث أشار هو للبقاء في المدينة دون الخروج منها . وكان هو الرأي الحكيم في تلك
الواقعة بحسب وقائع الغزوة وكان هذا الرأي هو رأي الرسول صلى الله عليه وسلم أولاً .

ثانياً وقع رأي الشورى على الأغلبية وإن خالف رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان التقدير
والإحترام للتصويت في مجلس الشورى . من هنا يبطل الإسلام الوحدانية والتفرد بالقرارات فحال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المشورة فكيف بمن هو أقل منه وذلك أنه تنازل عن رأيه
لصالح رأي الأغلبية في التصويت .

ثالثاً : لم يكن رأي المشورة الخروج لخارج المدينة لملاقاة الكفار هو سبب الهزيمة بل سبب
الهزيمة هو التنازع على الغنائم حين عصى الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمشورة
لا تأتي إلا بخير وقال مرتضى الزبيدي في كتابه تاج العروس من جواهر القاموس

شَارَ الْعَسَلُ يَشُورُهُ شَوْراً بِالْفَتْحِ وَشِياراً وَشِيارَةً بكسرهما ومشاراً ومشارَةً بفتحهما : استخرجه
من الوقبة واجتناه من خَلَاياه وَمَوَاضِعِهِ قال ساعدة بن جُوَيَّة : فقضى مَشارته وحطَّ كأنه ...
خَلَقَ ولم يَنْشَبْ بما يَنْتَسِبُ كَأشاره واشتاره واستشاره قال أبو عُبَيْد : شَرْتُ الْعَسَلَ واشترته :

¹⁸⁶ القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" دار الكتب العلمية بيروت ج4 ص 161

اجْتَنَبْتُهُ وَأَخَذْتَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَقَالَ شَمِرٌ : شُرْتُ الْعَسَلَ وَاشْتَرْتَهُ وَأَشْتَرْتُهُ وَأَشْرْتُهُ لُغَةً وَأَنْشَدَ
المصنفُ لخالِدِ بْنِ زُهَيْرٍ الهُدَلِيِّ فِي البصائر

وقاسمهما بالله جهدا لأنتم ألد من السلوى إذا ما نشورها¹⁸⁷ .

مما سبق يتضح ان كلمة الشورى أصلها من شار العسل كتمثيل لمعنى الكلمة فإنه أي العسل يكون قد أتى من مصادر زهرات مختلفة وتقوم النحلة بنقل هذا العسل لخلاياها وكل منها تحمل طعما ولونا ورائحة مختلفة عن الأخرى وذلك بحسب مصدر الوردة التي تتغذى عليها النحلة وعندما يأخذ الاعرابي العسل فيقال "شار العسل " حيث يستخدم قضيب الحديد ليدخل العسل على بعضه ومن ثم يقوم بتلقيته من الشمع والشوائب .

ومن روعة لغتنا العربية الكريمة هو أن وصف شور العسل ينطبق بدقة على توصيف دقيق للمشورة . فالعسل المنتج النهائي مغاير لكل منتج لكل خلية على حدة . وذلك أن كل خلية نحل هي منتج لكل نحلة على حدة. ورأي الشور هو جمع عسل كل خلايا العسل ومن ثم تصفيته من الشمع والشوائب وعليه فرأي الشورى هو رأي الجميع الذي يجب ان يكون رأي المسلمين كلهم ويتم التصريح أمام الناس بعد أن يكون الموضوع قد أخذ حظه من التشاور

وهو رأي مخالف لكل رأي لأي واحد على حده لكنه جمع الآراء كلها وأزال عنها ما علق من شبهات وشكوك بحسب الإجتهد البشري الذي يعتريه القصور . لكنه رأي الشورى هو ما يجب الأخذ به ، لقد تشاور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في موضوع الخروج إلى أحد وكان رأي الشباب و الأغلبية ان يخرج فخرج صلى الله عليه وسلم نزولا على رأي الشورى ولم يتراجع بعد أن راجعه أصحابه صلى الله عليه وسلم وحتى بعدما تبين صحة رأيه لم يكن صلى الله عليه وسلم موبخا وناقدا لأصحابه بل كان توجيه القرآن له صلى الله عليه

¹⁸⁷ مرتضى الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس . ط دار الفكر الأولى ص1994 ج7 ص 61

وسلم بالمشاورة : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) [آل عمران : 159] ، وهذا يعني أن المسلمين يصدر عن رأي شوري واحد كوحدة كلمتهم أمام الآخرين ، ودليلنا على أن الكلمة يجب أن تكون واحدة لكل عناصر المسلمين في مواجهة الباطل وذلك في قوله تعالى : فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) [الشعراء : 16] ، في حين قال تعالى في سورة طه : فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِْبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) [طه : 47] ، فوحد كلمة رسولا في الشعراء وثناها في طه لأن الرسالة هي الأهم في الشعراء السورة التي تعنى بوسائل الإعلام بعبارة أخرى إن المسلمين يجب أن يوجهوا رسالة إعلامية واحدة موحدة ولا يختلفوا فيما بينهم بعد المشاورة وإتخاذ القرار ، والإختلاف فيما بينهم بعد ذلك سيكون سببا لمزيد من التآمر من قبل الجهات المعادية ودليلنا على ذلك قوله تعالى في كتابه العزيز : يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) [التوبة : 32] ، يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) [الصف : 8] والفرق بين الآيتين إضافة لام الغاية لكلمة يطفئوا . وهي تعني ان غايتهم أصبحت ان يطفئوا نور الله في حين إطفاء نور الله كان احد اهدافهم عندما قال تعالى يريدون أن يطفئوا في سورة التوبة وذلك بسبب إنشقاق الصف فسورة الصف مقصودها كما قال البقاعي رحمه الله مقصودها الحث على الاجتهاد التام في الاجتماع على قلب واحد في جهاد من دعت الممتحنة إلى البراءة منهم ، بحملهم على الدين الحق ، أو محققهم عن جديد الأرض أقصى المحق ، تنزيها للملك الأعلى عن الشرك ، وصيانة لجناحه الأقدس عن الإفك ، ودلالة على الصدق في البراءة منهم والعداوة لهم¹⁸⁸

ونستخلص مما سبق أن كلمة المسلمين بعد التشاور هي واحدة ويتم الإعلان بلغة واحدة غير مختلفة لئلا يحدث هذا الخلاف الظاهر في الرأي فيغري هذا الإنشقاق في الرأي أعداء الإسلام بالهجوم على المسلمين لتفرق كلمتهم والله أعلم وعليه فإن الشورى سببا لتأليف القلوب وتأنيسها والوصول إلى القرار الصحيح بالإطلاع على كافة جوانب الخبرات للمجموعة المستشارة وفي نفس الوقت التركيز في النقاش فيما لم ينزل به نص صريح من الكتاب والسنة . فلا توجد شورى في تطبيق تحريم الزنا أو تحريم اللواط وغيره لكن الديمقراطية تصوت بجواز اللواط او عدمه : ما سبق شرحه كان عن توضيح كلمة الشورى مصطلحا في الإسلام أما الديمقراطية :

Democracy (Greek: δημοκρατία *dēmokratía*, literally "Rule by 'People'") is a system of government where the citizens exercise power by voting.

الديمقراطية هي شكل من أشكال الحكم يشارك فيها جميع المواطنين المؤهلين على قدم المساواة - إما مباشرة أو من خلال ممثلين عنهم منتخبين - في اقتراح، وتطوير، واستحداث القوانين. وهي تشمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمكن المواطنين من الممارسة الحرة والمتساوية لتقرير المصير السياسي. ويكيبيديا

وبالتعريف أعلاه تكون الديمقراطية تكون إعتداء على حاكمية الله للكون فمن الممكن أن يشرع قانونا يسمح زواج المثليين مثلا ويعتبر ذلك حرية شخصية وقد حدث هذا فعلا في ديمقراطيات غربية وهذا ليس حرية شخصية بل هو إعتداء على الحاكمية والتي هي مظهر من مظاهر الألوهية ، ففي تفسير قوله تعالى : اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) [التوبة : 31]

وأخرج عبد الرزاق والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في سننه عن أبي البختری رضي الله عنه قال : سأل رجل حذيفة رضي الله عنه فقال : أرأيت قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم ؟ قال : لا ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه ، وأخرج أبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان عن حذيفة رضي الله عنه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم قال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم أطاعوهم في معصية الله¹⁸⁹ ، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا يترشح الإسلاميون في أنظمة ديمقراطية لا يؤمنون بها كما أسلفنا آنفا ؟ هذا ما سنجيب عليه في المداراة والمداينة إن شاء الله ، فإن تسليمنا بمصطلح "الديمقراطية " هو في نفس الوقت تضييع لحق الحاكمية التي هي لله سبحانه و تعالى لقوله تعالى : قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (57) [الأنعام : 57] فالحكم لله وليس للشعب ولا لممثليه ونحن نتشاور في كيفية الحكم بما أنزل الله وفهم آيات الله في حال عدم وجود مص صريح لما نريد فعله ، وكمثال على الشورى ما حدث في سقيفة بني ساعدة وذلك مما أورده الإمام ابن كثير في كتابه البداية و النهاية ما يلي :

وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فَاَنْطَلَقْنَا نَوْمُهُمْ حَتَّى لَقِينَا رَجُلَانِ صَالِحَيْنِ فَذَكَرْنَا لَنَا الَّذِي صَنَعَ الْقَوْمُ فَقَالَا أَيْنَ تَرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقُلْتُ نُرِيدُ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَا لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَقْرَبُوهُمْ وَأَقْضُوا أَمْرَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى جِئْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَإِذَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ رَجُلٌ مَّرْمَلٌ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقُلْتُ مَا لَهُ قَالُوا وَجِعٌ فَلَمَّا جَلَسْنَا قَامَ خَطِيبُهُمْ فَأَتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكُتَيْبَةُ الْإِسْلَامِ

¹⁸⁹ الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي طباعة دار الفكر المجلد الرابع ص 174

وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطَ نَبِينَا وَقَدْ دَفَتِ دَافَةٌ مِنْكُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَخْتَرِلُونَا مِنْ أَصْلَانَا وَتَحْصِنُونَا مِنْ الْأَمْرِ فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَكُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبْتَنِي أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا بَيْنَ يَدَيِ أَبِي بَكْرٍ وَكُنْتُ أَدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ وَهُوَ كَانَ أَحْكَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ وَاللَّهُ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبْتَنِي فِي تَرْوِيرِي إِلَّا قَالَهَا فِي بَدِيهِتِهِ وَأَفْضَلَ حِينَ سَكَتَ. فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَمَا ذَكَرْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَيُّهُمَا شِئْتُمْ وَأَخَذَ بِيَدِي وَيَدَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ فَلَمْ أَكْرِهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا كَانَ وَاللَّهُ أَنْ أَقْدَمَ فَتَضَرَّبَ عَنْقِي لَا يَقْرَبُنِي ذَلِكَ إِلَيَّ إِنَّمَا أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ إِلَّا أَنْ تَغَيَّرَ نَفْسِي عِنْدَ الْمَوْتِ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعَدِيْقُهَا الْمُرَجَّبُ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ فَقُلْتُ لِمَالِكٍ مَا يَعْني أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعَدِيْقُهَا الْمُرَجَّبُ قَالَ كَأَنَّهُ يَقُولُ أَنَا دَاهِيَتُهَا قَالَ فَكَثَرَ اللَّغَطُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ حَتَّى خَشِينَا الْإِخْتِلَافَ فَقُلْتُ ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ ثُمَّ بَايَعَهُ الْأَنْصَارُ وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ قَتَلْتُمْ سَعْدًا فَقُلْتُ قَتَلَ اللَّهُ سَعْدًا. قَالَ عُمَرُ أَمَّا وَاللَّهُ مَا وَجَدْنَا فِيهَا حَضْرَانَا أَمْرًا هُوَ أَرْفَقُ مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةً أَنْ يُحْدِثُوا بَعْدَنَا بَيْعَةً فَمَا تُبَايِعُهُمْ عَلَى مَا لَا نَرْضَى وَإِنَّمَا أَنْ نَخَالَفَهُمْ فَيَكُونُ فِسَادٌ فَمَنْ بَايَعَ أَمِيرًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ الْمُسْلِمِينَ فَلَا بَيْعَةَ لَهُ وَلَا بَيْعَةَ لِلَّذِي بَايَعَهُ تَعَرَّةٌ أَنْ يُقْتَلَ قَالَ مَالِكٌ فَأَخْبَرَنِي ابْنُ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ لَقِيَاهُمَا عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ وَمَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ الَّذِي قَالَ أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعَدِيْقُهَا الْمُرَجَّبُ هُوَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ. وَقَدْ أَخْرَجَ هَذَا الْحَدِيثَ الْجَمَاعَةُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ طُرُقٍ عَنْ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهِ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا مَعَاوِيَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ زَائِدَةَ ثَنَا عَاصِمٌ ح وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ زَائِدَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ - قَالَ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَتِ الْأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَأَتَاهُمْ عُمَرُ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُؤَمَّ النَّاسَ فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ
أَبَا بَكْرٍ. فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَّةٍ
وَهَنَادِ بْنِ السَّرِيِّ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْجُعْفِيِّ عَنْ زَائِدَةَ بِهِ. وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ عَنْ حُسَيْنِ
ابنِ عَلِيٍّ وَقَالَ صَحِيحٌ لَا أَخْفَظُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ زَائِدَةَ عَنْ عَاصِمٍ وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ أَيْضًا مِنْ
حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ نُبَيْطٍ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ نُبَيْطِ بْنِ شَرِيطٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ عُمَرَ
مِثْلَهُ وَقَدْ رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نحوه من طريق آخر وجاء من طريق مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ. أَنَّهُ
قَالَ قُلْتُ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِأَمْرِ نَبِيِّ اللَّهِ تَائِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ وَأَبُو
بَكْرٍ السِّبَاقِ الْمَسْنُورِ ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ وَبَدَرَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَ عَلَى يَدِهِ قَبْلَ أَنْ أَضْرِبَ
عَلَى يَدِهِ ثُمَّ ضَرَبَتْ عَلَى يَدِهِ وَتَبَاعَى النَّاسُ. وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ عَارِمِ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ
حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَذَكَرَ نَحْوًا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَسَمَّى هَذَا
الرَّجُلَ الَّذِي بَايَعَ الصِّدِّيقَ قَبْلَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَقَالَ: هُوَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ وَالِدُ النُّعْمَانِ بْنِ
بَشِيرٍ¹⁹⁰.

مما تقدم لقد تم مبايعة أبي بكر خليفة للمسلمين في المدينة المنورة حيث غالبية السكان من
الأنصار و عليه فكان من الأصل أن يكون الأمير من الأنصار . لكن بعرف شرعنا الإسلامي
وعرف الشورى تم إختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقبل المسلمون ذلك برضى نفس
لن يحدث في بلد ما أن يأتي أغراب إلى ذلك البلد ويكونوا أقلية وينتخب منهم الرئيس إلا
بعرف الإسلام الذي تجاوز بأخوة المسلمين الفوارق العرقية واللون وغير ذلك . ولو حكم واحد
من الأنصار لم يكن أبدا لينفذ ما نفذه أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، بمعنى آخر فإن بركة

¹⁹⁰ ابن كثير البداية والنهاية دار ابن كثير بيروت ج 5 ص 247

الشورى كانت في إنتخاب أبي بكر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم متجاوزة التوازنات العرقية والقومية هذا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المطلب الرابع: ما ننسخ من آية أو ننسها:

إستطرادا لما ذكرناه في مباحث سابقة فمؤامرات يهود بالإسلام متنوعة ومتعددة فحجم ما ذكره الله عن بني إسرائيل في القرآن الكريم ما يعادل ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم . وحيث أن قصة البقرة هي نظرية المؤامرة اليهودية على المسلمين والتي فشلت بعد أن أظهرها الله تعالى على الرغم من إتخاذهم كافة الإجراءات الإحتياطية لعدم إنكشاف الأمر . إن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بمعنى ان شريعة موسى عليه السلام كانت صحيحة في وقتها وشريعة موسى في وقتنا الحاضر هي شريعة محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا المعنى لخطورته ودقته حارب يهود من اول نسخ القبله هذا المبدأ وحارب يهود ومن معهم من المنافقين بإثارة الشبهات حول تحويل القبله من المسجد الأقصى للمسجد الحرام وشكك يهود بقولهم إن كانت القبله الأولى صحيحة فالثانية باطلة وإذا كانت الثانية صحيحة فالأولى باطلة. قال تعالى : سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) [البقرة : 142 ، 143] ، ولما كان ادعاؤهم أن أسلافهم على دينهم لئلا تنتقض دعواهم أن الجنة خاصة بهم مع كونه فضولاً لا سند له يثبت به شيء محاولة لعدم جواز النسخ وكان إبطال الله تعالى لقولهم وعيبيهم بما أحدثوا في دينهم وتقريعهم به ملزوماً لأن يكونوا أباحوا أنفسهم منه ما منعوا منه خالقهم وهو لا يسأل عما يفعل كانوا أسفه الناس فعقبه بالتصريح بعيبهم والتعجيب منهم في إنكارهم لنسخ القبله وخفتهم بالإعتراض على ربهم فقال واصلاً له بما قبله على وجه أعم (سيقول) إلى آخره ، لأنهم إذا لم يكونوا يعلمون حقيقة ذلك فلم يتبعوهم فلا أقل من ان يكفوا عن عيبيهم فكيف وهو عالمون بأنه الحق ! وقال : (السفهاء) ولم يقل : سيقولون ، إظهاراً للوصف الذي

استخفهم إلى هذا القول الظاهر عواره لأهل كل دين والسفيه الذي يعمل بغير دليل ، إما بأن لا يلتفت إلى دليل فلا يتوقف إلى أن يلوح له بل يتبع هواه ، أو يرى غير الدليل دليلاً ، وأكد الوصف بالطيش بقوله : (من الناس) المأخوذ من النوس وهو التحرك ، دون أن يقول : من أهل الكتاب ، أو بني إسرائيل - ونحو ذلك تصريحاً بذمهم وتعميماً لكل من مالأهم على ذلك (ما ولاهم) ولم يقولوا : مَنْ ، زيادة في الأذى بالاحتقار (عن قبلتهم) قال الحرالي : القبله ما تجعل قبالة الوجه ، والقبل ما أقبل من الجسد في مقابلة الدبر لما أدبر منه (التي كانوا عليها) أي بيت المقدس ، ولعله ترك الإفصاح ليصلح ذلك لإرادة الكعبة أيضاً ليصير المعنى : إن كانوا انتقلوا عن الكعبة بأمر الله فهم مبطلون في رجوعهم وإلا فهم في كل حال أتباع الهوى ؛ وفي ذلك إشارة إلى أنه لما انقطعت حججهم ألقوا هذه الشبهة إلى من اختدعوه من المنافقين ولم يقدروا أن يواجهوا بها أحداً من الثابتي الإيمان ، كما قالوا فيما تقدم : كونوا هوداً أو نصارى [البقرة : 135] ونحوه علماً منهم بأن المحاج لهم عن المؤمنين من له الحجة البالغة ؛ ولذا جاء جوابهم بقوله : (قل) خالياً عن خطاب لا كما مضى في قوله : قل أتخذتم عند الله عهداً [البقرة : 80] ، قل هاتوا برهانكم [البقرة : 111] ونحوه ؛ وساق سبحانه الإخبار عنهم بذلك على طريق هو من أعلام النبوة وجلائل الرسالة ؛ فإنه إخبار عما سيكون من الأعداء ، فكان منهم على وفق الخبر ؛ ولم يقدروا مع شدة عداوتهم واجتهادهم في القدح بأدنى شبهة في التكذيب على تكذيبه بالكف عن ذلك ؛ هذا مع توطئة لذلك فيما سلف في خمسة مواضع: تحريفهم لكلام الله ، وإيقاعه النسخ واستدلاله على حسن فعله ، وإخباره بظلم مانع المسجد ، وإخباره بأنه لا يختص به جهة دون أخرى ، وذكره بناء البيت وما أمر به من تعظيمه واتخاذه مصلى ؛ مع ما في ذلك من توطين نفوس أهل الإسلام وإكرامهم بتعليم الجواب قبل الحاجة ، ليكون أقطع للخصم وأكسر لشوكته وأردّ لشغبه. وتسميتهم سفهاء ناظر على قوله فيما مضى عن نفاق منهم ومن غيرهم ألا إنهم هم السفهاء [البقرة : 13] ، لأنهم وإن كانوا

مصارحين بالكفر فاسم النفاق منطبق عليه من جهة أخرى وهو أنهم أظهروا الكفر وأبطنوا معرفة الإيمان ، أظهروا التكذيب وأبطنوا ما هم عارفون به من صدقه ، وأيضاً فإذا كان المنافقون الذين أظهروا حسناً سفهاء لما أبطنوه من القبيح فالذين عمهم القبح ظاهراً وباطناً أسفه : وإلى قوله قريباً ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه [البقرة : 130] لما تقرر من مخالفتهم له وإن ادعوا الموافقة. وقال : (لله) أي الملك المحيط بكل شيء عظمة وعلماً (المشرق والمغرب) مخصا لهما لكونهما مجمعي الآفاق كما مضى فلا تختص بالوجهة دون أخرى فما أمر به فهو الحق . ولما قرر أن الجهات كلها بالنسبة إليه سواء لأنها ملكه ، على أن من توجه إلى شيء منها بأمره أصاب رضاه وذلك هو الوصول إليه فعبر عن ذلك مستأنفاً بقوله معظماً لأهل الإسلام ومعرفةً بعنايته بهم : (يهدي إليه من يشاء) أي من عباده ، وعظم الكعبة بقوله : (إلى صراط المستقيم) في أي جهة كانت ، فمتى سلكه وصل إلى المقصود من غير ضلال ، ونكره لأن المراد به جزئيات من الشريعة ؛ وأما الصراط المعروف في الفاتحة فالمراد به الشريعة كلها بما دلت عليه (أل) من الكمال.

ولما بين استقامة القبلة التي وجههم إليها عرف أنها وسط لا جور فيها فاتبع ذلك قوله : (وكذلك) أي ومثل ما جعلنا قبلتكم وسطاً لأنها إلى البيت العتيق الذي هو وسط الأرض وهو بناء إبراهيم عليه السلام هو أوسط الأنبياء وهو مع ذلك خيار البيوت فهو وسط بكل معنى (جعلناكم) بالهداية إليه في الاستقبال وإلى غيره مما نأمركم به (أمة) .

قال الحرالي : من الأم وهو تتبع الجملة والعدد بعضها لبعض إلى أن ينتهي لإمام أول ، فالإمام والأمة كالمتقابلين ، الإمام قاصد أمماً ، والأمة قاصدة إمامها الذي هو أممها ، والإمام ما بين اليدين بمشهد الحس وسبيل القصد . (وسطاً) أي شريفة خياراً ، لأن الوسط العدل الذي نسبة الجوانب كلها إليه سواء ، فهو خيار الشيء. قال أبو تمام الطائي : كانت هي

الوسط المحمي فاكتفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا وسالك الوسط من الطريق محفوظ من الغلط ، ومتى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع في الضلال عن القصد ؛ ففي هذا أنهم لما ادعوا الخصوصية كذبوا وردت حججهم ثم أثبتت الخصوصية لهذه الأمة ؛ والوسط بالتحريك اسم لعين ما بين طرفي الشيء كمركز الدائرة ، وبالسكون اسم مبهم لداخل الدائرة مثلاً ، وكذا كان ظرفاً ، فالأول يجعل مبتدأ وفاعلاً ومفعولاً به ، ولا يصح شيء من هذا في الساكن - قاله الأصبهاني¹⁹¹ في هذه المؤامرة اليهودية يتحدث الله سبحانه وتعالى عن كيد يهود ولكن الله يتحداهم فيعلن انهم "سيقول السفهاء " ولو لم يفعلوا لأبطلوا قول القرآن الكريم ولكن كيد الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين ولذلك أشار البقاعي رحمه الله في الإقتباس أعلاه . "؛ وساق سبحانه الإخبار عنهم بذلك على طريق هو من أعلام النبوة ودلائل الرسالة ؛ فإنه إخبار عما سيكون من الأعداء ، فكان منهم على وفق الخبر ؛ ولم يقدرُوا مع شدة عداوتهم واجتهادهم في القدح بأدنى شبهة في التكذيب على تكذيبه بالكف عن ذلك الله أكبر إنه القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فقد وصف القرآن الفريقين ب"السفهاء" وهي كلمة جمعت يهود والمنافقين معا وقالوا جميعا كما أخبر القرآن الكريم ولم يقدرُوا على ألا يقولوا غير ذلك . سبحان من هذا كلامه يتحدى ويخبر ويدبر الأمر لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه فينقاد يهود للقول هم المتآمريين وهو الله سبحانه في الأرض والسماء لا تخفى عليه خافية . والحكمة الأساس من تغيير القبلة هو أن ينسخ أحكاما سابقة بأحكام لاحقة والله سبحانه نسخ التوراة وحكمها بالقرآن الكريم .ولهذا بذل يهود جهدهم في التشكيك بأمر النسخ . والذي لو طبقوا أمر النسخ لإتبعوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم . ولكن وحيث أن الحسد غلب على عقولهم في قوله تعالى "حسدا من عند أنفسهم" فبادروا بالتشكيك بنسخ القبلة فور وقوعه وكلمة السفهاء في الآية لهدف لطيف نذكره وهو ان الله تعالى وصف المنافقين في قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

¹⁹¹ نظم الدرر ج2 ص 207

آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13){ [البقرة: 13] ، وقوله تعالى "إنهم هم السفهاء " تأكيد بأن وتخصيص لهم بقوله هم . وهنا نذكر أن أخطر ما في الأمر في تمرير هذا التشكيك كان المنافقون . الذين كانوا يأترون بأمر يهود . وكانوا هم أي المنافقون الذراع الرئيسي في تمرير هذه الشبهة ولذا كان الوصف الاعم الأغلب على من قال بفرية تغيير القبلة هم السفهاء إضافة لما سبق فقد قال يهود بالتشكيك في نقل القبلة وإن كانت سفهة المنافقين في أنهم يعلنون ما لا يؤمنون فيبطنون الكفر مع إعلامهم أنهم مسلمون فإن يهود سفهاء لأنهم يكفرون بما يعلمون أنه حقيقة وبعد فإن نقل القبلة من المسجد الأقصى للمسجد الحرام بمكة كان بمثابة إعطاء صك بالأهمية للمسجد الأقصى الذي سيقع تحت حكم الصليبيين أولاً ثم يهود ثانياً كما هو مشاهد في هذه الأيام . وبعد فله حكمة في أفعاله سواء علمناها أم لم نعلمها . والحكمة والله أعلم أن المسجد الأقصى الذي كان أولى القبلتين يستنهض همة المسلمين لتحريره . والله يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن عالم الغيب سبحانه وهذا الشعور لدي المسلم الذي يستفزه لتحرير المسجد الأقصى هو ما ذكره الله تعالى في سورة البقرة في قوله تعالى : {أَوِ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259){ [البقرة: 259] والقرية هي بيت المقدس والذي مر هو عزيز كما سيأتي إن شاء الله ويهود يشككون في نسخ القبلة وهم متأكدين من أحقية دين محمد صلى الله عليه وسلم وقال البقاعي رحمه الله في تفسيره عن علم أهل الكتاب بأحقية نقل القبلة ما يلي : ولما حرر ذلك وقرره بين أن العائنين لدينه بذلك من أهل الكتاب عالمون بحقية هذا التحويل وأنه من أعلام نبوته فقال : (وإن الذين أوتوا الكتاب) أي من اليهود والنصارى ، ولم يصفهم هنا

بالسفه لإثبات العلم في قوله : (ليعلمون أنه) أي هذا التحويل (الحق) أي ليس بعده في أمر القبله حق آخر يرفعه أصلاً (من ربهم) أي المحسن إليهم بإرسال هذا الرسول الذي يرفع عنهم إصرهم وكانوا ينتظرون رسالته ، فعندما أتاهم ردوا رحمته ، وجعل ذلك سبحانه في سياق مهدد له مرج له ولأتباعه تسليية لهم وتشبيهاً وتقوية لعزائمهم وتمكيناً حيث ختم الآية بقوله : (وما الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلماً (بغافل عما يعملون) قال الحرالي : بالياء أي التحتانية إعراضاً عنهم ، وبالتالي إقبالاً عليهم ، ففيه إنباء بتماديهم على سوء أحوالهم في رتبتين : في متماد على سوء هدد فيه لما أقبل عليه ، وفي متماد على أسوأ منه أوجب في تهديده الإعراض عنه والإقبال على غيره ممن لم يصل في السوء والمكائدة إلى ما وصل إليه المعرض عنه .¹⁹² ولأن هذه المقولة سفه وكذب فتفاوت رد فعل يهود على هذا الكذب في تغيير كلمة "تعلمون و يعلمون" وذلك في تفاوت يهود في العداء للإسلام والمسلمين وهذه نقطة هامة في صراعنا مع يهود والله أعلم وبعد فها هنا تشابه بين القصتين قصة ذبح البقرة وقصة نقل القبله من حيث معرفة يهود في حق يكتمونهم والله سبحانه مخرج ما كانوا يكتمون . والأكثر من ذلك تبين لنا بشكل كبير أهمية كون القبله الأولى للمسجد الأقصى المبارك حيث كان إحتلال الصليبيين للمسجد الأقصى سببا لإستهراض الامة وعودتها و إحياء روح الأمة بأيدي أفراد من أمة الإسلام وقصة البقرة هي إحياء للنفس المقتولة بأيدي أفراد منها وأورد الإمام البقاعي في معرض تفسيره لهذه الآية نقلا عن سعيد بن المسيب كما ورد في موطأ الإمام مالك رحمه الله نظم الدرر . وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب أنه قال : (صلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهراً ولما بشره سبحانه بالتحويل أولاً وأوقع المبشر به ثانياً أشار إلى بشارة الثالثة بتكثير أمته ونشرهم في أقطار الأرض فجمعهم إليه في قوله : (وحيث ما كنتم) أي من جهات الأرض التي أورتكم إياها (فولوا وجوهكم شطره) بتوجيه قلوبكم

¹⁹² نظم الدرر ج2 ص 222

إِلَيَّ . نحو بيت المقدس ، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين¹⁹³ أقول و إن هذا التحول قبل غزوة الفرقان أي غزوة بدر تنبئ بخطورة هذا التحول . إن تحول القبلة في هذا الوقت تهيئة لمعركة الفرقان غزوة بدر التي تعتبر تحولا تاريخيا في تاريخ الإسلام حيث ألحق رسول الله صلى الله عليه وسلم هزيمة نكراء بأساطين و قادة الكفر إنه التحول في قوة الإسلام في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم مقارنة من سبقه من الأنبياء ، فقد حاول يهود قتل عيسى ابن مريم عليه السلام عندما رفعه الله إليه . بل وقام يهود بذبح أنبياءهم وآخر الانبياء المذبحين من بني إسرائيل زكريا ويحيى عليهما السلام تعطيك الفكرة عن القفرة الهائلة لقوة الإسلام والتي تحققت بفضل الله أولا وببركة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكيفيك دلالة على تغير الموازين بعد هذه المعركة قول عبدالله بن أبي سلول زعيم المنافقين كما ورد في كتاب فتح الباري : الْكَبِيرُ فِي قَوْمِهِ قَوْلُهُ هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ أَيُّ ظَهَرَ وَجْهُهُ قَوْلُهُ فَبَايَعُوا بِلَفْظِ الْمَاضِي وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ¹⁹⁴ وعليه فإن معركة بدر هي بداية تغير في تعامل يهود والمنافقين حيث أصبحت المدينة دولة يحسب لها حسابها . جاءت شبهة تحويل القبلة لتؤثر على بسطاء المسلمين . فقد أورد السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور : وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: بلغني أن أناسا من الذين أسلموا رجعوا فقالوا مرة ههنا ومرة هاهنا. وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن مجاهد في قوله {وإن كانت لكبيرة} يقول : ما أمر به من التحول إلى الكعبة من بيت المقدس . وأخرج وكيع والفريابي والطيالسي وأحمد ، وعبد بن حميد والترمذي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه

¹⁹³ نظم الدرر ج2 ص 220

¹⁹⁴ أحمد بن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري دار المعرفة بيروت ج8 ص

عن ابن عباس قال : لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القبلة قالوا : يا رسول الله فكيف بالذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله {وما كان الله ليضيع إيمانكم} 195 .

لقد وصل تشكيك يهود والمنافقين في حملتهم أن تشكك المسلمون في مصير صلاة من مات قبل تحويل القبلة . بل وكما أورد السيوطي أن اناسا تحولوا عن الإسلام . وهذا السؤال يعطي فكرة عن قوة و تأثير حملة اليهود والمنافقين في أمر تحويل القبلة . لقد كان تحويل القبلة إيذاناً بأن لهذه الامة شأن آخر وأن عودة الأمر لأول بيت وضع للناس ، لقد كان للتوجه للقدس أولاً قبل المسجد الحرام الأثر الكبير في رفع قيمة المسجد الأقصى في نظر المسلمين و الذي كان ومازال رافعة للعمل الإسلامي . ومن بركات كون الأقصى أولى القبلتين إستنهاض الهمم في الدفاع عنه . والإحتلال اليهودي للمسجد الأقصى المبارك هو سبب لإحياء كل الأمة الإسلامية كما أحياه الله في عهد بني إسرائيل . وذلك في قوله تعالى : أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) [البقرة : 259] .

وأخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الله بن عبيد بن عمير في قوله أو كالذي مر على قرية قال : كان نبيا اسمه أورميا ، وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن وهب بن منبه قال : إن أرميا لما خرب بيت المقدس وحرق الكتب وقف في ناحية الجبل فقال : أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه وقد عمرت على حالها الأول فجعل ينظر إلى العظام كيف يلتئم بعضه إلى

195 السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور دار الفكر بيروت 1993 ج 1 ص 353

بعض ثم نظر إلى العظام تكسى عسبا ولحما فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير فقال : انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وكان طعامه تينا في مكمل وقلة فيها ماء ، وأخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله أو كالذي مر على قرية قال : القرية بيت المقدس مر بها عزيز بعد أن خربها بختنصر ، وأخرج عن قتادة والضحاك والربيع مثله

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق محمد بن سليمان السيارى سمعت رجلا من أهل الشام يقول: إن الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه اسمه حزقيل بن بوزا ، وأخرج إسحق بن بشر وابن عساكر عن الحسن قال : كان أمر عزيز وبختنصر في الفترة ، وأخرج إسحق وابن عساكر عن عطاء بن أبي رباح قال : كان أمر عزيز بين عيسى ومحمد ، وأخرج إسحق بن بشر وابن عساكر عن وهب بن منبه قال : كانت قصة عزيز وبختنصر بين عيسى وسليمان ، وأخرج ابن جرير وابن المنذر من طريق ابن جريج عن ابن عباس في قوله خاوية قال : خراب¹⁹⁶ .

مما تقدم فإنه يتبين لنا أن القرية التي كانت خاوية على عروشها هي القدس وقد خربها أعداء الله . وسؤال النبي عليه السلام لإحياء المدينة وعمارتها . هو إحياء لبيوتها وبيوت الله وعمارة بيوت الله من عباد الله . وإحيائها عودتها لحظيرة الإسلام بكل ما في تفاصيل هذه الكلمة من معنى . وبعبارة حديثة تحرير القدس الشريف من دنس الأعداء . وهذا يعني أن إستعادة القدس من دنس الأعداء نتيجة لعودة المسلمين للإسلام .

وأورد البقاعي رحمه الله في مناسبة هذه الآية : كالذي (مر) قال الحرالي : من المرور وهو جعل الشيء على مسلك إلى غيره مع التفات إليه في سبيله (على قرية) وهي التي خرج منها الألوفاً أو بيت المقدس (وهي خاوية) أي متهدمة ساقطة جدرانها (على عروشها) أي سقوفها ، أو خالية على بقاء سقوفها.

¹⁹⁶ الدر المنثور ج3 ص 29

قال الحرالي : من الخوا وهو خلو الشيء عما شأنه أن يعينه حساً أو معنى ، والعروش جمع عرش من نحو معنى العرش وهو ما أقيم من البناء على حالة عجالة يدفع سورة الحر والبرد ولا يدفع جملة كالمسكن المشيد ، فكان المشيد في الحقيقة عريشاً لوهاء الدنيا بجملة في عين الاستبصار. ولما كان كأنه قيل : ما الذي في حاله ذلك مما يعجب منه ؟ قيل : (قال أنى يحيي هذه) أي القرية (الله) أي الذي له الأمر كله (بعد موتها) أي بما صارت إليه من الخراب وذهاب الأهل فيعيدها إلى ما كانت عليه عامرة أهلة.

قال الحرالي : وفي لفظة (أنى) لشمول معناها لمعنى كيف وحيث ومتى إستبعاده الإحياء في الكيف والمكان والزمان ، ومنشأ هذا الاستبعاد إنما يطوق النفس من طلبها لمعرفة تكييف ما لا يصل إليه علمها ¹⁹⁷. لقد كان إحتلال القدس وتخريبها سببا لسؤال العبد الصالح عن زمن تحريرها وهنا نلاحظ أهمية بقاء القدس قبلة للمسلمين لمدة ستة عشر شهرا من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم تحولت للمسجد الحرام وهذا يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الوارث الحقيقي لأنبياء بني إسرائيل ولقد جمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل المحامد بصلاته إماما لكل الأنبياء والمرسلين في الأقصى المبارك صلى الله عليه وسلم ثم عرج به صلى الله عليه وسلم إلى مكان لم يصله مخلوق حين قال سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لسيدنا جبريل تقدم فأجابه عليه السلام : انا إذا تقدمت إحترقت . لقد كانت تكربة للمصطفى صلى الله عليه وسلم وجب على امة الإسلام الحفاظ عليها ممثلة بالمسجد الأقصى المبارك . ولذا ما قاله يهود هو محض سفه لو لم تكن القدس القبلة الأولى للمسلمين ولم يكن الإسراء لها لما كان إحتلال الأقصى محفزا لعودة الامة الإسلامية لسابق عهدها وما سيراه يهود من إحياء الأمة الإسلامية بسبب الأقصى المبارك وعودة الامة للإسلام ثم تحركها

¹⁹⁷ نظم الدرر ج 4 ص 56

لتحرير فلسطين لأكبر من معجزة إحياء البقرة وسيرى يهود كيف ستهوى مؤامراتهم على عتبات المسجد الأقصى المبارك إن شاء الله تعالى تحقيقا .

المطلب الخامس: فلسطينية قضية القدس "قصة طالوت وجالوت":

ولمعرفة يهود أن عودة المسلمين لدينهم هو الخطر الأكبر القادم عليهم الذي يتهدهم فعملوا على تحويل القضية من قضية إسلامية إلى قضية عربية ومن ثم إلى قضية فلسطينية لتقزيم القوة التي تحاربهم وتتحرك لتحرير المسجد الأقصى وهو ديدن يهود وسيأتي التفصيل إن شاء الله وقد قال تعالى في سورة البقرة فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) [البقرة : 249 - 251] في آيات البقرة الثلاث السابقة جرى ذكر لجالوت ثلاث مرات . و أنا أجزم انه الكافر الوحيد في القرآن الذي ذكر اسمه ثلاث مرات . وهو قائد الفلسطينيين المشركين الذين تصدوا لنبي الله داوود عليه السلام تحت قيادة طالوت عليه السلام . لو تخيلنا أنفسنا أن قد رجع الزمان إلى ذلك الزمن . مع من كنا سنقاتل مع نبي الله داوود عليه السلام أو مع المشركين من أهل فلسطين . الإجابة على هذا السؤال ليس إختياريا . بل إن الواجب علينا بحسب توجيه الآية التالية : لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22 المجادلة) .

قال البقاعي رحمه الله في تفسيره : (لا تجد) أي بعد هذا البيان (قوماً) أي ناساً لهم قوة على ما يريدون محاولته (يؤمنون) أي يجددون الإيمان ويديمونه (بالله) أي الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى (واليوم الآخر) الذي هو موضع الجزاء لكل عامل بكل ما عمل ، الذي هو محط الحكمة (يوادون) أي يحصل منهم ودل لا ظاهراً ولا باطناً - بما أشار إليه الإدغام وأقله الموافقة في المظاهرة (من حاد الله) أي عادى بالمناسبة في الحدود الملك الأعلى لذلك فالمحادة لا تخفى وإن كانت باطنة يستتر بها زيادة النفرة منهم (ورسوله) فإن من حاده فقد حاد الذي أرسله ، بل لا تجدهم إلا يحادونهم ، لا أنهم يوادونهم ، وزاد ذلك تأكيداً بقوله : (ولو كانوا آباءهم.... إلخ¹⁹⁸ وعليه وبناء على السؤال الذي ذكرناه آنفاً فلو عاد الزمان إلى زمن داوود عليه السلام فسنقاتل إلى جانب داوود عليه السلام ضد جالوت الفلسطيني الكافر بل أكثر من ذلك .

وقد سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن صوم يوم عاشوراء، لما سمع أن اليهود تصوموه، ولم يكن يصوموه عليه السلام، فقالوا: إِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى مِنَ الْبَحْرِ، فقال عليه السلام: " نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ " وَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصَوْمِهِ¹⁹⁹ نحن أحق بموسى عليه السلام من يهود وكذلك داوود وسليمان عليهما السلام بعكس ما يقوله يهود وبعكس ما يقوله بعض القوميين العرب من نفي لوجود دولة يهود على أرض فلسطين . ويربط هؤلاء القوميون بين الكنعانيين وأهل فلسطين متجاهلين دولة إسلامية حكمت فلسطين في عهد داوود وسليمان

¹⁹⁸ نظم الدرر ج 19 ص 397

¹⁹⁹ أخرجه من حديث ابن عباس، البخاري (2004) و (3397) و (3943) و (4680) و (4737) ومسلم (1130)، وأبو داود (2444).

عليهما السلام . لقد حكم أنبياء الله بشرع الله ولقد إمتدح القرآن حكم الأنبياء داوود وسليمان عليهما السلام في أكثر من آية ولقد لعنوا الذين كفروا من بني إسرائيل لقوله تعالى : {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78)} [المائدة: 78] ، إن داوود وعيسى ابن مريم عليهما السلام ليلعنون بني إسرائيل الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم أي بني إسرائيل يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، والسؤال لماذا إستطردنا في موضوع إسلامية أنبياء بني إسرائيل ؟ أقول إن تكرار المصطلح الخاطئ يعطي تصورات خاطئة . وعليه ينبغي أقوال و أفعال خاطئة . من ذلك أن عددا ليس بقليل ينشغل بإعطاء البعد الفلسطيني الأهمية الأكثر في صراعنا مع يهود . والحقيقة غير ذلك تماما فعنصر القوة هو غضبة الأمة الإسلامية التي قد يسخر البعض من رد فعلها . لكن الله تعالى سييري هؤلاء عودة الامة الإسلامية لسابق عهدها ولقد تدرج أعداء الإسلام بحرف المسلمين عن مفاهيمهم . ولو راجعنا التاريخ الحديث لإنشاء دولة إسرائيل ، لقد قرر يهود إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين في مؤتمرهم المشؤوم في بال بسويسرا 1897 في المؤتمر الصهيوني المنعقد في مدينة بال بسويسرا وكان رئيس المؤتمر الصحفي النمساوي "تيودور هرتزل" . لقد علم أن المعركة في فلسطين معركة إسلامية بامتياز . بمعنى انها حضارة الإسلام تنتفض ضد الظلم الذي وقع عليها من يهود أو صليبيين في المسجد الأقصى المبارك . فعلامة عزة المسلمين هو تحرير الأقصى وعلامة ضعفهم هو إحتلال الأقصى المبارك من قبل الأعداء ولقد تيقن يهود أن الروح الإسلامية المتقدة في نفوس المسلمين ستكون عائقا امام إحتلال المسجد الأقصى المبارك وتأكد ذلك برفض السلطان عبدالحميد العثماني رحمه الله كل العروض المادية المغرية مقابل السماح ليهود بالهجرة لفلسطين فتحركت الآلة الصهيونية الماسونية لتوجيه ضربات متلاحقة لجسم أمة الإسلام ممثلة بالدولة العثمانية . وتحرك يهود الدونمة لإسقاط آخر خلافة إسلامية وتفاصل ذلك في غير هذا الكتاب . وكان إسقاط الخلافة

تمهيدا لإنهيار الأمة الإسلامية ولينفرط عقد المسلمين السياسي بعد ذلك . وليصبح المسلمين غنيمة سهلة يتقاسمها دول إستعمارية ظالمة تضطهد المسلمين ، ذكر الشيخ عبدالله عزام²⁰⁰ رحمه الله في كتابه حماس جذور تاريخية وميثاق نقلا على لسان ضابط المخابرات البريطاني لورنس العرب²⁰¹ حيث قال في كتابه أعمدة الحكمة السبعة إنني جد فخور أنني في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق الدم الإنجليزي، لأن دم إنجليزي واحد أحب إلي من جميع الشعوب التي نحكمها ولم تكلفنا الثورة العربية سوى عشرة ملايين دينار²⁰²

وعندما تم نقل المعركة إلى الصيغة القومية والتي أدت إلى كارثة عظمى في تاريخ الأمة الإسلامية ولا أدل على خطورة هذا التوجه القومي بين صفوف المسلمين وأنها كانت مكيدة يهودية نفذت بأيدي منافقين في عهد النبوة وذلك ما ذكر في تفسير قوله تعالى : وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (13) [الأحزاب : 13] ، (يا أهل يثرب) عدلوا عن الإسم - الذي وسمها به النبي (صلى الله عليه وسلم) من المدينة وطيبة مع حسنه - إلى الاسم الذي كانت تدعى به قديماً مع احتمال قبحه بين العباب والمحكم : ثرب وأثرب ، بمعنى ثرب تثريباً - إذا لامه وعيّر به بذنبه وذكر به وأكدوا بنفي الجنس لكثرة مخالفتهم في ذلك فقالوا : (

²⁰⁰ الشيخ عبدالله عزام ولد في 1941 في قرية سيلة الحارثية إلتحق بكتائب الشيوخ التي كانت تقاتل إسرائيل تحت غطاء منظمة التحرير الفلسطينية عمل في مدينة بيشاور فيباكستان أستاذاً جامعياً ثم مستشاراً للتعليم الأفغاني إستشهد في 1989\11\24

²⁰¹ أغسطس 19 - 1888 مايو (1935) ضابط بريطاني توماس إدوارد لورنس اشتهر بدوره في مساعدة القوات العربية خلال الثورة العربية عام 1916 ضد الدولة العثمانية عن طريق انخراطه في حياة العرب الثوار وعرف وقتها بلورنس العرب، وقد صُور عن حياته فيلم شهير حمل اسم لورنس العرب عام 1962. لاحقاً كتب لورنس سيرته الذاتية في كتاب حمل اسم اعمدة الحكمة السبعة" :لن يظهر له مثيل مهما كانت الحاجة ماسة له"قال عنه ونستون تشرشل

لقي مصرعه نتيجة سقوطه من على دراجته النارية في 19 مايو 1935
²⁰² الشيخ عبدالله عزام "حماس جذور تاريخية وميثاق" طباعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي 1989

لا مقام لكم) أي قياماً أو موضع قيام تقومون به - على قراءة الجماعة بالفتح ، وعلى قراءة حفص بالضم المعنى : لا إقامة أو موضع إقامة في مكان القتال ومقارعة الأبطال (فارجعوا) إلى منازلكم هرباً ، وكونوا مع نسائكم أذنباً ، أو إلى دينكم الأول على وجه المصارحة لتكون لكم عند هذه الجنود يد²⁰³.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تدعونها يثرب فإنها طيبة يعني المدينة ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات هي طيبة هي طيبة هي طيبة²⁰⁴.

يُثْرِب هو الاسم السابق للمدينة المنورة قبل الهجرة النبوية للرسول سميت يثرب بهذا الاسم نسبة إلى يثرب ابن قايئة بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح. والجدير بالذكر هو كراهية إطلاق هذا الاسم عليها، والأحرى تسميتها باسم المدينة وطيبة وبأسمائها الأخرى التي أطلقت عليها بعد الهجرة النبوية. ويكيبيديا

وعليه فإن عند الحصار الشديد الذي تعرضت له المدينة المنورة بواسطة أعداء الله قريش وغطفان ويهود قريظة من خارج وداخل المدينة أقول في هذا الوقت بالذات دعا المنافقون الذين يأترون بأمر يهود كما أسلفنا دعوا إلى قومية المعركة فهم القبيلتان الكبيرتان الأوس والخزرج واللتان تتحدان في جدهم وهو يثرب . بعبارة أخرى كان المنافقون يدعون إلى معركة قومية ليس للإسلام فيها نصيب . و أن يدعو المهاجرون ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون وشأنهم . وفي عصرنا الحاضر ونتيجة لسياسة قومية المعركة التي أدت إلى أن تخوض جيوش الدول العربية المعركة ضد إسرائيل منفردة عن الأمة الإسلامية . فكانت نكبة فلسطين 1948

²⁰³ نظم الدرر ج15 ص 307

²⁰⁴ الدر المنثور ج6 ص 579

. ثم تطور الأمر فأصبح هناك طرح فلسطيني بعيد عن القومية العربية . و أصبح العرب متفرجون رئيسيين على معركة فلسطينية إسرائيلية على إعتبار أن القضية فلسطينية لا تعنيهم . وهذه بدورها أدت لكارثة في مسار التاريخ الفلسطيني الحديث من حيث ما خاضه الفلسطينيون من حرب أيلول في الأردن وحرب لبنان والتين إنتهتا بتراجع كبير للقضية الفلسطينية نتيجة تقزيم القضية الفلسطينية .

لقد كان تعبير الشيخ أحمد ياسين دقيقا جدا حين وصف الفترة الزمنية من 1947 لغاية 1987 لحين بداية الإنتفاضة (فترة تيه للشعب الفلسطيني) مستنبطا ذلك من الآيات القرآنية التالية: قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَُدْخِلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26) [المائدة : 24 - 26] ، هذه الآيات وردت في سورة المائدة التي تتكلم عن توثيق العقد مع الله عز وجل حيث أورد البقاعي رحمه الله في مناسبة هذه السورة نقلا عن ابن الزبير .

وقال ابن الزبير: لما بين تعالى حال أهل الصراط المستقيم ، ومن تتكبد عن نهجهم ، ومآل الفريقين من المغضوب عليهم والضالين ، وبين لعباده المتقين ما فيه هداهم وبه خلاصهم أخذاً وتركاً ، وجعل طي ذلك الأسهم الثمانية الواردة في حديث حذيفة رضي الله عنه في قوله: (الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام سهم والشهادة سهم ، والصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، والحج سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ، وقد خاب من لا سهم له) قلت : وهذا الحديث أخرجه البزار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام سهم ، والصلاة سهم) فذكره ، وصح

الدارقطني وقفه²⁰⁵، ورواه أبو يعلى الموصلي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً والطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما قالك (قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الإسلام عشرة أسهم ، وقد خاب من لا سهم له : شهادة أن لا إله إلا الله سهم وهي الملة ، والثانية : الصلاة وهي الفطرة ، والثالثة : الزكاة وهي الطهور ، والرابعة : الصوم وهي الجنة ، والخامسة : الحج وهي الشريعة ، والسادسة : الجهاد وهي الغزوة ، والسابعة : الأمر بالمعروف وهو الوفاء والثامنة : النهي عن المنكر وهي الحجة ، والتاسعة : الجماعة وهي الألفة ، والعاشر : الطاعة وهي العصمة (وفي سنده من ينظر في حاله ؛ قال ابن الزبير : وقال (صلى الله عليه وسلم) : (بني الإسلام على خمس) أي في الحديث الذي أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) قال ابن الزبير : وقد تحصلت - أي الأسهم الثمانية والدعائم الخمس - فيما مضى ، وتحصل مما تقدم أن أسوأ حال المخالفين حال من غضب الله عليه ولعنه ، وأن ذلك ببغيتهم وعداوتهم ونتقضهم العهود) (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) [المائدة : 13] وكان النقض كل مخالفة ، قال الله تعالى لعباده المؤمنين : (ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) [المائدة : 1] لأن اليهود والنصارى إنما أتى عليهم من عدم الوفاء ونقض العهود ، فحذر المؤمنين - انتهى²⁰⁶

(حسن لغيره)²⁰⁵

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإسلام ثمانية أسهم والإسلام سهم والصلاة سهم والزكاة سهم والصوم سهم وحج البيت سهم والأمر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم والجهاد في سبيل الله سهم وقد خاب من لا سهم له رواه البزار مرفوعاً وفيه يزيد بن عطاء اليشكري

²⁰⁶ نظم الدرر ج 6 ص 6

مما تقدم أن ما فهمه البقاعي رحمه الله نقلا عن ابن الزبير أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجماعة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر هو من إستيفاء العقد بيننا وبين الله سبحانه وتعالى حتى لا نتوه في الأرض كما تاه بني إسرائيل .

لقد كانت فترة التيه الزمنية من 1947 حتى 1987 والتي صنفها الشيخ أحمد ياسين على أنها فترة تيه وهي كذلك . فهذه الفترة الزمنية كانت فترة مد علماني . لقد كانت هذه الفترة المأساوية هي فترة غياب الطرح الإسلامي عن واجهة الأحداث فكانت هزائم 67 وكان التراجع في أيلول عن ساحة الأردن وكان التراجع عن ساحة لبنان في معركة بيروت لقد عادت الأمة الإسلامية راشدة إلى كتاب الله و هدى النبي صلى الله عليه وسلم ببداية الإنتفاضة الإسلامية. لقد تغير مسار التاريخ ببداية الإنتفاضة المباركة فهي بداية جديدة لإحياء الأمة الإسلامية . لقد بدأ انحسار الفكر المعادي للإسلام ، وبظهور الفكر الإسلامي إنحسر إلى حد كبير تأثير هذا الفعل والحمد لله رب العالمين .

المطلب السادس: الإدارة والمداهنة وتليبس يهود:

مما ذكرناه في المطلب الفائت تغير وضع الإسلام في الأمة العربية وهذا التغير يستتبعه تعامل مختلف في الإدارة ظل ضعف الإسلام أو قوته بحسب تغير ميزان القوة في المجتمع المسلم ، وعليه تصبح الإدارة جزء هام من التدبير وهو مما لا يستغنى عنه ، ولتأصيل معنى الإدارة فقد أورد ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري في شرح الحديث الذي أورده الإمام البخاري في صحيحه كما يلي : ما روته عائشة رضي الله عنها، من أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: ((بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة. فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه، فلما إنطلق الرجل. قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرجل، قلت له كذا وكذا، ثم تطلعت في وجهه، وانبسطت إليه. فقال: رسول الله

صلى الله عليه وسلم: يا عائشة، متى عهدتني فحاشاً؟ إنَّ شرَّ النَّاسِ عند الله منزلة يوم القيامة، من تركه النَّاسُ اتقاء شرِّه)). الحديث 6032 صحيح البخاري ، وأورد الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري شرح هذا الحديث

فلما جلس تطلق بفتح الطاء المهملة وتشديد اللام أي أبدى له طلاقه وجهه يقال وجهه طلق وطلق أي مسترسل منبسط غير عبوس ووقع في رواية بن عامر بش في وجهه ولأحمد من وجه آخر عن عائشة واستأذن آخر فقال نعم أخو العشيعة فلما دخل لم يهش له ولم ينبسط كما فعل بالآخر فسأله فذكر الحديث قال الخطابي جمع هذا الحديث علماً وأدباً وليس في قول النبي صلى الله عليه وسلم في أمته بالأمر التي يسميهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمره فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة ولكنه لما جبل عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبهه بالمكروه لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته قلت وظاهر كلامه أن يكون هذا من جملة الخصائص وليس كذلك بل كل من إطلع من حال شخص على شيء وخشى أن غيره يغتر بجميل ظاهره فيقع في محذور ما فعله أن يطلعه على ما يحذر من ذلك قاصدا نصيحته وإنما الذي يمكن أن يختص به النبي صلى الله عليه وسلم أن يكشف له عن حال من يغتر بشخص من غير أن يطلعه المغتر على حاله فيذم الشخص بحضرته ليتجنبه المغتر ليكون نصيحة بخلاف غير النبي صلى الله عليه وسلم فإن جواز ذمه للشخص يتوقف على تحقق الأمر بالقول أو الفعل ممن يريد نصحه وقال القرطبي في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداينة في دين الله تعالى ثم قال تبعا لعياض والفرق بين المداراة والمداينة أن المداراة بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين أو هما معا وهي مباحة وربما استحبت والمداينة ترك الدين

لصلاح الدنيا والنبي صلى الله عليه و سلم إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض قوله فيه فعله فإن قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة فيزول مع هذا التقرير الإشكال بحمد الله تعالى وقال عياض لم يكن عيينة والله أعلم حينئذ أسلم فلم يكن القول فيه غيبة أو كان أسلم ولم يكن إسلامه ناصحا فأراد النبي صلى الله عليه و سلم أن يبين ذلك لئلا يغتر به من لم يعرف باطنه وقد كانت منه في حياة النبي صلى الله عليه و سلم وبعدة أمور تدل على ضعف إيمانه فيكون ما وصفه به النبي صلى الله عليه و سلم من جملة علامات النبوة وأما إلانة القول له بعد أن دخل فعلى سبيل التألف له ثم ذكر نحو ما تقدم وهذا الحديث أصل في المداراة وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسق ونحوهم والله أعلم²⁰⁷ انتهى ، وقد شرح العسقلاني جوانب الضعف في عيينة بن حصن حين أورد قوله انتقاء شره أي قبح كلامه لأن المذكور كان من جفاة العرب وقال القرطبي في هذا الحديث إشارة إلى أن عيينة المذكور ختم له بسوء لأن النبي صلى الله عليه و سلم اتقى فحشه وشره أخبر أن من يكون كذلك يكون شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة قلت ولا يخفى ضعف هذا الاستدلال فإن الحديث ورد بلفظ العموم فمن اتصف بالصفة المذكورة فهو الذي يتوجه عليه الوعيد وشرط ذلك أن يموت على ذلك ومن أين له أن عيينة مات على ذلك واللفظ المذكور يحتمل لأن يقيد بتلك الحالة التي قيل فيها ذلك وما المانع أن يكون تاب وأتاب وقد كان عيينة ارتد في زمن أبي بكر وحارب ثم رجع وأسلم وحضر بعض الفتوح في عهد عمر وله مع عمر قصة ذكرت في تفسير الأعراف ويأتي شرحها في كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى وفيها ما يدل على جفائه والحديث الذي فيه أنه أحرق مطاع أخرجه سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم النخعي قال جاء عيينة بن حصن إلى النبي صلى الله عليه و سلم وعنده عائشة فقال من هذه قال أم المؤمنين قال ألا أنزل لك عن أجمل منها فغضبت عائشة

²⁰⁷ ابن حجر العسقلاني فتح الباري شرح صحيح البخاري المكتبة التوفيقية - القاهرة ج10 ص 580

وقالت من هذا قال هذا أحق ووصله الطبراني من حديث جرير وزاد فيه أخرج فاستأذن قال أنها يمين على أن لا استأذن على مضري وعلى تقدير أن يسلم له ذلك وللقاضي قبله في عينة لا يسلم له ذلك في مخرمة بن نوفل وسيأتي في باب المداراة ما يدل على أن تفسير المبهم هنا بمخرمة هو الراجح²⁰⁸ والقصة عن عينة بن حصن التي تدل على سفهه والتي أشار إليها العسقلاني ولم يوردها في إستهاده هي كما يلي : وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي حَدِيثِ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ حِينَ اسْتَأْذَنَ لَهُ عَلَى عُمَرَ، قَالَ فِيهِ: فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجُزْلَ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ (به) (2)، فَقَالَ الْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} * (3) (وإن هذا/ من الجاهلين) (4) فوالله ما (جاوزها) (5) عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ²⁰⁹ (6) وعليه فالمداراة مبدأ إتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم لإتقاء شر من يرى في مداراته منفعة للمسلمين وهو مبدأ أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمراعاة ظروف إستثنائية يمر بها المسلم في تعامله مع قوى لا بد له من مداراتها إتقاء لشرها والمداراة تكون الحاجة لها أشد في وقت ضعف المسلمين و المداراة والمداهنة مبدآن شرحهما العسقلاني رحمه الله كما أشرنا آنفا كما قال البقاعي رحمه الله في تفسيره : قال في القاموس : دهن : نافع ، والمداهنة : إظهار خلاف ما تبطن كالإدهان والغش ، وقال البغوي رحمه الله : هو الإدهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر ، وقال الرازي : والفرق بين المداراة والمداهنة يرجع إلى القصد ، فما قصد به غرض سوى الله فهو المداهنة ، وما قصد به أمر يتعلق بالدين فهو المداراة ، وقال ابن بركان : الإدهان والمداهنة : الملاينة في الأمور والتغافل والركون إلى التجاوز - انتهى²¹⁰ . إن واقع الأمة

²⁰⁸ ابن حجر العسقلاني "فتح الباري شرح صحيح البخاري" دار المعرفة للطباعة ج10 ص455

²⁰⁹ أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (4642 و7286)، وأحمد في الفضائل

²¹⁰ نظم الدرر ج19 ص 240

الصعب والتي تعيش في الظروف الحالية تحتاج لعبارات مداراة إتقاء لشر زعماء تسلموا دفعة الحكم وهم أي الحكام ينطبق عليهم ما ينطبق على عيينة بن حصن . فالأصل في التعامل معهم هو المداراة كما فعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إتقاء لشرهم لكن في نفس الوقت الذي ندري فيه زعماء الباطل يجب أيضا أن نوضح التقييم الحقيقي لهؤلاء القوم لنلا يغتر بهم من سمع مداراتنا لهم كما وضح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة رضي الله عنها منعا لإغترارها بمعاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعيينة بن حصن . وفي نفس الوقت لم يصرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف عيينة له إتقاء لفحش عيينة بن حصن . طبعا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على عيينة بن حصن من خلال الوحي الذي أوحاه الله لنبيه ولكننا في عصرنا نحتاج لدليل حتى نحذر العامة من خطورة شخص ما من الحكام أو غيرهم عليهم ولهذا ورد في كتاب طبقات الحنابلة لمؤلفه لأبي الحسن ابن أبي يعلى حيث قال : دخل أحمد بن داود أبوسعيد الحداد الواسطي على أحمد بن حنبل في الحبس قبل الضرب فقلت له في بعض كلامي : "يا أبا عبد الله عليك عيال ولك صبيان و أنت معذور كأني أسهل عليه الإجابة فقال لي أحمد بن حنبل : إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد إسترحت²¹¹ ولشرح هذا الموقف فإن إمام أهل السنة أمتحن في عهد المأمون بفتنة خلق القرآن وقال معظم العلماء بما أراده المأمون لكن إمام أهل السنة أبي ان يجيبهم إلى ما أرادوه . وبثبات الإمام أحمد بن حنبل ثبتت عقيدة الأمة . ولقد نبه القرآن الكريم على واجب علماء المسلمين في توضيح وبيان الأمر بدون لبس لقوله تعالى : **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ**

(3/ 331) م ش²¹¹ موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية

أبو سعيد الحداد (2) (221 هـ)

أحمد بن داود بن رواد الضبي الواسطي، أبو سعيد الحداد. نزل ببغداد وحدث عن حماد بن زيد وخالد بن عبد الله ومحمد بن يزيد الكلاعي وعبد الرحمن بن مهدي. وحدث عنه أحمد بن سنان ومشرف بن سعيد ومحمد بن عبد الملك الدقيقي ومحمد بن إسحاق الصاغانى وغيرهم. قال: دخلت على أحمد الحبس قبل الضرب، فقلت له في بعض كلامي: يا أبا عبد الله عليك عيال ولك صبيان، وأنت معذور -كأني أسهل عليه الإجابة- فقال لي أحمد بن حنبل: إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحت

لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ (187) [آل عمران : 187] ، وقال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : (وإذا أخذ الله) أي اذكروا ذلك يدلکم على عداوتهم ، واذكروا ما صح عندکم من إخبار الله تعالى المشاهد بإخبار من أسلم من الأحرار والقسيسين أن الله أخذ (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) أي من اليهود والنصارى بكلام أكد في كتبه وعلى السنة رسله : (ليبينه) أي الكتاب (للناس ولا يكتُمونه) أي نصيحة منهم لله سبحانه وتعالى ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) ولأئمة المؤمنين وعامتهم ليؤمنوا بالنبى المبشر به (فنَبَذُوهُ) أي الميثاق بنبذ الكتاب (وراء ظهورهم) حسداً لكم وبغضاً ، هو تمثيل لتركهم العمل به ، لأن من ترك شيئاً وراءه نسيه (واشتروا به) ولما كان الثمن الذي اشتروه خسارة لا ربح فيه أصلاً على العكس مما بذلوه على أنه ثمن ، وكان الثمن إذا نض زالت مظنة الربح منه عبر عنه بقوله : (ثمناً) وزاد في بيان سفههم بقوله : (قليلاً) أي بالاستكثار من المال والاستثمار للرئاسة ، فكتموا ما عندهم من العلم بهذا النبى الكريم (فبئس ما يشترون) أي لأنه مع فنائه أورثهم العار الدائم والنار الباقية ، وعبر عن هذا الأخذ بالشراء إعلماً بلجاجهم فيه ، ونبه بصيغة الافتعال على مبالغتهم في اللجاج.

ولما أخبر سبحانه وتعالى بأنهم احتقوا على المال والجاه بما كتموا من العلم وأظهروا من خلافه المتضمن لمحبة أهل دينهم فيهم وثنائهم عليهم بأنهم على الدين الصحيح وأنهم أهل العلم ، فهم أهل الاقتداء بهم ؛ قال سبحانه وتعالى مخبراً عن مآلهم تحذيراً من مثل حالهم على وجه يعم كل امرئ : (لا تحسبن) على قراءة الجماعة بالغيب (الذين يفرحون بما آتوا) أي مما يخالف ظاهره باطنه²¹² وعليه فإن الآية المذكورة أعلاه تتحدث عن العلماء الذين يجب أن يوضحوا للمسلمين آيات الله ويبينوها والتبيين هو توضيح الحدود الفاصلة للآية ومعانيها والسبب في ذلك ان العلماء هم الذين يوضحون للعامة حدود الآيات وما يحتاجه الناس في حياتهم

²¹² نظم الدرر ج 4 ص 153

فوجب عليهم أي العلماء شرح كتابه وقد قال الله تعالى يصف كتابه بأنه مشتمل على كل سؤال فقد قال تعالى : وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89) [الإسراء : 89] ، وزعامة زعماء أهل الباطل قائمة على خداع العامة بوعود براءة كاذبة وإخفاء حقائق كتاب الله عز وجل لقوله تعالى : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) [النور : 39] ، أما الأتباع فهم في ظلمات لقوله تعالى : أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ يَرَاهَا وَمَنْ لِنَفْسِهِ [الباب (العلمية) (ص: 3841)]

الثالث : أن الكافر لا يدري ، ولا يدري أنه لا يدري ، ويعتقد أنه يدري ، فهذه المراتب الثلاثة تشبه تلك الظلمات الثلاث. ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور (40) [النور : 213]

فإذا جاء نور الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم تكشفت الظلمات وانفصح سراب الزعماء وهزمهم نور الله الذي أخذ الله الميثاق على العلماء "لتبيننه" وأكد ذلك بلام التوكيد ونون التوكيد المشددة والميثاق من الوثاق الذي أخذه الله على العلماء . ولذا ما يكثر شراء علماء السوء بالمال ويصبحوا علماء السلطان يزينون للعامة أفعال الظالمين لقاء لعاعة من الدنيا وقد قيل أن من فسد من علمائنا فهو أشبه بيهود ومن فسد من عبادنا فهو أشبه بالنصارى وقد وصف تعالى علماء السلطان في قوله عز وجل : وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا

²¹³ م ش عمر بن علي بن عادل الدمشقي تفسير الباب دار الكتب العلمية بيروت 1998 ص 3841

بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177) [الأعراف : 175 - 177] .

قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : (واتل) أي اقرأ شيئاً بعد شيء (عليهم) أي اليهود وسائر الكفار الخلق كلهم (نبأ الذي) وعظم ما عطاها بمظهر العظمة ولفظ الإيتاء بعد ما عظم خبره بلفظ الإنباء فقال : (آتيناها) ولما كان تعالى قد أعطاه من إجابة الدعاء وصحة الرؤيا وغير ذلك مما شاء سبحانه أمراً عظيماً بحيث دله تعالى دلالة لا شك فيها ، وكانت الآيات كلها متساوية الأقدام في الدلالة وإن كان بعضها أقوى من بعض ، قال تعالى : (آياتنا) وهو بلعام من غير شك للسباق واللاحق ، وقيل : وهو رجل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين فرشاه فتبع دينه فافتنن به الناس ، هو أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي قال فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) " آمن شعره وكفر قلبه " ²¹⁴ قال عبدالله بن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد ابن أسلم وقيل : هو أبو عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق ، وقيل : نزلت في منافقي أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان الذي جرأهم على عظمته سبحانه ما أنعم عليهم به من إعطاء الكتاب ظناً منهم أنه لا يشقيهم بعد ذلك ، رهبهم ببيان أن الذي سبب له هذا الشقاء هو إيتاء الآيات فقال : (فانسلخ منها) أي فارقها بالكلية كما تنسلخ الحية من قشرها ، وذلك بسبب أنه لما كان مجاب الدعوة سألته ملك زمانه الدعاء على موسى وقومه فامتنع فلم يزل يرغبه حتى خالف أمر الله اتباعاً لهوى نفسه ، فتمكن من الشيطان وأشار عليه أن يرسل إليهم النساء مزيّنات ويأمرهن أن لا يمتنعن من أحد ، فأشقاها الله ، وهذا معنى (فأتبعه الشيطان) أي فأدركه مكره فصار قريباً له

(2/ 74) العرش للذهبي ²¹⁴

أمية بن عبد الله، أبي الصلت، بن ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف، أدرك (118/3-131) الإسلام ولم يسلم، مات سنة خمس من الهجرة. انظر: تهذيب ابن عساكر في الأصل: "عن" والصواب ما أثبتته 2

(فكان) أي فتسبب عن إدراك الشيطان له أن كان (من الغاوين) أي الضالين الراكبين هوى نفوسهم ²¹⁵، وبعد فقد أوضحنا مثلين لعالم ثبت امام المحنة فكان سببا لهداية أهل السنة والجماعة و آخر كفر بعد معرفته إسم الله الأعظم فاللهم ثبتنا على الدين وجنبنا الفتن . هذا التوضيح هام لأفراد الأمة الإسلامية من قبل علمائها وقادتها الذي لا يقبل منهم مداراة لزعماء الباطل فكل من زادت مكانته في أمة الإسلام زادت أعباؤه . ولا يقبل من زعماء الإسلام أن يأخذوا بالرخصة إذا كان ذلك سببا في إضلال العامة . لكن مع توضيح هام وهو ان الغرب الظالم تسلط على المسلمين ومن ورائه من ينفذ ظلمه على المسلمين بإسم مسلم . وفي ظل هذا الإستضعاف . كان هناك الحاجة لفقه يواجه هذا الواقع الظالم وتفهم ذلك لأبناء الإسلام والذين يتم خداعهم بشعارات لامعة براقه دون النظر لكل نصوص الشريعة . هناك من تطرف وغالى في دينه فلم يدع فرصة للمداراة التي تحدثنا عنها آنفا فقفز لنصوص حادة لم تكن الظروف ولا الزمان لتطبيقها في غلو لتطبيق نصوص الشريعة ، مثل هذا الغلو والتطرف يكون فرصة مواتية لأعداء الله لشن حملات إعلامية على الإسلام والمسلمين كما أشرنا سابقا في المطالب الذي بحث في إستغلال يهود لوسائل الإعلام التي تسعى للتأثير على العامة والإستشهادات التالية هي لتوضيح أهمية المداراة في الفكر المسلم لمواجهة الواقع المحيط بالمسلمين ، وسأعطي مثالا لتلبيس يهود على عوام المسلمين بما حدث مع الجماعات التكفيرية في مصر والشام مثال تطبيقي لشباب مسلم لم يستوعب مبدأ المداراة وكيف تلقف ذلك أعداء الله في تشويه صورة الإسلاميين .

ورد في ملحق كتاب الطريق إلى جماعة المسلمين تأليف حسن بن محسن بن علي جابر حيث ورد في محضر إجتماع في تقرير "مكافحة تسييس الدين أو تدين السياسة " وهو جزء

من خطاب تم رفعه للرئيس المصري الأسبق أنور السادات وقد تم نشر هذا التقرير في مجلة الأمان اللبنانية العدد 13 بتاريخ 30 جمادي الأولى 1399 هـ .

الحضور في الإجتماع المذكور بالإضافة لممثلي أجهزة الإستخبارات المصرية كان ما يلي :

1 - السيد نائب غبطة البابا المسؤول عن التنسيق مع الجماعات الإسلامية

2- خبير الشؤون الإسلامية بالسفارة الأمريكية وهو المندوب المقيم بمصر للهيئة المسماة لجنة مكافحة التطرف الإسلامي التابعة لوكالة الأمن القومي الأمريكي

3- مساعد بيغن للشؤون الإسلامية

طبعاً ذكر تعالى عن المنافقين : وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) [البقرة : 14 ، 15] ، فإذا كانت المقابلة مع المؤمنين قال هؤلاء المنافقين إذا خلوا إلى أي معناه إجتمعوا سرا مع يهود والذين وصفتهم الآية "بشياطينهم" أظهروا الوجه الحقيقي لهم وإبتدروا يهود مبررين أفعالهم بأنها "إستهزاء" بالذين آمنوا ، ويظهر الوجه القبيح للمنافقين عند إجتماعهم مع يهود وفي هذا الإجتماع الذي أشرنا إليه آنفاً ورد ما يلي :

"1- تحريك قضايا التطرف الديني من وقت لآخر ، وتسليط الأضواء عليها إعلامياً مع تشجيع غلاة المتطرفين بعد القبض عليهم وتصعيد الغرور فيهم حتى تكون تصريحاتهم المغرورة المتزمته مادة لأجهزة الإعلام لإثارة الجمهور عليهم بدلاً من التعاطف معهم ، ثم ربط هذه القضايا بالعمالة لبعض دول الرفض المتطرفة مثل ليبيا والعراق .

2- تحريك بعض زعمائهم من الشباب في الجامعة بطرق غير مباشرة و تيسير حصولهم على الأسلحة والمفرقات المحدودة لتصفية بعض العناصر غير المرغوب فيها على غرار قضية

الشيخ الذهبي ثم التخلص منهم بأحكام قاسية تكون عبرة لغيرهم ، مع العمل على تصعيد إستعمال تعبير (جماعة التكفير) ²¹⁶ .

مما سبق يتبين من نصوص التقرير المقتبسة أعلاه أن يهود يشجعون الجماعات الجهادية المتطرفة لأنها أي هذه الجماعات توفر الذخيرة الإعلامية لليهود في تشويه الإسلام ، وحدث في السبعينات من القرن الماضي أن ظهرت جماعات تكفيرية شجعت أجهزة الاستخبارات الغربية والعربية على العمل ويسرت هذه الأجهزة لهذه الجماعات وسيلة الحصول على الأسلحة بحسب ما ورد في ملاحق كتاب "الطريق إلى جماعة المسلمين " .

طبعاً إنطلقت هذه الجماعات التكفيرية من نصوص مجتزأة من الكتاب والسنة بحسب فهمها الذي فهمته ، ولم تفهم هذه الجماعات التكفيرية أن الإسلام يطبق على مراحل . وفي هذا ما شرحناه في تفسير قوله تعالى :

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) [البقرة : 106] ، وقلنا سابقاً ان هناك قراءة "ما ننسخ من آية أو ننسؤها" وهي تعني ان احكام الإسلام تتأخر بحسب قوة وضعف الأمة الإسلامية . وهذا التدرج في التطبيق يحتاج لمواقف متباعدة وتصريحات تتفق مع المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية وإن يهود والمنافقين الذين يعملون معهم يتحينون الفرص لبث ما يخلخل الصفوف وذلك لقوله تعالى : لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47) [التوبة] .

²¹⁶ حسين بن محسن بن علي جابر " الطريق إلى جماعة المسلمين "دار الوفاء للطباعة المنصورة
جمهورية مصر العربية الطبعة السابعة 2002 ص 320

إن أوضح مثال على مؤامرة يهود وتلبيس المسلمين المعاني الغائبة عنهم ما حدث في خلاف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومع الصحابين وعائشة رضي الله عنهم أجمعين . فقد كان في جيش علي بن أبي طالب قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان رأي سيدنا علي بن أبي طالب عدم تنفيذ القصاص لضعف إمكانياته رضي الله عنه ولكن كان رأي الصحابيان طلحة والزبير رضي الله عنهما تنفيذ القصاص ولقد اورد الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) [الحجرات : 9] .

أورد القرطبي رحمه الله في تفسيره : فتقرر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين أن عليا رضي الله عنه كان إماما، وأن كل من خرج عليه باغ وأن قتاله واجب حتى يفى إلى الحق وينقاد إلى الصلح، لأن عثمان رضي الله عنه قتل والصحابة برآء من دمه، لانه منع من قتال من ثار عليه وقال: لا أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بالقتل، فصبر على البلاء، واستسلم للمحنة وفدى بنفسه الامة. ثم لم يمكن ترك الناس سدي، فعرضت على باقي الصحابة الذين ذكروهم [عمر] (1) في الشورى، وتدافعوها، وكان علي كرم الله وجهه أحق بها وأهلها، فقبلها حوطة (2) على الأمة أن تسفك دماؤها بالتهارج والباطل، أو يتخرق أمرها إلى ما لا يتحصل. فربما تغير الدين وإنقض عمود الإسلام. فلما بويع له طلب أهل الشام في شرط البيعة التمكن من قتلة عثمان وأخذ القود منهم، فقال لهم علي رضي الله عنه: ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه. فقالوا: لا تستحق بيعة وقتلة عثمان معك تراهم صباحا ومساء. فكان علي في ذلك أشد رأيا وأصوب قيلا، لأن عليا لو تعاطى القود منهم لتعصبت لهم قبائل وصارت حربا ثالثة، فانتظر بهم أن يستوثق الامر (3) وتعتقد البيعة، ويقع الطلب من الأولياء في مجلس الحكم، فيجري القضاء بالحق. ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز

للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة أو تشتيت الكلمة. وكذلك جرى لطلحة والزبير، فإنهما ما خلعا عليا من ولاية ولا إعترضا عليه في ديانة، وإنما رأيا أن البداءة بقتل أصحاب عثمان أولى. قلت: فهذا قول في سبب الحرب الواقع بينهم. وقال جلة من أهل العلم: إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة منهم على الحرب بل فجأة، وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به، لأن الأمر كان قد إنتظم بينهم، وتم الصلح والتفرق على الرضا. فخاف قتلة عثمان رضي الله عنه من التمكين منهم والاحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فريقين، ويبدءوا بالحرب سحرة في العسكرين، وتختلف السهام بينهم، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، والفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي فتم لهم ذلك على ما دبروه، ونشبت الحرب، فكان كل فريق دافعا لمكرته عند نفسه، ومانعا من الاشاطة بدمه وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى، إذ وقع القتال والامتناع منهما على هذه السبيل وهذا هو الصحيح المشهور والله أعلم²¹⁷.

فلاحظ فيما اورده الإمام القرطبي في خلاف الصحابة الذي حدث وأن الإمام علي رضي الله عنه كان يؤثر التريث لحين التمكن لتنفيذ الأحكام وهذا يؤكد الفهم الذي وصلنا إليه في تفسير قوله تعالى "ننسؤها" في سورة البقرة وقد ذكرناه في غير هذا المكان أن أحكام الإسلام تتغير بتغير قوة المسلمين ولكن لتعجل التكفيريين في فهم نصوص القرآن إندفعوا للتكفير ومن ثم لأفعال إرهابية لا يقرها الإسلام مطلقا ، وحين إتفقت كلمة الصحابة أشعل قتلة عثمان الفتنة مرة اخرى و بدأوا القتال في السحر كما أورد الإمام القرطبي .

²¹⁷ القرطبي الجامع لأحكام القرآن دار الكتب العلمية بيروت ج 8 ص 209

إن الفتنة التي أوقعها يهود بالامة الإسلامية بهذه المؤامرة والتي إنطلقت على بعض المسلمين كانت سببا في خسائر فادحة في أرض الإسلام . ولا زلنا نعاني من هذه الفتن التي عصفت بتوازنات كبيرة . وهي باختصار نظرية المؤامرة التي نفذها يهود بتخطيط وجرأة كبيرين . وهذا يشهد ليهود تمرسهم بالمؤامرات والقتل و إشعال الفتن وهنا تكمن أهمية بحث قصة البقرة التي حلت مواقف يهود في هذه المؤامرات وهذه الدراية في إثارة الفتن ورثها يهود عن أسلافهم لقوله تعالى : لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70) [المائدة : 70] . وهذا جزء لا يتجزأ من نظرية المؤامرة والتي كان مثالها قصة البقرة المؤامرة التي إنتهت بالفشل . ولاحظ في الآية أعلاه إشارته تعالى لقوله "يقتلون " بالمضارع الذي يعني الإستمرار والتجديد . ولقائل أن يقول إن مؤامرة يهود لم تنته بعد والدليل أن الخلاف القائم لا زال موجود وعلوا بني إسرائيل ظاهر في أرض الأقصى والجواب إن من إستنباطنا لأحكام القرآن في قصة البقرة أن هذه الفتنة ستنتهي بتوحد المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ، وَالشَّجَرَةِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ، أَوِ الشَّجَرَةُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغُرَقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ) " 1 وبتحرير المسجد الأقصى المبارك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم²¹⁸ ولقد كان الأزهر الشريف مصدرا للفكر المعادي للسنة ثم تحول هو ومن به للإسلام الذي

²¹⁸ مسند أحمد ط الرسالة (15 / 233)

(1)إسناده صحيح إسناده سابقه.

وأخرجه مسلم (2922) عن قتيبة بن سعيد، بهذا الإسناد.

وأخرجه أبو عوانة في الفتن كما في "إتحاف المهرة" 5/ ورقة 145 من طريق أبي رجاء وحسان بن عبد الله الواسطي، والخطيب في "تاريخه" 207/7 من طريق عبد الله بن وهب، ثلاثتهم عن يعقوب بن عبد الرحمن، به.

وأخرجه أبو عوانة في الفتن أيضا من طريق سليمان بن بلال، عن سهيل بن أبي صالح، به.

نفهمه "القرآن والسنة " وهكذا والله أعلم ستتوحد الامة الإسلامية على القرآن والسنة والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون 21 - يوسف

ويشهد لصدق تحليلنا أن الدولة العبيدية (الفاطمية) إنتهت وورثتها دول سنية في دول المغرب العربي . وذلك ان آيات الله من كتابه تدحض كل الشبهات التي يثيرها يهود .

المطلب السابع: الجهوية ومؤامرة شاس بن قيس:

تحدثنا في المطلب السابق عن محاولة يهود تفتيت المجتمع المسلم بإثارة إجتهاادات خاطئة والتركيز الإعلامي عليها ونبحث هاهنا في وسيلة أخرى لتفتيت المجتمع المسلم . وتحديدًا نتحدث في هذا المطلب عن إثارة الصراعات العرقية والجهوية كوسيلة لتفتيت المجتمع المسلم وقد برز ذلك في عدة حوادث مشهورة في السيرة النبوية فلقد ورد في تفسير قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) [آل عمران : 100] ، ما أورده الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية : نَزَلَتْ فِي يَهُودِيٍّ أَرَادَ تَجْدِيدَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْدَ انْقِطَاعِهَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسَ بَيْنَهُمْ وَأَنشَدَهُمْ شِعْرًا قَالَهُ أَحَدُ الْحَيَيْنِ فِي حَرْبِهِمْ. فَقَالَ الْحَيُّ الْآخَرُ: قَدْ قَالَ شَاعِرُنَا فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا، فَكَانَهُمْ دَخَلَهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَقَالُوا: تَعَالَوْا نَرُدُّ الْحَرْبَ جَذَاءً كَمَا كَانَتْ. فَنَادَى هَؤُلَاءِ: يَا آلَ الْأَوْسِ. وَنَادَى هَؤُلَاءِ. يَا آلَ خَزْرَجٍ، فَاجْتَمَعُوا وَأَخَذُوا السِّلَاحَ وَاصْطَفَوْا لِلْقِتَالِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ فَقَرَأَهَا وَرَفَعَ صَوْتَهُ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ أَنصَتُوا لَهُ وَجَعَلُوا يَسْتَمِعُونَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَلْفَوْا السِّلَاحَ وَعَانَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلُوا يَبْكُونَ، عَنْ عِكْرِمَةَ وَابْنِ زَيْدٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ. وَالَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ الْيَهُودِيُّ، دَسَّ عَلَى الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مَنْ يُذَكِّرُهُمْ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْحُرُوبِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُمْ وَذَكَرَهُمْ، فَعَرَفَ الْقَوْمَ أَنَّهَا نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَأَلْفَوْا السِّلَاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَبَكَوْا وَعَانَقَ

بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ، يَعْنِي الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ. (إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) يَعْنِي شَاسَا وَأَصْحَابَهُ. (يُرْذُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ) قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: مَا كَانَ طَالِعَ أَكْرَهَ إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْنَا بِيَدِهِ فَكَفَفْنَا وَأَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى مَا بَيْنَنَا، فَمَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا أَفْبَحَ وَلَا أَوْحَشَ أَوْلًا وَأَحْسَنَ آخِرًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ²¹⁹. وبعد فهذه القصة التي أوردها القرطبي رحمه الله بها من العبر الشيء الكثير . إن عمل يهود الأساس هو تفريق جماعات المسلمين وإحداث الحروب الأهلية فيما بينهم إن الوحدة و أخوة الإسلام بين المسلمين سببا لإفشال مخططات يهود .وهم يهود يشعلون نار الفتنة والصراع العرقي والعقائدي ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . وفي ظل هذه الصراعات يحصل يهود على فوائدهم المالية التي ينتظرون من تلك الحروب بفارغ الصبر لتحقيق مآربهم . وعليه فيهود إستخدموا أسلوب أجدادهم في مشاكل المسلمين المعاصرة وهذا مما يؤكد أهمية البحث الذي نحن بصددده .لقد كان هذا الطرح العرقي دين يهود ومن يعملون بأمرهم من المنافقين لقوله تعالى : وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (13) [الأحزاب : 13 ، 14] .

ولما ذكر ما هو الأصل في نفاقهم وهو التكذيب ، أتبعه ما تفرع عليه ، ولما كان تخذيلهم بالترجيع مرة ، عبر عنه بالماضي فقال : (وَإِذْ قَالَتْ) أنت الفعل إشارة إلى رخاوتهم وتأنثهم في الأقوال والأفعال (طائفة منهم) أي قوم كثير من موتى القلوب ومرضاها يطوف بعضهم ببعض : (يا أهل يثرب) عدلوا عن الاسم - الذي وسمها به النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وطيبة مع حسنه - إلى الإسم الذي كانت تدعى به قديماً مع إحتمال قبحه بين العباب

²¹⁹ القرطبي "الجامع لأحكام القرآن " دار الكتب العلمية بيروت ج4 ص100.

والمحكم : ثرب وأثرب ، بمعنى ثرب تثريباً - إذا لامه وعيّر به بذنبه وذكر به. وأكدوا بنفي الجنس لكثرة مخالفتهم في ذلك فقالوا : (لا مقام لكم) أي قياماً أو موضع قيام تقومون به - على قراءة الجماعة بالفتح ، وعلى قراءة حفص بالضم المعنى : لا إقامة أو موضع إقامة في مكان القتال ومقارعة الأبطال (فارجعوا) إلى منازلكم هراباً ، وكونوا مع نسائكم أذنباً ، أو إلى دينكم الأول على وجه المصارحة لتكون لكم عند هذه الجنود يد²²⁰ ففي الوقت الذي تحاصر قريش وغطفان المدينة من الخارج حيث إضطر هذا الأمر لحفر خندق لصد هذه الجموع التي تفوق عدداً وعدة أهل المدينة برزت خيانة يهود بني قريظة بتحالفهم مع المحاصرين وهكذا هم خائنون لكل عهد. وأدى نقض العهد هذا إلى وضع عسكري غاية في الصعوبة في هذا الوقت العصيب جاءت دعوة المنافقين لتثبيط المجاهدين من الأنصار وهم غالبية الجيش بدعوى قومية . وكان المنافقين يطلبون من أقربائهم من الأنصار التخلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته ولقد أوجد ذلك وضعا ضاغطا على المسلمين وأوجد وضعا غاية في الصعوبة والشدة ويكفي دليلا على ذلك قول الله عز وجل : إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) [الأحزاب : 10 ، 11] ، في هذا الزمن الصعب نادى المنافقون أقرباءهم بإسم يثرب . وإسم يثرب هذا كما أوردت الويكيبيديا .

يُثْرِب هو الاسم السابق للمدينة المنورة قبل الهجرة النبوية للرسول سميت يثرب بهذا الاسم نسبة إلى يثرب ابن قايئة بن مهلائيل بن إرم بن عييل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح. لقد دعا المنافقون أقرباءهم من الأنصار للعودة للمدينة وخذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يثرب بحسب التعريف أعلاه هو جد الأوس والخزرج فهما يجتمعان في جد واحد

²²⁰ نظم الدرر ج 15 ص 307

بعبارة أخرى كان المنافقون يقولون لأقربائهم من الأوس والخزرج "يا مواطني المدينة " يا مواطنين بالآصاله لعلكم من هؤلاء المهاجرين الذين جاؤونا مطرودين من قريش لإحداث شرخ قومي في علاقات المسلمين بعضهم مع بعض وقد تكرر نفس الموقف من زعيم المنافقين عبدالله بن ابي سلول في غزوة بني المصطلق وذلك كما ورد في السيرة : قال ابن إسحاق: فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبدالله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال: أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ؟ والله ما أعدنا (بضم الدال المشددة) وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول: " سمن كلبك يأكلك ! " أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، لا ولكن أذن بالرحيل. وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها. فارتحل الناس. وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به. وكان في قومه شريفا عظيما ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل. حدبا على ابن أبي ودفعنا عنه. فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال

: يا رسول الله والله لقد رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح في مثلها ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : أي صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبي قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل . قال : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله إرفق ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا . ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما . وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبدالله بن أبي²²¹ لقد كانت دعوات زعيم المنافقين في غزوة الاحزاب وغزوة المريسيع لتفريق الصف و إضعاف المسلمين مكملين ما بدأه الحبر اليهودي شاس ابن قيس تحت اسم الدفاع عن القبيلة والأرض مستغلا بساطة عدد من الذين آمنوا فيخدعونهم ويبعدوا من خدعهم عن جماعة المسلمين تحت المسميات القومية أو العرقية . وكانت حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إدارة الأحداث مانعة لتصاعد هذه الدعوات . ومبنى ذلك الأخوة الإسلامية المتينة والتي هي أعلى من كنوز الأرض كما أسلفنا سابقا . وهذه الدعوات التي زعمها المنافقون كاذبة والدليل على ذلك أنه عندما جد الجد ودعوا هؤلاء المنافقين للدفاع عن المدينة بإسم القومية تخاذلوا وذلك لقوله تعالى : وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167) [آل عمران : 167] .

وأورد القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية : وَذَهَبَ قَوْمٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو " أَوْ ادْفَعُوا " إِنَّمَا هُوَ اسْتِدْعَاءٌ إِلَى الْقِتَالِ [حَمِيَّةً، لِأَنَّهُ اسْتَدْعَاهُمْ إِلَى الْقِتَالِ] «4» فِي

²²¹ ابن كثير البداية والنهاية بيروت دار ابن كثير ج 4 ص 158

سَبِيلِ اللَّهِ، وَهِيَ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى ذَلِكَ عَرَضَ عَلَيْهِمُ
الْوَجْهَ الَّذِي يَخْشَمُهُمْ وَيَبْعَثُ الْأَنْفَةَ. أَيْ أَوْ قَاتِلُوا دِفَاعًا عَنِ الْحَوْزَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ قُرْمَانَ «5»
قَالَ: وَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُ إِلَّا عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي. وَأَلَا تَرَى أَنَّ بَعْضَ الْأَنْصَارِ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ لَمَّا رَأَى
قُرَيْشًا قَدْ أَرْسَلَتِ الظُّهْرَ «1» فِي زُرُوعِ قَنَاةٍ «2»، أَلَا تَرَى زُرُوعُ بَنِي قَيْلَةَ «3» وَلَمَّا نُصَارِبُ؟
وَالْمَعْنَى إِنْ لَمْ تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَاتِلُوا دَفْعًا عَنْ أَنْفُسِكُمْ وَحَرِيمِكُمْ²²²

والحقيقة أن التفسير أعلاه دقيق في توصيف حالة المنافقين فإنهم دعوا (بضم الدال) إلى القتال
دفاعاً عن أحسابهم كما تفعل العرب إن لم يريدوا أن يقاتلوا في سبيل الله . لكن المنافقين لم
يقاتلوا حتى بدافع قومي أو وطني أو قبلي سمها ما شئت . وكانت تصريحات جوفاء ليس لها
مدلول واقعي حقيقي وقيلت هذه الشعارات القومية والجهوية الكلمات لهدف محدد واضح وهو
خداع بسطاء المسلمين ، لقد تم دعوة المنافقين من قبل الشعار الذي يرفعونه وهو شعار القبلية
والأحساب في معركة أحد قبل الدخول في المعركة لشعور المسلمين بالحاجة لحشد الطاقات
في مواجهة هجمة شرسة ولا بأس من أن يوظف المسلمون مثل هذه الدعوات القومية لخدمة
أهداف إسلامية وليس العكس ففي الطريق لتثبيت حكم الإسلام فهناك من لم يثبت الدين في
قلوبهم كما الراسخون في العلم فلا بأس من توظيف طاقاتهم ويكون مع المسير نشرًا للعلم
والدين . وخداع المنافقين مما أثبتته تعالى في كتابه في قوله تعالى : يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) [البقرة : 9] ، وها نحن نرى أقواما ملئوا الدنيا
تصريحات عنصرية بإسم القومية العربية ولم يقاتلوا ولم يدفعوا عن "قوميتهم العربية" . كأنما
القرآن يتحدث عن واقع عربي معاصر ، لقد تم خداع الآلاف من الثوار العرب ليصبحوا خنجرًا
مسموماً في جسم الخلافة العثمانية التي رفضت بيع فلسطين مقابل الإغراءات المالية الضخمة
، وأورد الشيخ عبدالله عزام في كتابه "حماس جذور تاريخية وميثاق" يقول لورنس - ملك

²²² القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" دار الكتب العلمية بيروت ج4 ص 171

الصحراء العربية ، ضابط المخابرات البريطانية الذي قاد الثورة العربية ضد تركيا : (إنني جد فخور أنني في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق الدم الإنجليزي ، لأن دم إنجليزي واحد أحب إليّ من جميع الشعوب التي نحكمها و لم تكلفنا الثورة العربية سوى عشرة ملايين دينار)²²³ ثم خدع المسلمون مرة أخرى في حرب النكبة سنة 1948 حيث كان حجم الجيوش العربية هزيل بالمقارنة مع جيش يهود فلقد أورد د محسن محمد صالح في كتابه "دراسات منهجية في القضية الفلسطينية" واضعا جدولاً لأعداد القوات العربية والإسرائيلية في المراحل المختلفة التي خاضت الحرب كما يلي :

القوات العربية بالآلاف	القوات اليهودية بالآلاف	
12	60	مرحلة ما قبل دخول الجيوش العربية (ديسمبر 47- مايو 1948)
21	67	المرحلة الأولى من القتال (عند دخول الجيوش العربية)
40	106	المرحلة الثانية من القتال (عند نهايات الحرب)

أما القوات العربية النظامية فكانت تتكون من جيوش سبعة دول²²⁴ دول وحكومات عربية عديدة أشبعتنا تصريحات عنصرية بلا مضمون وكأنما يصف القرآن الواقع الذي نعيشه مع يهود

²²³ د عبدالله عزّام حماس الجذور التاريخية والميثاق طبعة خاصة بالندوة العالمية للشباب الإسلامي في

ص23

²²⁴ دراسات منهجية في القضية الفلسطينية د محسن محمد صالح طباعة "مركز الإعلام العربي " الطبعة الأولى 2003

بكل دقة حيث قال تعالى في سورة الإسراء : ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) [الإسراء : 6] ، وقال البقاعي رحمه الله في كتابه نظم الدرر

(نفيرا) أي ناسا ينفرون معكم إذا إستفترتموهم للقتال ونحوه من المهمات ²²⁵ وهذه معجزة للقرآن الكريم عجيبة والله أن يتحدث القرآن عن أن جنود المسلمين المستفترين للقتال أقل من جنود يهود المستفترين وهذه الجنود تقاتل تحت راية جامعة الدول العربية مستثنية المسلمين من المعركة إن منهج يهود في تفتيت المسلمين لم يقتصر على ذلك بل إنتقل يهود إلى تفتيت الدول الإسلامية من الداخل تحت نفس الشعار القبلية أو الجهوية سمها ما شئت ففي محاضرة لوزير الأمن الإسرائيلي أفي ديخترنحن نقود خراب السودان إن إسرائيل لا تدير الأمر الفلسطيني وحده ، بل تدير الساحات في دول اخرى من بينها السودان وقال إن إسرائيل تعمل على الخيار العسكري أولا ثم توظيف الإثنية في السودان وإستخدام جماعات لديها إستعداد للتعاون مع إسرائيل مقابل تطلعاتها للوصول إلى السلطة ، ثم العودة لإقامة تحالفات مع دول المنطقة على غرار ما قام به ديفيد بن غوريون منتصف الخمسينات مع تركيا و إيران وأثيوبيا في نطاق سياسة شد الأطراف أي شل قدرات أقطار مثل العراق والسودان حتى لا تستخدم مواردها وطاقاتها في المواجهة ضد إسرائيل ، وعن السودان قال ديختر في محاضرتة : لماذا نعطي السودان كل هذا القدر من الاهمية ليقول ديختر (أود أن أنهي تناولي المحور السوداني بالتأكيد ان إستراتيجيتنا التي ترجمت على الأرض في جنوب السودان سابقا وفي دارفور حاليا إستطاعت ان تغير مجرى الأوضاع في السودان نحو التآزم والتدهور والإنقسام بحيث أصبح مستحيلا الآن الحديث عن تحول السودان إلى دولة كبرى أو موحدة ²²⁶ وفي الوقت الذي كان الإستعمار يدفعنا دفعا لتبني الفكر القومي متجاهلين تعليمات ديننا كان

²²⁵ نظم الدرر ج11 ص 311

²²⁶ [Http://www>alzoa.com/docview>phpcon=32docId=21022](http://www>alzoa.com/docview>phpcon=32docId=21022)

المستعمرون يعبرون بأشد العبارات عن أطماعهم الصليبية الحاقدة ودخل النبي القدس في 1917/11/9 و اطلق كلمته المدوية التي تعبر عن الحقد العميق الآن إنتهت الحروب الصليبية ²²⁷ في الوقت الذي ملأ حزب تركيا الفتاة طنطنة و جعجة بحب وتمجيد تركيا كان قائده أتاتورك يتواطأ سرا مع الإنجليز لتسليم الجيوش التركية لتقع بأسر القوات الإنجليزية وهو ما فعله العرب في فلسطين ففي حين كانت الإذاعات العربية تملأ الدنيا صياحا كانت فلسطين تن من وقع الخيانة وهو نفس موقف عبدالله بن أبي سلول حين انسحب بقواته من معركة أحد ، اورد الشيخ عبدالله عزام رحمه الله في كتابه "حماس الجذور التاريخية والميثاق " ، واما على الجبهة المصرية فحدث ولا حرج وأحيلك إلى كتاب (تحطمت الطائرات عند الفجر) لباروخ نادل اليهودي الذي بقي مستشارا لقيادة الأركان الجوية المصرية مدة أربعة عشر عاما سنة 1953م -1967 ورتب حفلة ساهرة ليلة الخامس من حزيران سنة 1967 حضرها أربعمئة طيار وبعد الثانية ليلا قسم الضباط إلى قسمين الضباط الذكور وسماهم الميج المصري والضباط الاناث وسماهن الميراج الإسرائيلي ويكمل باروخ القصة ... و يغرق الجميع في الدن والراح ومستنقع الجنس الآسن ولا ينصرفون إلا بعد الرابعة فجرا ، يقول باروخ نادل : وما غادرت سماء القاهرة إلا وقد رأيت الدخان يغطي سماءها من المطارات المحترقة التي أغارت عليها الطائرات الإسرائيلية الساعة الخامسة صباحا ²²⁸ .

الخلاصة : إن يهود و المنافقين من ورائهم تآمروا على أمة الإسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . بحيث كانت دعواتهم لتفريق صف المسلمين وعند اللحظة الحرجة والذي يطلب فيها جهادهم كانوا يخذلون المسلمين بل ويتآمروا على أمة الإسلام قديما وحديثا

²²⁷ المرجع السابق ص23

²²⁸ الشيخ عبدالله عزام "حماس جذور تاريخية وميثاق " طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي " ص 47

والله أفشل كيد يهود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيكون الفشل نهاية مؤامرات يهود في عصرنا الحالي وها نحن نرى تركيا تعود للإسلام شيئاً فشيئاً والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

المبحث الثاني

مكانة سورة البقرة في السيرة النبوية وإهتمام الصحابة بسورة البقرة

المطلب الأول: وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا:

السؤال الآن ما السبيل لمقاومة كل هذه المؤامرات والتي سردناها آنفاً وعودة الأمة الإسلامية إلى سابق عهدها وعزتها . قلت سابقاً إن كتاب الله القرآن الكريم بين أيدينا محفوظ بحفظ الله وبه كل جواب لكل سؤال كما أسلفنا سابقاً ، أقول والله أعلم إن كتاب الله يحتاج إلى علماء يفهمونه وينقلون هذا الفهم إلى أمة الإسلام ، إن السبيل هو صناعة القادة الربانيين بكتاب الله عز وجل و في هذا المبحث سيكون الحديث عن صناعة القادة الربانيين . وهي أخطر المهمات في الإستخلاف وقلنا في مطالب سابقة أن سورة البقرة تعنى بقضية الإستخلاف . وقد ذكرنا ذلك في أسماء سورة البقرة . لكن السؤال ما علاقة صناعة القادة الربانيين مع قصة البقرة نفسها ؟ الجواب : ولا أدل على ذلك من أن سيدنا موسى عليه السلام كان المرجع لحل خلاف نشب بين بني إسرائيل . وعليه فإن صناعة القادة وهم الأئمة من أهم ميزات قصة البقرة ، روت كتب السيرة والحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرك هو وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما شيخاً الإسلام ، وكانت صحبة أبو بكر منصوص عليها بالقرآن والسنة كما يلي : قال تعالى في سورة التوبة : **إِلَّا تَتُوبُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ**

تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) [التوبة : 40] .

وقال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية ما يلي:

السادسة - قوله تعالى: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) هذه الآية تضمنت فضائل الصديق رضي الله عنه. روى أصبغ وأبو زيد عن ابن القاسم عن مالك " ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " هو الصديق. فحقق الله تعالى قوله له بكلامه ووصف الصحبة في كتابه. قال بعض العلماء: من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب مبتدع. ومن أنكر أن يكون أبو بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر، لأنه رد نص القرآن. ومعنى " إن الله معنا " أي بالنصر والرعاية والحفظ والكلاءة.

روى الترمذي والحاثر بن أبي أسامة قالا: حدثنا عفان قال حدثنا همام قال أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال المحاسبي: يعني معهما بالنصر والدفاع، لا على معنى ما عم به الخلائق، فقال: " ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم " (1) [المجادلة: 7] فمعناه العموم أنه يسمع ويرى من الكفار والمؤمنين.

السابعة - قال ابن العربي: قالت الإمامية قبحها الله: حزن أبي بكر في الغار دليل على جهله ونقصه وضعف قلبه وخرقه (2) وأجاب علمائنا عن ذلك بأن إضافة الحزن إليه ليس بنقص، كما لم ينقص إبراهيم حين قال عنه: " نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف " (3) [هود: 70] ولم ينقص موسى قوله: " فأوجس في نفسه خيفة موسى. قلنا لا تخف " (4) [طه 67،

68] وفي لوط: " ولا تحزن إنا منجوك وأهلك " (5) [العنكبوت: 33] ، فهؤلاء العظماء صلوات الله عليهم قد وجدت عندهم التقية نصا ولم يكن ذلك طعنا عليهم ووصفا لهم بالنقص، وكذلك في أبي بكر ثم هي عند الصديق احتمال، فإنه قال: لو أن أحد هم نظر تحت قدميه لا بصرنا.

جواب ثان - إن حزن الصديق إنما كان خوفا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يصل إليه ضرر،

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت معصوما وإنما نزل عليه " والله يعصمك من الناس " (1) [المائدة: 67] بالمدينة [(2)] .

الثامنة - قال ابن العربي: قال لنا أبو الفضائل العدل (3) قال لنا جمال الاسلام أبو القاسم قال موسى صلى الله عليه وسلم: " كلا إن معي ربي سيهدين " (4) [الشعراء: 62] وقال في محمد صلى الله عليه وسلم: " لا تحزن إن الله معنا " لا جرم لما كان الله مع موسى وحده ارتد أصحابه بعده، فرجع من عند ربه ووجد هم يعبدون العجل. ولما قال في محمد صلى الله عليه وسلم " لا تحزن إن الله معنا " بقي أبو بكر مهتديا موحدا عالما جازما قائما بالامر ولم يتطرق إليه اختلال.

التاسعة - خرج الترمذي من حديث نبيط بن شريط عن سالم بن عبيد - له صحبة - قال: أغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث وفيه: واجتمع المهاجرون يتشاورون فقالوا: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الانصار ندخلهم معنا في هذا الامر. فقالت الانصار: منا أمير ومنكم أمير فقال عمر رضي الله عنه: من له مثل هذه الثلاث " ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا " من " هما " ؟ قال: ثم بسط يده فبايعه وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة. قلت: ولهذا قال بعض العلماء: في قوله تعالى: " ثاني اثنين إذ هما

في الغار " ما يدل على أن الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق [رضي الله عنه] (5)، لان الخليفة لا يكون أبدا إلا ثانيا وسمعت شيخنا الامام أبا العباس أحمد بن عمر يقول: إنما استحق الصديق أن يقال له ثاني اثنين لقيامه بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر، كقيام النبي صلى الله عليه وسلم به أولا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات إرتدت العرب كلها، ولم يبق الإسلام إلا بالمدينة ومكة وجواثا (6)، فقام أبو بكر يدعو الناس إلى الاسلام ويقاثلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فاستحق من هذه الجهة أن يقال في حقه ثاني اثنين قلت - وقد جاء في السنة أحاديث صحيحة، يدل ظاهرها على أنه الخليفة بعده، وقد إنعقد الاجماع على ذلك ولم يبق منهم مخالف والقادح في خلافته مقطوع بخطئه وتفسيقه وهل يكفر أم لا، يختلف فيه، والظاهر تكفيرهوالذي يقطع به من الكتاب والسنة وأقوال علماء الامة ويجب أن تؤمن به القلوب و الافئدة فضل الصديق على جميع الصحابة.

ولا مبالاة بأقوال أهل الشيع ولا أهل البدع، فإنهم بين مكفر تضرب رقبتة ، وبين مبتدع مفسق لا تقبل كلمته ثم بعد الصديق عمر الفاروق، ثم بعده عثمان روى البخاري عن ابن عمر قال: كنا نخير بين الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان

العاشرة - قوله تعالى: (فأنزل الله سكينته عليه) فيه قولان : أحدهما : على النبي صلى الله عليه وسلم والثاني: على أبي بكر ابن العربي: قال علماؤنا وهو الأقوى ، لأنه خاف على النبي صلى الله عليه وسلم من القوم فأنزل الله سكينته عليه بتأمين النبي صلى الله عليه وسلم، فسكن جأشه وذهب روعه وحصل الأمن وأنبت الله سبحانه ثمامة، (4) وألهم الوكر هناك حمامة وأرسل (5) العنكبوت فنسجت بيتا عليه فما أضعف هذه الجنود في ظاهر الحس وما أقواها

في باطن المعنى ! ولهذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر حين تغامر (6) مع الصديق : (هل أنتم تاركو لي صاحبي إن الناس كلهم قالوا كذبت وقال أبو بكر صدقت) رواه أبو الدرداء ²²⁹ ،

ولقد إستطردت في شرح فضائل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه لوجود هجوم ظالم عليه رضي الله عنه من نفر لم يفهموا الإسلام حق فهمه بل كان أبي بكر الصديق هو المتفهم لكتاب الله عز وجل وسكن الصحابة عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كما أورد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية حيث قال رحمه الله

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ. فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ. فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} [آل عمران: 144] الآية. قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَانَ النَّاسُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ، حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا سَمِعَ بَشَرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ، فَعَزَزْتُ حَتَّى مَا تُقْلِنِي رِجْلَايَ، وَحَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَرَفْتُ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيْرٍ بِهِ. ²³⁰ لقد ثبت أبو بكر الصديق الامة بفهمه للآية "وما محمد إلا رسول..." الآية فكان رضي الله عنه إمام يهدي المسلمين وكما مر معنا في مطلب

²²⁹ القرطبي ج 8 ص 127 طبعة المكتبة الوقفية

ابن كثير البداية والنهاية دار ابن كثير بيروت ج 5 ص 242 ²³⁰

الشورى والديمقراطية حيث أرسى أسس الخلافة والتي قبلها المسلمون بطيب نفس بعد إقناعه رضي الله عنهم أجمعين

، أقول إن رأس الإسلام هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني القادة العظام هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه ولا يعتد بقول الرافضة لما أورده القرطبي أعلاه فلا داعي للتكرار. لكن أبوبكر رضي الله عنه أسس قواعد الحكم الراشد و أسس قواعد التعامل مع المرتدين وأرسل جيوش المسلمين للفتح فكان بناء هذا الخليفة الرباني هدف لرسول الله صلى الله عليه وسلم . لكن بيت القصيد وهو عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده أبوبكر الصديق رضي الله عنهما إنتهج عمر بن الخطاب منهاجا في بنائه الذاتي كتعبئة لإمام أمة الإسلام من تفسير سورة البقرة²³¹.

مالك بن أنس - رحمه الله - قال: «بلغني: أن ابن عمر مكث على سورة البقرة ثمانين سنين يتعلمها». أخرجه الموطأ ، وروى القرطبي في كتابه : وهذه السورة فضلها عظيم وثوابها جسيم: ويقال لها : فسطاط القرآن قاله خالد بن معدان . وذلك لعظمها وبهائها ، وكثرة أحكامها ومواعظها . وتعلمها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفقها وما تحتوي عليه في اثنتي عشر سنة ، وإبنه عبدالله في ثمان سنين كما تقدم²³² .

²³¹ جامع الأصول (8 / 17)

205 / 1 (1) في القرآن بلاغاً، باب ما جاء في سجود القرآن، وإسناده منقطع، قال الزرقاني في " شرح الموطأ " : وهذا البلاغ أخرجه ابن سعد في " الطبقات " عن أبي المليح عن ميمون أن ابن عمر تعلم البقرة في ثمانين سنين.

[تعليق أيمن صالح شعبان - ط دار الكتب العلمية]

أخرجه مالك (الموطأ) (480) بلاغاً، فذكره.

وقال الزرقاني في «شرح الموطأ» (27/2) : وهذا البلاغ أخرجه ابن سعد في الطبقات عن عبد الله بن جعفر بن أبي المليح عن ميمون أن ابن عمر تعلم البقرة في ثمان سنين وأخرج الخطيب في رواية مالك عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا.

²³² القرطبي ج 1 ص 160 طبعة المكتبة الوقفية

أقول لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرشياً فالقرآن نزل بلغة قریش وهو معاصر للرسول صلى الله عليه وسلم ولسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فهو ملم بأحداث السيرة أي بأسباب النزول فما الذي كان يدرسه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . لقد كان يتدبر القرآن ويرى مآلات الآيات وهذا هو ما نحن مأمورين به . للحفاظ على حيوية الإسلام في تغيير الواقع ومواجهة الفتن وهذا ما قصده القرطبي رحمه الله حين أورد "وتعلمها عمر بفقهها وما تحتوي عليه" والفقه كما قال الراغب في كتابه المفردات في غريب القرآن هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم²³³ وهذا ما عنيته أن يكون الهم في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم بحيث يتم تنزيل الآيات في الواقع العملي للأمة الإسلامية وهذا هو تثوير القرآن الكريم ، أورد الشيخ الشعراوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ} [النساء: 82]. أي: أفلا يبحثون عن الكنوز الموجودة في المعطيات الخفية للقرآن. والتدبر هو الذي يكشف المعاني الخفية خلف ظواهر الآيات، والناس يتفاضلون في تعرضهم لأسرار كتاب الله حين ينظرون خلف ظواهر المعاني. ولذلك نجد عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «تَوَرَّوا الْقُرْآنَ» أي: قَلَّبُوا معاني الآيات لتجدوا ما فيها من كنوز، ولا تأخذوا الآيات بظواهرها، فعجائب القرآن لا تنقضي²³⁴. ولقد وضع سيدنا أبي بكر الصديق هذا المنهج وهو التلقي من القرآن الكريم وتوجيه الأمة بذلك في خطبته التي أوردتها الحافظ أبي نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء²³⁵ ، خطبنا أبوبكر رضي الله تعالى عنه فقال : أما بعد فإنني أوصيكم بتقوى الله ، وأن تتنوا عليه بما هو له أهل ، وإن

²³³ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 385 دار المعرفة بيروت الطبعة الاولى 1998

²³⁴ تفسير الشعراوي ج 11 ص 6445 م.ش.

²³⁵ قال الحافظ السلفي : لم يصنف مثل "كتاب حلية الأولياء" قلت وهو اكبر موسوعة في تاريخ نساك

هذه الأمة وزهاها ويشتمل على زهاء (800) ثمانمائة ترجمة في (4000) أربعة آلاف صفحة مقسمة

إبتدأها المصنف بعد نعتهم بسيدنا أبي بكر الصديق ثم باقي العشرة المبشرة ثم من دناهم من زهاد

الصحابه ثم أهل الصفة ثم التابعين وتابعيهم إلى عصره

تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ، فإن الله تعالى أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا، وكانوا لنا خاشعين) ثم إعلموا عباد الله ! إن الله تعالى قد إرتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم ، وإشترى منكم القليل الفاني ، بالكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تغنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره ، فصدقوا قوله ، وإنتصحو كتابه ، وإستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنما خلقكم للعبادة²³⁶ وعليه فقد كان سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتدبر آيات سورة البقرة. ولاحظ ان تدبره للآيات قد إستغرق إثني عشر سنة وفي رواية ثمانية سنوات ومدة خلافته رضي الله عنه ثلاثة عشر سنة أي أن تدبر سورة البقرة كان تربية ذاتية من عمر بن الخطاب لنفسه وهو أمير المؤمنين لدولة قهرت أكبر دولتين في العالم الروم والفرس . في حين أننا نجد مسؤولين في مناصب تكاد لا يسمع بهم أحد يتذرع بعدم وجود الوقت الكافي لمراجعة القرآن وتدبر معانيه فلا حول ولا قوة إلا بالله.

أقول هذه التربية الذاتية في تدبر سورة البقرة سورة الجماعة كما أسلفنا يعطينا رؤية لطبيعة المعركة وضرورة الحفاظ عليها وسورة البقرة هادية لنا في هذا المضمار وذروة مفاهيم سورة البقرة إتضحت بقصة البقرة التي سنشرحها لاحقا إن شاء الله . لكن ما يعنينا في هذا المطالب هو صناعة القادة الربانيين من كتاب الله عز وجل بمعجزة الأمة التي يتم إحيائها بكتاب الله متجاوزة معجزة بني إسرائيل حيث أحيوا ميتا بضربه بعظام بقرة ذبحت وإن الإشارة إلى دلائل صناعة القادة العظام من كتاب الله عز وجل كثيرة وكثيرة جدا ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى : مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)

²³⁶ الحافظ أبي نعيم الأصبهاني "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة 1980 ج 1 ص 35

[آل عمران : 79] ، وقال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية : والربانيون واحد هم رباني منسوب إلى الربّ . والربّاني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور روي معناه عن ابن عباس . قال بعضهم : كان في الأصل ربّي فأدخلت الألف والنون للمبالغة كما يقال للعظيم اللحية لحياني ولغليظ الرقبة رقباني . وقال المبرّد : الربانيون أرباب العلم ، واحد هم ربّان ، من قولهم : ربّه يربّه فهو ربّان إذا دبّره وأصلحه فمعناه على هذا يدبّرون أمور الناس ويصلحونها . والألف والنون للمبالغة كما قالوا ربّان وعطشان ، ثم ضمت إليها ياء النسبة كما قيل : لحيّاني ورقبانيّ وجمّاني . قال الشاعر :

لو كنت مرتّهنّا في الجو أنزلني منه الحديث وربّاني أحباري

فمعنى الربّاني العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم، وقد تقدم هذا المعنى في البقرة : وقال أبو رزين : الربّاني هو العالم الحكيم . وروى شعبة عن عاصم عن زرّ عن عبد الله بن مسعود (ولكن كونوا ربانيين) قال حكماء علماء . ابن جبير : حكماء أتقياء . وقال الضحاك : لا ينبغي لأحد ان يدع حفظ القرآن جهده فإن الله تعالى يقول : (ولكن كونوا ربانيين) . وقال ابن زيد : الربّانيون الولاة ، والأحبار العلماء . والربانيّ الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة مأخوذ من قول العرب : ربّ أمر الناس يربّه إذا أصلحه وقام به ، فهو ربّ وربّانيّ على التكثر . قال أبو عبيدة : سمعت عالما يقول : الربانيّ العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي ، العارف بأبناء الأمة وما كان وما يكون . وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس : اليوم مات رباني هذه الأمة . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : "ما من مؤمن

ذكر ولا أنثى حرّ ولا مملوك إلا والله عليه حقّ أن يتعلم من القرآن ويتفقه في دينه - ثم تلا هذه الآية - ولكن كونوا ربانيين الآية رواه ابن عباس ^{237 238}

أقول وبالله التوفيق أن العالم الرباني هو الملم بأمر السياسة وهذا ما ذكره القرطبي آنفا وذكر من ذلك أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كان عالما ربانيا وقد أثبتت وقائع التاريخ صدق هذا التأويل للقرطبي رحمه الله وذلك في قصة خروج الحسين بن علي رضي الله عنه إلى الكوفة فلقد أورد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ما يلي : وَرَوَى أَبُو مَخْنَفٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ الْوَالِبِيِّ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ . أَنَّ حُسَيْنًا لَمَّا أَجْمَعَ الْمَسِيرَ إِلَى الْكُوفَةِ أَتَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَمِّ إِنَّهُ قَدْ أَرْجَفَ النَّاسُ أَنَّكَ سَائِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَبَيِّنْ لِي مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ أَجْمَعْتُ الْمَسِيرَ فِي أَحَدِ يَوْمَيَّ هَذَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَخْبِرْنِي إِنْ كَانَ قَدْ دَعَاكَ بَعْدَ مَا قَتَلُوا أَمِيرَهُمْ وَنَفَقُوا عَدُوَّهُمْ وَضَبَطُوا بِلَادَهُمْ فَسِرْ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانَ أَمِيرُهُمْ حَيًّا وَهُوَ مَقِيمٌ عَلَيْهِمْ ، قَاهِرٌ لَهُمْ ، وَعُمَلُهُ تَجَبَّى بِلَادَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا دَعَاكَ لِلْفِتْنَةِ وَالْقِتَالِ ، وَلَا أَمِنْ عَلَيْكَ أَنْ يَسْتَفْزُوا عَلَيْكَ النَّاسَ وَيَقْلِبُوا قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ ، فَيَكُونُ الَّذِي دَعَاكَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْكَ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : إِنِّي أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ . فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْهُ ²³⁹ ، ولما ورد كتاب مسلم بن عقیل على الحسين عليه السلام : (أن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل، فاقدم، فإن جميع الناس معك، ولا رأي لهم في آل أبي سفيان فلما عزم على الخروج، وأخذ في الجهاز بلغ ذلك عبد الله بن عباس، فأقبل حتى دخل على الحسين، رضي الله عنه، فقال: يا ابن عم، قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق. قال الحسين: أنا على ذلك. قال بد من المسير. قال له عبد الله: أُنسِر إلى قوم طردوا أميرهم عنهم، وضبطوا بلادهم ؟

²³⁷ ذكره السيوطي في الدر المنثور (79/2) ، وقال رواه الحاكم وعبد بن حميد عن الضحاك من قوله ،

والكلبي متروك متهم

²³⁸ القرطبي ج4 ص 108 المكتبة الوقفية

²³⁹ ابن كثير "البداية والنهاية" طبعة دار الفكر ج8 ص 160

فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما يدعونك إليهم، وأميرهم عليهم، وعماله يجبونهم، فإنهم إنما يدعونك إلى الحرب، ولا آمنهم أن يخذلوك كما خذلوا أباك وأخاك. قال الحسين يا بن عم، سأنظر فيما قلت وبلغ عبد الله بن الزبير ما يهم به الحسين، فأقبل حتى دخل عليه، فقال له: لو أقمت بهذا الحرم، وبثت رسلك في البلدان، وكتبت إلى شيعتك بالعراق أن يقدموا عليك، فإذا قوي أمرك نفيت عمال يزيد عن هذا البلد، وعلي لك المكانة والمؤازرة، وإن عملت بمشورتي طلبت هذا الأمر بهذا الحرم، فإنه مجمع أهل الآفاق، ومورد أهل الأقطار لم يعدمك بإذن الله إدراك ما تريد، ورجوت أن تتأله. قالوا: ولما كان في اليوم الثالث عاد عبد الله بن عباس إلى الحسين، فقال له: - يا بن عم لا تقرب أهل الكوفة، فإنهم قوم غدر، وأقم بهذه البلدة، فإنك سيد أهلها، فإن أبييت فسر إلى أرض اليمن، فإن بها حصونا وشعابا، وهي أرض طويلة عريضة، ولأبيك فيها شيعة، فتكون عن الناس في عزلة، وتبث دعائك في الآفاق، فإني أرجو إن فعلت ذلك أتك الذي تحب في عافية قال الحسين عليه السلام: يا بن عم، والله إني لأعلم أنك ناصح مشفق، غير أنني قد عزمت على الخروج. قال ابن عباس: فإن كنت لا محالة سائرا، فلا تخرج النساء والصبيان، فإني لا آمن أن تقتل كما قتل ابن عفان، وصبيته ينظرون إليه. قال الحسين: عم، ما أرى إلا الخروج بالأهل والولد. فخرج ابن عباس من عند الحسين فمر بابن الزبير، وهو جالس، فقال له: قرت عينك يا بن الزبير بخروج الحسين. ثم تمثل خالك الجو، فبيضي واصفري ونقري، ما شئت أن تنقري ثم قال ابن عباس: هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز²⁴⁰.

مما سبق وجدنا ان العالم الرباني عبدالله بن عباس رضي الله عنه قد قدم النصيح السديد للحسين بن علي رضي الله عنهما وهنا بيت القصيد فيما أوردناه فإن مدارس كتاب الله وتدريسه يورث دراية بالسياسة ولذلك كانت مدارس عمر بن الخطاب رضي الله عنه إثنتي عشر سنة لسورة

²⁴⁰ ابن كثير البداية والنهاية ط دار ابن كثير بيروت لبنان ج 8 ص 160

البقرة لأنه السياسي المسؤول الأول في الدولة الإسلامية وكانت مدارسته أن "فقهها" وهو ما أشار الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن وهو أن الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم . فقد توصل رباني هذه الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بحال ما سيؤول إليه الحسين بن علي رضي الله عنهما حين خروجه للكوفة كما وتوقع رضي الله عنه بخروج ابن الزبير رضي الله عنها في الحجاز وبهذا نخلص أن العالم الرباني في كتاب الله هو من يحيي الأمة بكتاب الله ويسوسها إلى خير ما تريده متجنباً الفتن والمواقع التي تؤخر النصر وهي الفكرة الأساس في قصة البقرة وهي أن تحيي الأمة وتبطل مكر الماكرين والله أعلم .

المطلب الثاني: يا أصحاب سورة البقرة:

تحدثنا في المطلب السابق عن صناعة القادة الربانيين والسؤال ما هو المنهج الذي نسير عليه لإحياء الأمة لمواجهة المؤامرات معا . أقول والله أعلم إن المنهج المطلوب موجود في سورة البقرة والتي لا يستطيعها البطل (وهم السحرة كما أسلفنا) ولقد أورد صاحب السيرة الحلبية فقال : يا عباس اصرخ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة» يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان. وفي لفظ: «يا عباس اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، وبالأنصار الذين آووا ونصروا» أي وإنما خص العباس بذلك، لأنه كان عظيم الصوت، كان صوته يسمع من ثمانية أميال، كان يقف على سلع وينادي غلمانه آخر الليل وهم بالغابة فيسمعهم، وبين سلع والغابة ثمانية أميال²⁴¹.

وغارت الخيل يوماً على المدينة، فنادى: واصباحاه فلم تسمعه حامل إلا وضعت من عظم صوته. وفي لفظ آخر: نادى يا أصحاب السمرة يوم الحديبية، يا أصحاب سورة البقرة، أي

²⁴¹ نور الدين علي بن برهان الحلبي – السيرة الحلبية دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 2006م

وخص سورة البقرة بالذكر ، لأنها أول سورة نزلت في المدينة، لأن فيها {كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله} وفيها: {وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم} وفيها: {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله}. وفي لفظ: نادى: «يا أنصار الله وأنصار رسوله، يا بني الخزرج. خصهم بالذكر بعد التعميم لأنهم كانوا صبراً في الحرب. أو غلب فأجابوا لبيك لبيك. وفي لفظ: يا لبيك يا لبيك.» أي وفي البخاري: «لما أدبروا عنه حتى بقي وحده، فنادى يومئذ نداءين التفت عن يمينه، فقال: يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله، أبشر نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك²⁴² ، وأورد ابن كثير رواية مشابهة لتلك التي أوردها صاحب السيرة الحلبية حين قال رحمه الله .

ونادى أصحابه وزمرهم: " يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكرة على نبيكم " ويقال حرصهم فقال: " يا أنصار الله وأنصار رسوله، يا بني الخزرج يا أصحاب سورة البقرة " وأمر من أصحابه من ينادى بذلك²⁴³.».

ومما ذكرناه سابقا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر الأنصار بأنهم أصحاب سورة البقرة وذلك إستنهاضا لهمتهم وقد كان بفضل الله عز وجل وقد تحول الفرار إلى كرة على أعداء الله وتغير ميزان المعركة بعد ذلك . لقد أنشأ هذا التذكير همة في نفوس الأنصار فإنتفضوا لأداء المهمة المطلوبة منهم . فالوسيلة لإستنهاض أمة الإسلام في وقت الشدة كان التذكير بسورة البقرة . ولجوء الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه السورة تكفي شهادة بعض معانيها ولقد حدد مؤلف السيرة الحلبية أسباب ذلك بالآيات التالية : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) [البقرة : 40 ، 41] ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

²⁴² نور الدين علي بن برهان الحلبي السيرة الحلبية دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 2006م ج3

ص 155

²⁴³ ابن كثير البداية والنهاية المكتبة التوفيقية مصر ج3 ص 449

يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (207) [البقرة: 207] ، فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) [البقرة: 249] .

ولقد أعدت ترتيب الآيات التي أوردها مؤلف السيرة الحلبية وذلك بشرحها وذلك لأنني مما إستفدت من قراءاتي لتفسير القرآن أن الآيات التي يجب الإستشهاد بها يجب أن تكون مرتبة طبقاً لترتيبها في القرآن الكريم في الموضوع الواحد وذلك أن الإمام البقاعي رحمه الله وصف القرآن الكريم في كتابه "نظم الدرر في ترتيب الآيات والسور" فإعتبر رحمه الله أن الآيات مرتبة بحسب معانيها وهي كذلك وقد إستغرق ذلك القرآن كله والله أعلم .

ولقد ورد وصف سورة البقرة بالقول الثقيل كما أورد القرطبي رحمه الله في كتابه الجامع لأحكام القرآن كما يلي :

وقيل: إن الله تبارك وتعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم بمكة: " إنا سنلقي عليك (1) قولاً ثقيلاً " لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مستشرفاً لانجاز هذا الوعد من ربه عز و جل، فلما أنزل عليه بالمدينة: " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه " [البقرة: 1 - 2] كان فيه معنى هذا القرآن الذي أنزلته عليك بالمدينة، ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك بمكة²⁴⁴

ما أهمية أن القول "ثقيل" وقد كان أن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياً قبل سورة البقرة أقول والله أعلم إن الآيات والسور التي سبقت سورة البقرة كانت تهياً للأرضية لهذه السورة العظيمة ولذا قال تعالى " سنلقي " بالمستقبل ، أقول والله أعلم إن الكلام يتفاوت وزنه بحسب

²⁴⁴ الإمام القرطبي الجامع لأحكام القرآن المكتبة التوفيقية مصر ج1 ص 166

معناه وذلك لقول الله عز وجل يصف نزول القرآن الكريم بما يلي : أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17) [الرعد : 17]

قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : ولما كان حمل الماء في العلو لا يمكن إلا عن قهر ، وإنزاله في وقت دون غيره كذلك ، أتبع هذا الختم قوله دليلاً مشاهداً عليه : (أنزل) ولما كان الإنزال قد يتجاوز به عن إيجاد ما يعظم إيجاده ، حقق أمره بقوله : (من السماء) ولما كان المنزل منها أنواعاً شتى قال : (ماء فسالت) أي فتسبب عن إنزاله لكثرت أن سألت (أودية) أي مياهها منها الكبير والصغير ؛ والوادي : سفح الجبل العظيم الذي يقابله جبل أو تل فيجمع فيه المطر ، فيجري في فضائه ، ومنه أخذت الدية - لجمع المال العظيم الذي يؤدي عن القتل (بقدرها) والقدر : إتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان ، فالمعنى أن المياه ملأت الأودية مع ما في ذلك من الدلالة على التفرد بالربوبية مما هو مثال للحق والباطل ، وهو قوله : (فاحتمل) والإحتمال : رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له (السيل) وهو ماء المطر الجاري من الوادي بعظم (زبداً رابياً) أي عالياً بانتفاخه : والزبد : الرغبة التي تعلو الماء ، ومدار المادة على الخفة ، ويلزمها العلو ، ومنه زبد البحر والبعير - للرغبة الخارجة من شذقه ، ولما نبه بهذا الفصل على علو رتبه هذا المثل ، شرع في شرحه ، فقال مبتدئاً بما هو الأهم في هذا المقام ، وهو إبطال الباطل الذي أضلهم ، وهو في تقسيمه على طريق النشر المشوش ، فقال : (فأما الزبد) أي الذي هو مثل للباطل المطلق (فيذهب) متعلقاً بالأشجار وجوانب الأودية لأنه يطفو بخفته ويلقى بالأشياء الكثيفة بكثافته (جفاء) قال أبو حيان : أي مضمحلاً متلاشياً لا منفعة فيه لا بقاء له ؛ وقال ابن الأنباري : متفرقاً ، من جفأت الريح الغيم - إذا قطعت ، وجفأت الرجل : صرعت - انتهى.

فهذا مثل الباطل من الشكوك والشبه وما أثاره أهل العناد ، لا بقاء له وإن جال جولة - يمتحن الله بها عباده ليظهر الثابت من المزلزل - ثم ينمحق سريعاً ؛ وقال الرمانى : والجفاء : بنو مكان الشيء به حتى يهلك (وأما ما ينفع الناس) من الماء والفلز الذي هو مثل الحق (فيمكث في الأرض) ينتفع الناس بالماء الذي به حياة كل شيء ، والفلز الذي به التمام ، فالماء والمعدن مثل القرآن لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع كما أن الماء يحيى الأراضي الميتة ، والمعادن تحيي موات العيش وتنظم المعاملات المقتضية لإختلاط بعض الناس ببعض وائتلافهم بالحاجة ، والأودية والأواني مثل القلوب يثبت منه فيها ما تحتمله على قدر سعة القلب وضيقة بحسب الطهارة وقوة الفاهمة²⁴⁵ .

وفي الآية التي شرحت آنفا توضيح أن الحق نزل بثقله للأسفل وثبت في النفس الإيمان وذهبت الشكوك والشبهات الخفيفة "جفاء" أي مطرودة مكروهة . فالحق تمثل بالماء النازل من السماء فدخل الماء إلى أودية بقدر حجمها فمنها الوديان الكبيرة ومنها الوديان الصغيرة . وفي كلا الحالتين الوديان تحتل زبدا رابيا وهو الرغبة أعلى الماء الذي سال في الوادي . ففي حالة إتساع الوادي فإن تركيز الزبد أي الرغبة يكون قليلا وفي حالة ضيق الوادي تكون الرغبة مركزة . وبعبارة أخرى فإن تلقي القرآن العظيم بكثرة في حالة سعة الوادي أي سعة العلم بكتاب الله يكون ذهاب الرغبة وهي الزبد الذي يعلو الماء يكون سريعا . وبالعكس لو كان الوادي صغيرا فإن ذهاب الزبد أي الرغبة التي تعلو الماء بطيئا وعليه من الكلام أعلاه يكون القول الثقيل والذي هو سورة البقرة أنفع ما تكون في طرد الشبهات حول الدين . حيث أن القول الثقيل يرسخ في الأرض بصورة سريعة بسبب ثقله . ولهذا عند الطوارئ مثل ما حدث في غزوة حنين كان إستنهاض همة الأنصار بالقول الثقيل لأن أسرع في الثبات من القول الأخف منه وهذا هو والله أعلم سبب مناداة النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار في غزوة حنين "يا أصحاب سورة

²⁴⁵ نظم الدرر ج 17 ص 319

البقرة " . فإنها أي سورة البقرة تطرد الشبهات والشكوك من النفس المسلمة . وعليه يصبح ذهاب الشبهات والشكوك أسرع . ولذلك شرحنا في مطلب اللواميم قوله تعالى : وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24) [السجدة : 24] ، فبالنسبة للآية التي إستشهد بها صاحب السيرة الحلبية تبريرا منه لمناشدة رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) [البقرة : 40 ، 41] .

ولقد قال البقاعي رحمه الله في تفسير الآية أعلاه ما يلي : وابتدأ سبحانه بتذكيرهم بما خصهم به عن النوع الأدمي من النعم التي كانوا يقابلونها بالكفران وما عاملهم به من إهمالهم على مرتكباتهم ومعاملتهم بالعفو والإقالة مما يبين سعة رحمته وعظيم حلمه ، وابتدأ من أوامرهم بالإيفاء بالعهود التي من أعظمها متابعة هذا النبي الكريم والإيمان بكتابه الذي نفى عنه الريب فقال : (يا بني إسرائيل) أي الذي شرفته وشرفت بنيه من أجله (اذكروا) من الذكر بالكسر والضم بمعنى واحد يكونان باللسان وبالجنان ، وقال الكسائي : هو بالكسر باللسان وبالضم بالقلب ، والذي بالقلب ضده النسيان ، والذي باللسان ضده الصمت - نقله الأصفهاني وقال الحرالي : من الذكر وهو استحضار ما سبقه النسيان (نعمتي) وهي إنالة الشخص ما يوافق نفسه وبدنه وعند المتقطن ما يوافق باطنه وظاهره مما بين قلبه وشعوبه من أهله وحشمه (التي) تي منها إشارة لباطن نازل متخيل مبهم تفسره صلته بمنزلة ذي وال منها إشارة لذلك المعنى بالإشارة المتخيلة - انتهى (أنعمت) أي بها وجللت على شرفها بإضافتها إلى (عليكم) وتلك النعمة الشريفة هي الإتيان بالهدى من الكتب والرسل الذي استتقتكم به من هوان الدنيا والآخرة (وأوفوا) من الوفاء وهو عمل لاحق بمقتضى تقدم علم سابق - قاله الحرالي (بعهدي) أي الذي أخذته عليكم في لزوم ما أنزل إليكم من متابعة نبيكم و من آمركم باتباعه من بعده ، والعهد التقدم في الشيء خفية . اختصاصاً لمن يتقدم له فيه - قاله الحرالي ،

وقال الأصفهاني : حفظ الشيء ومراعاته حالاً فحالاً ، قال الخليل : أصله الاحتفاظ بالشيء وإجداد العهد به ، (أوف بعهدكم) أي في جعلكم ممن لا خوف عليهم و لا حزن بسعة العيش والنصر على الأعداء كما يأتي عن نص التوراة في مظانه من هذا الكتاب²⁴⁶ والعهد الشيء الذي يجب مراعاته فالله سبحانه وتعالى لن يحابي بني إسرائيل لأنهم أولاد نبي من أنبياء فالقضية مرتبطة بالحفاظ على مكونات المجتمع المسلم بتحقيق التذكير والتواصي بالحق والتواصي بالصبر فالأمر ليس مسلماً به في ثبات نعمة إلا بأداء حق الله تعالى : ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) [الأنفال : 53]

وذا كان التذكير بسورة البقرة فحتى لا تتغير نعمة الله بالنصر على أعداء الله وجب على المسلمين ألا يغيروا من تعاملهم مع هذه النعم فيراعوا حق الله تعالى عن تعهد الأمة ومتابعتها و معالجة جوانب القصور فيها أولاً بأول هي السبيل للحفاظ على نصر الأمة ولذا ورد في قصة البقرة التي تحدثنا عنها آنفاً في فصول متقدمة أنه كان هناك سور مضروب حول القوم الصالحين الذين أراد القاتل وزمرته إلصاق التهمة بهم . فهذا السور الذي بناه الصالحون من بني إسرائيل حولهم منع من إلصاق التهمة الباطلة بهم ، بعبارة أخرى إن ما ترتب من تفاصيل قصة البقرة كان نتيجة لوجود أمرين بالمعروف وناهين عن المنكر . فكان التذكير بسورة البقرة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو تذكير لهم بوجوب المحافظة على العهد الذي أخذه الله عليهم ومن العهد الثبات في المعركة وعدم الفرار عند لقاء العدو ليتحقق نصر الله ، اما الآية الثانية والتي إستشهد بها مؤلف السيرة الحلبية وذلك لتعليل نداء الرسول صلى الله

²⁴⁶ نظم الدرر ج 1 ص 315

عليه وسلم "يا أصحاب سورة البقرة " وهي : وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (207) [البقرة : 207] .

وقال البقاعي في التمهيد لتفسير وتفسيرها ما يلي: ...وهذا يهلك نفسه لاستصلاح الناس فقال: (ومن الناس من) أي شخص أو الذي (يشري) أي يفعل هذا الفعل كلما لاح له وهو أنه يبيع بغاية الرغبة والانبعاث (نفسه) فيقدم على إهلاكها أو يشتريها بما يكون سبب إعتاقها وإحيائها بالإجتهاد في أوامر الله بالنهي لمثل هذا الألد عن فعله الخبيث والأمر له بالتقوى والتذكير بالله ، وروي أنها نزلت في صهيب رضي الله تعالى عنه لأنه لما هاجر أرادت قريش رده فجعل لهم ماله حتى خلوا سبيله فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : (ربح البيع) فعلى هذا يكون شري بمعنى اشترى ، ثم علل ذلك بقوله: (ابتغاء) أي تطلب وتسهل وتيسر بغاية ما يمكن أن يكون كل من ذلك (مرضات الله) أي رضى المحيط بجميع صفات الكمال وزمان الرضى ومكانه بما دل عليه كون المصدر ميمياً ويكون ذلك غاية في بابه بما دل عليه من وقفه بالتاء الممدودة لما يعلم من شدة رحمة الله تعالى به (والله رؤوف) أي بالغ الرحمة، وأظهر موضع الإضمار دلالة على العموم وعلى الوصف المقتضي للرحمة والشرف فقال: (بالعباد) كلهم حيث أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة مع كفرهم به أو تقصيرهم في أمره ، وبين لهم الطريق غاية البيان بالعقل أولاً والرسل ثانياً والشرائع ثالثاً والكتب الحافظة لها رابعاً ... ولما كان الخوف حاملاً على لزوم طريق السلامة قال : (فاعلموا) فإن العلم أعون شيء على المقاصد (أن الله) الحاوي لصفات الكمال (عزيز) لا يعجزه من زل ولا يفوته من ضل (حكيم) يبرم ما لا يقدر أحد على نقض شيء منه. ولما كان هذا الختم مؤذناً بالعذاب وكان إتيان العذاب من محل تتوقع منه الرحمة أفضع وكان أنفع الأشياء السحاب لحمله الغيث والملائكة الذين هم خير محض وكان الذين شاهدوا العذاب من السحاب الذي هو مظنة الرحمة ليكون أهول عاداً وبني إسرائيل وكان عاد قد مضوا فلا يمكن عادة سؤالهم وكان من زل بعد

هذا البيان قد أشبهه بني إسرائيل في هذا الحال فكان جديراً بأن يشبههم في المآل فيما صاروا إليه من ضرب الذلة والمسكنة وحلول الغضب والوقوع في العطب قال تعالى: (هل ينتظرون) أي ينتظرون إذا زلوا سائقاً له في أسلوب الإنكار ، وصيغة الغيبة مجردة عن الافتعال تنبيهاً على أنا لزالين في غاية البعد عن مواطن الرأفة والاستحقاق بمظهر الكبر والنقمة بإعراض السيد عن خطابهم وإقباله من عذابهم على ما لم يكن في حسابهم (إلا أن يأتيهم الله) أي مجد الذي لا يحتمل شيء تجلى عظمته وظهور جلاله ، كائناً مجده (في ظلل من الغمام) ظلة في داخل ظلة ، وهي ما يستر من الشمس فهي في غاية الإظلام والهول والمهابة لما لها من الكثافة التي تغمر على الرائي ما فيها وتدمر ما أتت عليه - إلى غير ذلك من أنواع المجد الذي لا يقدره حق قدره إلا الله (والملائكة) أي ويأتي جنده الذين لا يعصون الله ما أمرهم ، هذا على قراءة الجماعة، وعلى قراءة أبي جعفر بالخفض ، المعنى وظلل من الملائكة أي جماعات يملؤون الأقطار ليتبادروا إلى إمتثال أوامره ؛ وهل ينتظرون من القوي المحكم لما يفعل العزيز الذي يعلو أمره كل أمر إلا إتيانه بالبأس إذا غضب بعد طول الحلم وتمادي الأناة فلا يرد بأسه ولا يعارض أمره وهو المراد من قوله : (وقضي) أي والحال أنه قد قضي (الأمر) أي نفذ بإهلاكهم سريعاً فرجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بأسرهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً (وإلى الله) الذي له الإحاطة الكاملة وحده (ترجع الأمور) كلها دنيا وأخرى ، فإن حكمه لا يرد وقدرته لا تحد²⁴⁷.

وبعد فإن ما أشارت إليه الآية السابقة هي لنموذج باع نفسه لله فكان سبباً لثباته وثبات من يكون معه وهذا سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه بثباته في سقيفة بني ساعدة وإصراره على أن يكون الامر في قريش أنهى فتنة في مهدها ثم موقفه رضي الله عنه في مواجهة الصحابة وإصراره على إنفاذ بعث أسامة بن زيد رضي الله عنه ثم إصراره على محاربة مانعي

الزكاة من مرتدي العرب كل هذه المواقف الثابتة من صحابي باع نفسه لله تثبت الأمة بثباته وهكذا قصة خلافة الأمة المسلمة تثبت بثبات قادة ربانيين منها فهم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويله حين يجهل ذلك الناس ولا يخفى أن سبب نزول هذه الآية وهو صهيب الرومي رضي الله عنه كان مثالا للتضحية بكل ماله في سبيل تحقيق وعد الله في الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صهيب بن سنان كنيته -أبو يحيى- أسلم بعد بضعة وثلاثين رجلا، ولما هاجر صهيب إلى المدينة تبعه نفر من المشركين فتوعدهم بأن يرميهم بسهامه، وكان راميا، أو يعودوا، وقال لهم: إن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدلنا عليه فدلهم ومضى، ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما وصل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له: ربح البيع أبا يحيى. انظر ترجمته في: ((أسد الغابة)): (2 / 418 - 421)، ((سير أعلام النبلاء)): (2 / 17 - 26) ، ((الإصابة)): (5 / 160²⁴⁸ - 163. البقرة : (211 - 214) سل بني إسرائيل. . . . وأما الآية الثالثة التي حددها مؤلف السيرة الحلبية كتعليل لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة "يا أصحاب سورة البقرة" فهي : فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) [البقرة: 249].

قال البقاعي رحمه الله في تفسيره نظم الدرر في تفسير هذه الآيات: {مبتليكم بنهر} من الماء الذي جعله سبحانه وتعالى حياة لكل شيء، فضربه مثلاً للعالم التي من ركن إليها ذل ومن صدف عنها عز. قال الحرالي: فأظهر الله على لسانه ما أنبأ به نبيهم في قوله {وزاده بسطة في العلم} [البقرة: 247]- انتهى. {فمن شرب منه} أي ملأ بطنه {فليس مني} أي كمن إنغمس

²⁴⁸ تحقيق التجريد في كتاب التوحيد ج 1 ص 200 م.ش.

في الدنيا فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون {ومن لم يطعمه فإنه مني} كمن عزف عنها بكليته ثم تلا هذه الدرجة العلية التي قد قدمت للعناية بها بما يليها من الإقتصاد فقال مستثنياً من {فمن شرب}: {إلا من اغترف} أي تكلف الغرف {غرفة بيده} ففي قراءة فتح الغين إعراب عن معنى إفرادها أخذة ما أخذت من قليل أو كثير، وفي الضم إعلام بملئها، والغرف بالفتح الأخذ بكلية اليد، والغرفة الفعلة الواحدة منه، وبالضم اسم ما حوته الغرفة، فكان في المغترفين من استوفى الغرفة ومنهم من لم يستوف - قاله الحرالي وقال: فكان فيه إيدان بتصنيفهم ثلاثة أصناف: من لم يطعمه البتة وأولئك الذين ثبتوا وظنوا أنهم ملاقو الله، ومن شرب منهم وأولئك الذين افتتنوا وانقطعوا عن الجهاد في سبيل الله ومن اغترف غرفة وهم الذين ثبتوا وتزلزلوا حتى ثبتهم الذين لم يطعموا. ولما كان قصص بني إسرائيل مثلاً لهذه الأمة كان مبتلى هذه الأمة بالنهر ابتلاهم بنهر الدنيا الجاري خلالها، فكانت جيوشهم بحكم هذا الإيحاء الاعتباري إذا مروا بنهر أموال الناس وبلادهم وزروعهم وأقطارهم في سبيلهم إلى غزوهم، فمن أصاب من أموال الناس ما لم ينله الإذن من الله انقطع عن ذلك الجيش ولو حضره. فما كان في بني إسرائيل عياناً يكون وقوعه في هذه الأمة استبصاراً سترة لها وفضيحة لأولئك، ومن لم يصب منها شيئاً بتاً كان أهل ثبت ذلك الجيش الثابت المثبت، قيل لعل رضي الله تعالى عنه: يا أمير المؤمنين! ما بال فرسك لم يكب بك قط؟ قال: ما وطئت به زرع مسلم قط. ومن أصاب ما له فيه ضرورة من منزل ينزله أو غلبة عادة تقع منه ويوده أن لا يقع فهؤلاء يقبلون التثبيت من الذين تورعوا كل الورع، فملاك هذا الدين الزهد في القلب والورع في التناول باليد²⁴⁹.

وبعد فلنا وقفة مع كلام البقاعي رحمه الله فكما ذكرنا سابقاً إن قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم هي للعبرة وليست للتسلية فما وقع في بني إسرائيل يقع في أمة محمد صلى الله عليه وسلم والدليل أنه عندما فر الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة حنين ثبتهم رسول الله صلى

الله عليه وسلم بمناداتهم "بأصحاب سورة البقرة " والدنيا التي أشار إليها البقاعي في تمثيل النهر الذي إبتلى الله به بني إسرائيل هو السبب في إنسحاب عددا كبيرا من مقاتلي جيش طالوت من المعركة لسقطهم في معركة شهوة الدنيا وسنن الله لا تتغير حيث روى معاذ رضي الله عنه في الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

جامع الأحاديث (12/ 255، بترقيم الشاملة آليا)

خذوا العطاء ما دام عطاء وإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذه ولستم بتاركيه يمنعكم الفقر والحاجة ألا إن ربحي الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم إن عصيتموهم قتلوكم وإن أطعتموهم أضلوكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع قال كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله²⁵⁰، وهكذا إن آفة الحكم والملك هو المال وأخذ الحرام فالثبات في هذا الوقت وكل وقت هو المطلوب من الإنسان المسلم على إغراءات المال والذي تم تسميته بالمال لأنه يميل بالإنسان عن الصراط المستقيم وإن الهداية لأمة الإسلام تكون بأئمة يتعالون عن إغراء المال ويصبرون على ذلك وإن تصديق ثبات الأئمة على القرآن يؤكد ثبات العالم على دين الله وذلك لمن يريد أن يكون هاديا لأمة الإسلام ويحييها من مواتها وثبات جيش المسلمين يكون في الفئة الثابتة على مثل ذلك . طبعا لم يكن جيش طالوت كله من لم يشرب نهائيا فهناك فئة أخذت غرفة بيدها لكن الذي ثبت عند اللقاء وثبت الآخرين كان من لم يطعمه صابرا محتسبا لله وتذكرنا هذه بما فعله التتار في بغداد حيث وقف القوم عاجزين مع كثرة المال بين أيديهم ولا ينفقونها في سبيل الله فسلبهم الله مالهم وعزهم و أورث مالهم وديارهم قوما آخرين ولا حول ولا قوة إلا بالله .

²⁵⁰ (الطبراني عن معاذ) أخرجه الطبراني (90/20، رقم 172) ، قال الهيثمي (238/5) : يزيد بن مرثد لم يسمع من معاذ، والوضيين بن عطاء وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات. وأخرجه أيضا: الطبراني في الشاميين (379/1، رقم 658) ، والطبراني في الصغير (42/2، رقم 749)

الفصل الثالث

تفسير قصة البقرة من كتب التفسير القديمة والحديثة

الفصل الثالث

تفسير قصة البقرة

المبحث الأول: تفسير قصة البقرة من كتب التفسير القديمة والحديثة

المطلب الأول: سرد قصة البقرة من كتب التفسير وحذف يهود للقصة من كتبهم

المطلب الثاني: الأمر بذبح البقرة تشريع لنا

المبحث الثاني: أهم صفات يهود التوي توضحها القصة ، ومدى إستمرارية يهود

على سلوكهم التي بينتها قصة البقرة

المطلب الأول: صفات يهود وإستمراريتهم على هذه الأخلاق

المطلب الثاني: البقر تشابه علينا

المبحث الأول

تفسير قصة البقرة من كتب التفسير القديمة والحديثة

المطلب الأول: سرد قصة البقرة وحذف اليهود للقصة من كتبهم وقصة إحياء الميت

قال الشيخ محمد علي الصابوني رحمه الله في كتابه قبس من نور القرآن ج1 ص 31 ثم تنتقل الآيات في سورة البقرة ، لتذكر لنا قصة من أعجب القصص و اغربها هي قصة إحياء القتيل التي كانت معجزة لموسى بواسطة ضربه بجزء من البقرة والتي سميت هذه السورة بها ، تخليدا لذكرها "سورة البقرة" و خلاصة القصة أن رجلا من بني إسرائيل كان له مال كثير ، ولم يكن له أبناء يرثونه ، فأراد ابن أخيه أن يتعجل ميراثه ، فقتله ثم ألقاه ليلا على دار أحد القوم بين القريتين ، ثم أصبح يدعي عليهم أنهم قتلوا عمه ، حتى تخاصم القوم وتدافعوا ، وأصبح كل فريق منهم يدفع التهمة عن نفسه وينسبها لغيره ، وهذا معنى قوله تعالى : (وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فإِدارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرَجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) ثم قال ذوو الرأي منهم والنهي : علام يقتل بعضنا بعضا ، وهذا رسول الله موسى فينا وبين أظهرنا ؟ فأتوا موسى عليه السلام ، فذكروا ذلك له ، فأوحى الله إليه أن يأمرهم بأن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل بجزء منها ، فيحيا بقدرة الله ويخبرهم عن القاتل ، وفي بيان هذه بالمعجزة الربانية يقول الله جل ثناؤه وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْنَهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ (69) [البقرة : 67 - 69] قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا

فَادَارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) [البقرة : 70 - 73]²⁵¹

ولسرد تفسير قصة البقرة فنبدأ بما ذكره علماء المسلمين الأوائل والأقرب لزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لأن علم التفسير علم تكاملي يفتح الله فتوحاته لعلماء المسلمين كلما تقدم الزمن ونشرع بما ذكره شيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله .

أورد الإمام الطبري رحمه الله في كتابه "جامع البيان في تأويل القرآن" : 1176-حدثني موسى قال : حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال : كان رجل من بني إسرائيل مكثرا من المال ، وكانت له ابنة ، وكان له ابن أخ محتاج . فخطب إليه ابن أخيه ابنته ، فأبى أن يزوجه إياها ، فغضب الفتى وقال : والله لأقتلن عمي ، ولأخذن ماله ، ولأنكحن ابنته ، ولأكلن ديتة ! فأتاه الفتى ، وقد قدم تجار في أسباط بني إسرائيل ، فقال يا عم ، إنطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم ، لعلني أصيب منها ، فإنهم إن رأوك معي أعطوني . فخرج العم مع الفتى ليلا ، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط ، قتله الفتى ، ثم رجع إلى أهله . فلما أصبح ، جاء كأنه يطالب عمه ، كأنه لا يدري أين هو ، فلم يجده . فأنطلق نحوه ، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه ، فأخذهم وقال : قتلتم عمي فأدوا إلي ديتة . وجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وينادي : واعمّاه ! فرفعهم إلى موسى ، فقضى عليهم بالدية ، فقالوا له : يا رسول الله ، أدع لنا ربك حتى يبين له من صاحبه ، فيؤخذ صاحب الجريمة ، فوالله إن ديتة علينا لهيئة ، ولكن نستحي أن نعيّر به . فذلك حين يقول الله جل ثناؤه : (وإذ قتلتم نفسا فإدارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون) . فقال لهم موسى : (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة). قالوا نسألك عن القتل و عن قتله ، ونقول إذبحوا بقرة ! أتهزأ

²⁵¹ الشيخ محمد علي الصابوني "قبس من نور القرآن" . دار السلام للطباعة والنشر الطبعة الأولى

بنا ؟ قال موسى : (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) - قال ، قال ابن عباس : فلو إعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا وتعنتوا فشدد الله عليهم - فقالوا : (أدع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) - والفارض : الهرمة التي لا تلد / والبكر : التي لم تلد إلا ولدا واحدا ، والعوان : النصف بين ذلك ، التي قد ولدت وولد ولدها - (فافعلوا ما تؤمرون ، قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) - قال : تعجب الناظرين - (قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون * قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها) من بياض ولا سواد ولا حمرة - (قالوا الآن جئت بالحق) . فطلبوها فلم يقدروا عليها إلخ²⁵²

إن قصة البقرة في سورة البقرة كما أوردها الإمام الطبري ومعظم علماء التفسير تشير بوضوح إلى نفسية يهود وديدنهم وهو المؤامرة . وهذا يذكرني بقول الشيخ عبدالله عزام في كتابه "حماس الجذور التاريخية والميثاق .

"إن المتبصر بأي الذكر الحكيم يدرك الحكمة الربانية من أفراد صفحات كثيرة من كتاب الله العزيز في تتبع كتاب الله تاريخ اليهود ومواقفهم تجاه أنبيائهم عليهم وكشف طبيعة جنسهم وإيضاح خبيئتهم ، وذلك - والله أعلم - لأنه سبحانه يعلم أن هذا الجنس كان عبر التاريخ كله معول هدم لكل القيم ومسحاة تجتث بها الأخلاق وتحارب بها المبادئ والمثل .

²⁵² تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن . دار الكتب العلمية الطبعة الثانية 1997 ج1

ولأمر ما يعلمه الله إستغرق تاريخهم هذه المساحة من كتاب الله الكريم وكأن البصيرة تترك أن لهذا الجنس دورا خطيرا في مواجهة بهذا الدين عبر حقبات زمنية قادمة ، ولذا لا بد لأبناء هذا الدين من ان يأخذوا حذرهم ويعدوا عدتهم " 253 .

و أورد الطبري في كتابه جامع البيان في تأويل القرآن ج1 ص 381 : 1182- فذكر جميعهم أن السبب الذي من أجله قال لهم موسى : (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) ، نحو السبب الذي ذكره عبيدة وأبو العالية والسدي ، غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القتل الذي أختصم في أمره إلى موسى ، كان أخا المقتول ، وذكر بعضهم أنه كان ابن أخيه ، وقال بعضهم : بل كانوا جماعة ورثة إستبطأوا حياته . إلا إنهم جميعا مجمعون على أن موسى إنما أمرهم بذبح البقرة من أجل القتل إذا إحتكموا إليه عن أمر الله إياهم بذلك - فقالوا له : وما ذبح البقرة ؟ يبين لنا خصومتنا التي إختصمنا فيها إليك في قتل من قتل ، فادّعي على بعضنا أنه القاتل ! أتهزأ بنا ؟²⁵⁴ ، كما - 1183 - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قتل قتل من بني إسرائيل ، فطرح في سبط من الأسباط ، فأتى أهل ذلك القتل إلى ذلك السبط فقالوا : انتم والله قتلتم صاحبنا . قالوا : لا والله . فاتوا موسى فقالوا : هذا قتلنا بين أظهرهم وهو والله قتلوه ! فقالوا : لا والله يا نبي الله ، طرح (بضم الطاء) علينا ! فقال لهم موسى : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . فقالوا : أتستهزئ بنا ؟ وقرأ قول الله جل ثناؤه : أتخذنا هزوا) . قالوا : نأتيك فنذكر قتلنا والذي نحن فيه ، فتستهزئ بنا ؟ فقال موسى : (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)²⁵⁵ 1184 - قالوا : وما البقرة والقتل ؟ قال : أقول لكم : (إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) وتقولون : أتخذنا هزوا .²⁵⁶ القول في تأويل قوله : (قالوا أدع لنا ربك

²⁵³ حماس جذور تاريخية وميثاق للدكتور عبدالله عزام طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص 12

²⁵⁴ الطبري جامع البيان دار الكتب العلمية ط 2 1997 ج1 ص 381

²⁵⁵ الطبري ج1 ص382

²⁵⁶ الطبري ج1 ص 382

يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض قال أبوجعفر : فقال الذين قيل لهم : (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) بعد ان علموا و إستقر عندهم ، إن الذي أمرهم به موسى عليه السلام من ذلك عن أمر الله من ذبح بقرة -جذّ وحقّ: (أدع لنا ربك يبين لنا ما هي) ، فسألوا موسى أن يسأل ربه ما كان الله قد كفاهم بقوله لهم : (اذبحوا بقرة) . لأنه جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرة من البقر - أي بقرة شاءوا ذبحها من غير أن يحصر لهم ذلك على نوع منها دون نوع منها أو صنف دون صنف - فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم ، وسوء أفهامهم ، وتكلف ما قد وضع الله عنهم مؤونته ، تعنتا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم²⁵⁷ كما : 1185- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قال لهم موسى : (أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين) . قالوا له يتعنتونه : (أدع لنا ربك يبين لنا ما هي) فلما تكلفوا جهلا منهم ما تكلفوا - من البحث عما كانوا قد كفوه من صفة البقرة التي أمروا بذبحها ، تعنتا منهم نبيهم موسى صلوات الله عليه ، بعد الذي كانوا أظهروا له من سوء الظن به فيما أخبرهم عن الله جل ثناؤه ، بقولهم : (أنتخذنا هزوا) - عاقبهم عز وجل بان حصر ذبح ما كان أمرهم بذبحه من البقر على نوع منها دون نوع ، فقال لهم جل ثناؤه - إذ سألوهم فقالوا : ما هي؟ ما صفتها ؟ وما حليتها (بكسر الحاء وتسكين اللام) ؟ حلها لنا لنعرفها ! - قال : (إنها بقرة لا فارض ولا بكر)²⁵⁸ 1187- عن ابن عباس عن مجاهد : (لا فارض) قال : لا كبيرة القول في تأويل قوله تعالى : (ولا بكر) قال أبوجعفر : و"البكر" من إناث البهائم وبني آدم ، ما لم يفتحله الفحل وهي مكسورة الباء

²⁵⁷ الطبري ج 1 ص 382

²⁵⁸ الطبري ج 1 ص 382

1199- عن مجاهد : (ولا بكر) ، صغيرة القول في تاويل قوله تعالى : (عوان)²⁵⁹ قال أبو جعفر : "العوان" النّصف بتشديد النون المفتوحة وفتح الصاد التي قد ولدت بطنا بعد بطن ، وليست نعتا للبكر . يقال منه : "قد عوّنت" إذا صارت كذلك

1213- عن الضحاك عن ابن عباس : (عوان) قال بين الصغيرة والكبيرة ، وهي اقوى ما تكون من البقر والدواب ، واحسن ما تكون .

1221-القول في تأويل قوله تعالى : (فإفعلوا ما تؤمرون)

قال أبو جعفر : يقول الله لهم جل ثناؤه : إفعلوا ما أمركم به ، تذكروا حاجاتكم وطلباتكم عندي ، وإذبحوا البقرة التي أمرتكم بذبحها ، تصلوا - بإنتهائكم إلى طاعتي بذبحها - إلى العلم بقاتل قتيلكم .

.والحقيقة في هذه الجملة الإعتراضية والتي وردت في قصة البقرة تدل بوضوح على وجوب الإننتقال للعمل وليس للجدال والتفتيش وخطورة ذلك على مسار الإسلام . وان هذا مدخل من مداخل الشيطان الخطير جدا ، ولذلك إقتضى التنبيه للمرة الثانية بعد أن قال تعالى (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) كرر التنبيه أن هذا أمر للتنفيذ بقوله تعالى : (فإفعلوا ما تؤمرون)

كما و أورد الطبري رحمه الله القول في تاويل قوله تعالى : (قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء) ، قال أبو جعفر : و معنى ذلك : قال قوم موسى لموسى : أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؟ أي لون البقرة التي أمرتنا بذبحها . وهذا أيضا تعنت آخر منهم بعد الأول ، وتكلف طلب ما قد كانوا كفوه في المرة الثانية والمسألة الآخرة . وذلك أنهم لم يكونوا حصروا في المرة الثانية - إذ قيل بعد مسألتهم عن حلية البقرة التي كانوا أمروا بذبحها ، فأبوا إلا تكلف ما قد كفوه من المسألة عن صفتها ، فحصروا على نوع دون سائر الأنواع ، عقوبة

من الله لهم على مسألتهم التي سألوها نبيهم صلى الله عليه وسلم ، تعنتا منهم له . ثم لم يحصرهم على لون منها دون لون ، فأبوا إلا تكلف ما كانوا عن تكلفه أغنياء ، فقالوا - تعنتا منهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه : (أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها فقل لهم عقوبة لهم : (إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) . فحصرها على لون منها دون لون . ومعنى ذلك : أن البقرة التي أمرتكم بذبحها صفراء فاقع لونها .

أقول بدأ الله بحصرهم بعد تكرار السؤال في حين لم يحصرها على الإستيضاح الأول . وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه أن من العامة الأمور عندهم ليست بالواضحة . بل هي منبهمة . وهؤلاء يستحقوا من الدعاة التريث في دعوتهم . ومطلوب سياسة النفس الطويل في الحوار الهادئ مع كل الشبهات التي يطرحها يهود وليست المواجهة ابتداء مع من تم التغيرير بهم

وهنا يتضح خطورة المنهج الذي إبتدعته الجماعات التكفيرية في التعامل مع المخالفين لها بالرأي ، وقال الطبري في تفسيره 1234- قال ابن زيد في قوله : (فاقع لونها) ، قال شديدة صفرتها ، القول في تأويل قوله تعالى : (تسر الناظرين 69) .

قال أبوجعفر : يعني بقوله (تسر الناظرين) ، تعجب هذه البقرة - في حسن خلقها ومنظرها وهيئتها - الناظر إليها

القول في تأويل قوله تعالى : (قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون 70

قال أبوجعفر : يعني بقوله : (قالوا)وقوله : (يبين لنا ما هي)ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم لامته 1238- "ذروني ما تركتكم ، فإنما أهلك (بضم الهمزة وكسر اللام) من كان قبلكم بكثرة سؤالهم وإختلافهم على أنبيائهم . فإن أمرتكم بشيء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن

شيء فانتهاوا عنه ما إستطعتم " ، قال أبوجعفر : ولكن القوم لما زادوا نبيهم موسى صلى الله عليه وسلم أذى وتعننا ، زادهم الله عقوبة وتشديدا²⁶⁰

أقول لما تأخر يهود في تنفيذ تعليمات الله التي نقلها لهم رسول الله موسى عليه السلام زادت عليهم التكاليف التي حملوها وهكذا كل أمة تتأخر في العودة إلى كتاب الله تطبيقا ومتابعة تزدادا تبعات عودتها للإسلام ونهضتها كلما تأخرت . فالمطلوب المسارعة في التنفيذ تخفيفا للعبء . فلو إفترضنا جدلا أن المقاومة الفلسطينية المتواجدة الآن في الأرض المحتلة تواجدت في سنة 1948 كانت بنفس الزخم لما تكلفت الأمة ما تتكلفه الآن . وبالعكس لو تأخر الجهاد عن وقتنا هذا لزادت فاتورة تكلفة الجهاد والله أعلم . والأمر لا يقتصر على فلسطين بل يشمل كل عمل إسلامي والله أعلم

1247- ...عن أبي العالية قال : لو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة ، إستعرضوا بقرة فذبحوها ، لكانت إياها ، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم . ولولا ان القوم إستثنوا فقالوا : (وإننا إن شاء الله لمهتدون) ، لما هدوا إليها ابدأ .

1251 ...وأما تاويل قوله : (تشابه علينا) ، فإنه يعني به ، إلتبس علينا . والقرأة مختلفة في تلاوته . فبعضهم كانوا يتلونه : (تشابه علينا) بتخفيف الشين ونصب الهاء ، على مثال "تفاعل" ، ويذكر (بكسر الكاف) الفعل ، و إن كان "البقر" جماعا . لأن من شأن العرب تذكير كل فعل جمع لاكانت وحدانه بالهاء ، وجمعه بطرح الهاء - وتانيته ، كما قال الله تعالى في نظيره في التذكير : (كانهم أعجاز نخل منقعر) (القمر :20) ، فذكر "المنقعر" وهو من صفة النخل ، لتذكير لفظ "النخل" - وقال في موضع آخر : "كانهم أعجاز نخل خاوية" (الحاقة:7) ، فأنت "الخواية - وهي من صفة "النخل" . وكان بعضهم يتلوه : "إن البقر تشابه علينا "

²⁶⁰ الطبري جامع البيان في تأويل القرآن ط دار الكتب العلمية ط ثانية 1997 ج 1 ص 389

بتشديد الشين وضم الهاء ، فيؤنث الفعل بمعنى تأنيث "البقر" ، كما قال : "أعجاز نخل خاوية" ، ويدخل في أول "تشابه" "تاء" تدل على تانيثها ، ثم تدغم (بضم التاء) التاء الثانية في "شين" "تشابه" لتقارب مخرجها ومخرج "الشين" فتصير "شينا" مشددة و ترفع (بضم التاء) "الهاء" بالإستقبال والسلامة من الجوازم والنواصب . وكان بعضهم يتلوه : " إن البقر يشابه علينا " فيخرج "يشابه" (بفتح الشين) مخرج الخبر عن الذكر (بفتح الذال والكاف) ، لما ذكرنا من العلة في قراءة من قرأ ذلك "تشابه" بالتخفيف ونصب "الهاء" ، غير أنه كان يرفعه ب"الياء" التي يحدثها في أول "تشابه" التي تأتي بمعنى الإستقبال ، وتدغم التاء في الشين كما فعله القارئ في "تشابه" بالتاء والتشديد . قال أبوجعفر : والصواب في ذلك من القراءة عندنا : (إن البقر تشابه علينا) ، بتخفيف "شين" ونصب هائه ، بمعنى "تفاعل" ، لإجماع الحجة من القراء على تصويب ذلك ، ودفعهم ما سواه من القراءات ، ولا يعترض على الحجة بقول من يجوز عليه فيما نقل السهو والغفلة والخطأ .²⁶¹

أقول والله أعلم إن القراءات التي وردت كلها صحيحة والأولى الجمع بين القراءات بأن نقول إن الشبهات يتفاوت الناس بكيفية تلقيها من شخص لآخر بحسب إيمانه وتحمله للظروف المحيطة به وبحسب فهمه لكتاب الله . وهي القراءات المختلفة تعبر عن تفاوت مستويات التفاعل مع الشبهة التي ألقاها المتآمرون من بني إسرائيل والله أعلم . وهذه المعلومة تفيد أن التعامل مع المضللين (بضم الميم وفتح اللام) بمؤامرات يهود يكون مختلفا بحسب تعلقهم بهذه الشبهات والله أعلم مع ملاحظة أن التفاوت في الفهم حصل في نهاية قصة البقرة ولم يحدث في بدايتها ، بعبارة أخرى إن الشبهة تكون قوية في بداية الأمر لكنها تضعف في نهاية الأمر ودليل ضعفها تفاوت الناس في تلقي الشبهة مما أشارت إليه القراءات المختلفة لكلمة "تشابه" ، وقال الطبري في تفسيره.....واما قوله (وإننا إن شاء الله لمهتدون) ، فإنهم عنوا :

وإنّا إن شاء الله لمبين لنا ما إلتبس علينا وتشابه من أمر البقرة التي أمرنا بذبحها . ومعنى "إهتدائهم " في هذا الموضع معنى : "تبينهم " أي ذلك الذي لزمهم ذبحه مما سواه من أجناس البقر . ، القول في تأويل قوله تعالى : (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تنثر الأرض ولا تسقي الحرث) ، قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : قال موسى : إن الله يقول إن البقرة التي أمرتكم بذبحها بقرة لا ذلول . ويعني بقوله : (لا ذلول) أي لم يذلها العمل . فمعنى الآية : إنها بقرة لم تذلها إثارة الأرض بأظلافها ولا سني (بضم السين وكسر النون وفتح الياء) عليها الماء فيسقى (بضم الياء) عليها الزرع . كما يقال للدابة التي قد ذللها الركوب أو العمل : "دابة ذلول بينة الذل" بكسر الذال القول في تأويل قوله تعالى : (مسلمة) : 1262 - عن قتادة : (مسلمة لا شية فيها) أي مسلمة من العيوب ، القول في تأويل قوله تعالى : (قالوا الآن جئت بالحق) ، قال أبو جعفر : إختلف أهل التأويل في تأويل قوله : (قالوا الآن جئت بالحق) . فقال بعضهم : معنى ذلك : الآن بينت لنا الحق ، فتبيناه ، وعرفنا أية بقرة عنيت وممن قال ذلك قتادة 1276 - عن قتادة : (قالوا الآن جئت بالحق) ، أي الآن بينت لنا . وقال بعضهم : ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن القوم أنهم نسبوا نبي الله موسى صلوات الله عليه ، إلى أنه لم يكن يأتيهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك . وممن روى عنه معنى هذا القول ، عبد الرحمن بن زيد ، قال ابن زيد : اضطروا إلى بقرة لا يعلمون على صفتها غيرها ، وهي صفراء ليس فيها سواد ولا بياض ، فقالوا : هذه بقرة فلان : (الآن جئت بالحق) ، وقبل ذلك والله قد جاءهم بالحق .

قال أبو جعفر : وأولي التأويلين عندنا بقوله : (قالوا الآن جئت بالحق) ، قول قتادة . وهو أن تأويله : الآن بينت لنا الحق في أمر البقر ، فعرّفنا أيها الواجب علينا ذبحها منها . لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم قد أطاعوه فذبحوها ، بعد قيلهم هذا . مع غلظ مؤونة ذبحها عليهم ، وثقل (بكسر الثاء) أمرها ، فقال : (فذبحوها وما كادوا يفعلون) ، وإن كانوا قد قالوا - بقولهم : الآن بينت لنا الحق - هراء من القول ، وأتوا خطأ وجهلا من الأمر . وذلك أن نبي

الله موسى صلى الله عليه وسلم كان مبيناً لهم - في كل مسألة سألوها إياه ، وردّ رادّوه في أمر البقر - الحق . وإنما يقال : " الآن بينت لنا الحق " ، لمن لم يكن مبيناً قبل ذلك ، فأما من كان كلّ قيله - فيما أبان عن الله تعالى ذكره - حقاً وبيانا ، فغير جائز أن يقال ، في بعض ما أبان عن الله في أمره ونهيه ، و أدّى عنه إلى عباده من فرائضه التي أوجبها عليهم ، (الآن جنّت بالحق) ، كأنه لم يكن جاءهم بالحق قبل ذلك ! وقد كان بعض من سلف يزعم أن القوم إرتدوا عن دينهم وكفروا بقولهم لموسى : (الآن جنّت بالحق) ، ويزعم أنهم نفوا أن يكون موسى أتاهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك ، وأن ذلك من فعلهم وقيلهم كفر²⁶².

وليس الذي قال من ذلك عندنا كما قال ، لأنهم أذعنوا بالطاعة بذبحها ، وإن كان قيلهم الذي قالوه لموسى جهلة (بفتح الجيم وتسكين اللام) منهم ، وهفوة من هفواتهم .

القول في تأويل قوله تعالى : "فذبحوها وما كادوا يفعلون "

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله كادوا أن يضيعوا فرض الله عليهم ، في ذبح ما أمرهم بذبحه من ذلك . فقال بعضهم : ذلك السبب كان غلاء ثمن البقرة التي أمروا (بكسر الميم) بذبحها ، وبَيَّنَّت لهم صفتها

1281- عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما : (فذبحوها وما كادوا يفعلون) ، يقول : كادوا لا يفعلون ، ولم يكن الذي أرادوا ، لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها . وكل شيء في القرآن (كاد) او (كادوا) أو (لو) ، فإنه لا يكون . وهو مثل قوله : (أكاد أخفيها) طه : 20 . وقال آخرون : لم يكادوا ان يفعلوا ذلك خوف الفضيحة ، إن إطلع الله على قاتل القتل الذي إختصموا فيه إلى موسى .

قال أبوجعفر : والصواب من التأويل عندنا : أن القوم لم يكادوا يفعلون ما امرهم الله به من ذبح البقرة ، للخلتين كلتيهما : إحداهما : غلاء ثمنها ، مع ما ذكر لنا من صغر خطرهما وقلة قيمتها ، والأخرى : خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم ، بإظهار الله نبيه موسى صلوات الله عليه واتباعه على قاتله وأما ما قلنا من خوفهم الفضيحة على أنفسهم ، فعن وهب بن منبه كان يقول : إن القوم إذ أمروا بذبح البقرة ، إنما قالوا لموسى : (انتخذنا هزوا) ، لعلمهم بأنهم سيفتضحون إذا ذبحت ، فحادوا عن ذبحها

1294- القول في تأويل قوله تعالى : (وإذ قتلتم نفسا فإدأرتم فيها)

قال أبوجعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : (وإذ قتلتم نفسا) ، وإذكروا يا بني إسرائيل إذ قتلتم نفسا . "والنفس " التي قتلوها ، هي النفس التي ذكرنا قصتها في تأويل قوله : (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وقوله : (فإدأرتم فيها) ، يهني : فإختلفتم وتنازعتم . . وإنما هو "فتدأرتم فيها " على مثال "تفاعلتم " ، من الدَّرع (بفتح الدال) . و "الدَّرع" بفتح الدال المشددة وتسكين الراء (العوج (بفتح الواو) يعني بقوله "لا تداري " ، لا تخالف رفيقك وشريكك ولا تنازعه ولا تشاره (بضم الراء المشددة) وإنما أصل (فإدأرتم) ، فتدأرتم ، لكن التاء قريبة من مخرج الدال - وذلك ان مخرج التاء من طرف اللسان وأصول الشفتين ، ومخرج الدال من طرف اللسان واطراف الثنيتين - فأدغمت التاء في الدال فجعلت دالا مشددة كما قال الشاعر تولي (بضم التاء) الضجيع إذا ما إستاقها خصرًا (بفتح الخاء وكسر الصاد) عذب المذاق إذا ما إتأبع القبل (بضم القاف وفتح الباء وضم اللام) يريد : إذا ما تتابع القبل (بضم القاف وفتح الباء) ، فأدغم إحدى التاءين في الأخرى . فلما أدغمت التاء في الدال فجعلت دالا مثلها ، سكنت (بفتح السين والكاف) ، فجلبوا ألفا ليصلوا إلى الكلام بها ، وذلك إذ كان قبله شيء ، لأن الإدغام لا يكون غلا وقبله شيء ن ومنه قوله جل ثناؤه : (حتى إذا إدأركوا فيها جميعا) (الأعراف 38) إنما هو "تدأركوا " ، ولكن التاء منها أدغمت في الدال ،

فصارت دالا مشددة ، وجعلت فيها ألف- إذا وصلت بكلام - قبلها ليسلم الإدغام وقد قيل يقال : "إداركوا" و " إدارأوا " ²⁶³

1306-قال أبو جعفر : فكان إختلافهم وتنازعهم وخصامهم بينهم - في أمر القتل الذي ذكرنا أمره ، على ما روينا عن علمائنا من أهل التأويل - هو "الدرء" الذي قال الله جل ثناؤه لذريّتهم و بقايا و أولادهم : (فإدارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون)

القول في تأويل قوله : " والله مخرج ما كنتم تكتمون - 72

قال أبوجعفر : يعني بقوله : (والله مخرج ما كنتم تكتمون) ، والله معلن ما كنتم تسرونه من قتل القتل الذي قتلتم ، ثم إدارأتم فيه . ²⁶⁴ ومعنى "الإخراج" - في هذا الموضع - الإظهار والإعلان لمن خفي ذلك عنه ، وإطلاعهم عليه ، كما قال الله تعالى ذكره : (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض) (النمل : 27) ، يعني بذلك : يظهره ويطلععه من مخبئه بعد خفائه والذي كانوا يكتمونونه فأخرجه ، هو قتل القاتل القتل . لما كتم ذلك ، القاتل ومن علمه ممن شايعه على ذلك ، حتى أظهره الله و أخرجه ، فأعلن أمره لمن لا يعلم أمره وعني جل ذكره بقوله : (تكتمون) تسرون وتغيّبون ²⁶⁵

1308 -عن مجاهد : (ما كنتم تكتمون) ، ما كنتم تغيّبون .

القول في تأويل قوله تعالى : (فقلنا إضربوه ببعضها) :

²⁶³ الطبري ج1 ص 400

²⁶⁴ الطبري ج1 ص 402

²⁶⁵ الطبري ج1 ص 402

قال أبوجعفر : يعني جل ذكره بقوله : (فقلنا) ، فقلنا لقوم موسى الذين إداروا في القتل - الذي تقدم وصفنا أمره : أضربوا القتل ، و "الهاء" التني في قوله : (إضربوه) ن من ذكر القتل (ببعضها) أي : ببعض البقرة التي أمرهم الله بذبحها فذبحوها .

1316 - عن أبي العالية قال أمرهم موسى أن يأخذوا عظما منها فيضربوا به القتل . ففعلوا ، فرجع إليه روحه ، فسمي لهم قاتله ، وهو الذي أتى موسى فشكا إليه ، فقتله موسى على سوء عمله .

1317 قال أبوجعفر : يعني جل ذكره : ويريكم الله أيها الكافرون المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله - من آياته . و آياته : أعلامه و حججه الدالة على نبوته ، لتعقلوا وتفهموا أنه محق صادق ، فتؤمنوا به وتتبعوه²⁶⁶

ولنقتطف ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ، فقال رحمه الله :

الثانية : قوله تعالى : (إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) مقدّم في التلاوة ، وقوله : "قتلتم نفسا " مقدم في المعنى على جميع ما إبتدأ به من شأن البقرة ، ، لأن الواو لا توجب الترتيب الثالثة : قال الماوردي : وإنما أمروا - والله أعلم - بذبح بقرة دون غيرها ، لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهوّن عندهم ما كان يرونه من تعظيمه ، وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته . وهذا المعنى علّة في ذبح البقرة ، وليس بعلّة في جواب السائل ، ولكن المعنى فيه أن يحيا القتل بقتل حيّ، فيكون أظهر لقدرته في إختراع الأشياء من أضدادها²⁶⁷ .

²⁶⁶ الطبري ج1 ص 404

²⁶⁷ القرطبي الجامع لأحكام القرآن دار الكتب العلمية بيروت ج1 ص 302

وعلة الترتيب بقوله تعالى بالأمر بذبح البقرة قبل آية القتل مع أن القتل سابق بالزمن لذبح البقرة كما أشار القرطبي هو أن التشريع الذي يستنبط من الأمر بذبح البقرة أهم من قتل المقتول . فالقرآن ليس قصصا تتلى للتسلية بل هو للعبرة ولفهم مقاصد الدين والله أعلم . وأضاف القرطبي في تفسيره : قوله تعالى : (قالوا أتتخذنا هزوا) هذا جواب منهم لموسى عليه السلام لما قال لهم : (إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) (البقرة : 67) وذلك أنهم وجدوا قتيلا بين أظهرهم - قيل : إسمه عاميل - وإشتمه امر قاتله عليهم ، ووقع بينهم خلاف ، فقالوا : نقتل ورسول الله بين أظهرنا ، فأتوه وسألوه البيان - وذلك قبل نزول القسامة في التوراة ، فسألوا موسى أن يدعو الله - فسأل موسى عليه السلام ربه فأمرهم بذبح بقرة ، فلما سمعوا ذلك من موسى وليس في ظاهره جواب عما سألوه واحتكموا فيه عنده ، قالوا : أتتخذنا هزوا ؟ والهزة : اللعب والسخرية ، ... وقرأ الجحدري "أيتخذنا " بالياء ، أي قال ذلك بعضهم لبعض فأجاب موسى عليه السلام بقوله : "أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" البقرة 67 لأن الخروج عن جواب السائل المسترشد إلى الهزة جهل ، فاستعاذ منه عليه السلام ، لأنها صفة تنتقي عن الأنبياء . والجهل نقيض العلم فاستعاذ من الجهل ، كما جهلوا في قولهم : أتتخذنا هزوا ، لمن يخبرهم عن الله تعالى ، وظاهر هذا القول يدل على فساد اعتقاد من قاله . ولا يصح إيمان من قال لنبي قد ظهرت معجزته ، وقال : إن الله يأمر بكذا : أتتخذنا هزوا ؟ ولو قال اليوم أحد عن بعض أقوال النبي صلى الله عليه وسلم لوجب تكفيره . وذهب قوم إلى ان ذلك منهم على جهة غلط الطبع والجفاء والمعصية ، على نحو ما قال القائل للنبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنائم حنين : إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله . وكما قال له الآخر : إعدل يا محمد . وفي هذا كله أدل دليل على قبح الجهل ، وانه مفسد للدين .²⁶⁸ . وتعليق القرطبي رحمه الله في غاية الأهمية فقد أورد قصة "إعدل يا محمد " التي وردت في تقسيم غنائم غزوة حنين هي إشارة واضحة للمتعجلين

²⁶⁸ القرطبي الجامع لأحكام القرآن دار الكتب العلمية ج 1 ص 303

في إصدار الأحكام قبل التروي وسبر أغوار الحكم فرسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المال الكثير لزعماء قبائل يتألف قلوبهم وكان هذا تعليل الرسول صلى الله عليه وسلم ليدخل هؤلاء الزعماء في الإسلام فيأمن الإسلام شرا كبيرا ولذا ورد الحديث

26300- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا معشر الأنصار ما حديث أتاني ألا () ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوا بيوتكم لو أخذت الناس شعبا وأخذت الأنصار شعبا أخذت شعب الأنصار²⁶⁹ . فكان تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم مانعا من إنحراف الجهل والله أعلم .

وأضاف القرطبي رحمه الله قوله تعالى : (قالوا أدع لنا ربك) هذا تعנית منهم وقلة طواعية ، ولو إمتثلوا الأمر وذبحوا أي بقرة كانت لحصل المقصود ، لكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، قاله ابن عباس وأبو العالية وغيرهما . ونحو ذلك روى الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى : "قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك " في هذا دليل على جواز النسخ قبل وقت العمل ، لانه لما أمر ببقرة إقتضى أي بقرة كانت ، فلما زاد في الصفة نسخ الحكم الأول بغيره²⁷⁰ وفي ما قاله القرطبي أنفا معلومة هامة وهي جواز النسخ . وهم يهود ينكرون النسخ وقد تمت الإشارة إلى ذلك في الحديث عن تحويل القبلة . وفي ثبوت النسخ إبطال لشبهة يهود الذين يقولون بثبات كتابهم وينكرون نسخ القرآن لكتابهم ، بعبارة أخرى إن أنبياء الله من بني إسرائيل من موسى وداود وسليمان عليهم السلام هم أنبياء الأمة الإسلامية

(أحمد، والبخارى، ومسلم، والنسائي وأبو عوانة عن أنس²⁶⁹

أخرجه أحمد (157/3، رقم 12629) ، والبخارى (1576/4، رقم 4082) ، ومسلم (735/2، رقم 1059) ، والنسائي في الكبرى (87/5، رقم 8327)

²⁷⁰ القرطبي ج 1 ص 304

وما أقامه من دولة على أرض فلسطين هو جزء من تراث الأمة الإسلامية ، وعليه لا معنى من محاولة التقليل التاريخي للدولة الإسلامية التي أقامها أنبياء بني إسرائيل في الأرض المقدسة والله أعلم ، وأضاف القرطبي قوله تعالى : (فأفعلوا ما تؤمرون) تجديد للأمر و تأكيد وتنبيه على ترك التعنت فما تركوه . وهذا يدل على أن مقتضى الأمر الوجوب كما تقوله الفقهاء ، وهو الصحيح على ما هو مذكور في أصول الفقه ، و على أن الأمر على الفور ، وهو مذهب أكثر الفقهاء أيضا . ويدل على صحة ذلك أنه تعالى إستقصرهم حين لم يبادروا إلى فعل ما أمروا به فقال : "فذبوها وما كادوا يفعلون " 71 البقرة ²⁷¹

إثارة الأرض : تحريكها وبحثها ن ومنه الحديث : (أثيروا القرآن فإنه علم الأولين والآخرين) وفي رواية أخرى : (من أراد العلم فليثور القرآن) وقد تقدم . وفي التنزيل : "وأثأروا الأرض " (الروم 9) ²⁷²

وهذه الأوصاف في البقرة سببها أنهم شددوا فشدد الله عليهم ، ودين الله يسر ، والتعمق في سؤال الأنبياء و غيرهم من العلماء مذموم نسأل الله العافية ²⁷³

قوله تعالى (وما كادوا يفعلون) ...وهذا إخبار عن تشبيطهم في ذبحها وقلة مبادرتهم إلى أمر الله . وقال القرطبي محمد بن كعب : لغلاء ثمنها . وقيل : خوفا من الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم ، قاله وهب بن منبه (بضم الميم وفتح النون) ²⁷⁴

²⁷¹ القرطبي ج 1 ص 305

²⁷² القرطبي ج 1 ص 307

²⁷³ القرطبي ج 1 ص 308

²⁷⁴ القرطبي ج 1 ص 309

قوله تعالى : (كذلك يحيي الله الموتى) أي كما أحيا هذا بعد موته كذلك يحيي الله كل من مات... (ويريكم آياته) أي علاماته وقدرته . (لعلكم تعقلون) كي تعقلواأي تمتنعون من عصيانه . وعقلت نفسي عن كذا أي منعتها منه . والمعقل الحصون ²⁷⁵

وأورد الإمام أبي حيان الأندلسي الغرناطي ج1 ص 403 (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) الآية . وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه عاميل ، ولم يدروا قاتله ، وإختلفوا فيه وفي سبب قتله . فقال عطاء والسدي : كان القاتل ابن عم المقتول ، وكان مسكينا ، والمقتول كثير المال . وقيل كان اخاه ، وقيل : ابن أخيه ، ولا وارث له غيره ، فلما طال عليه عمره قتله ليرثه . وقال عطاء أيضا : كان تحت عاميل بنت عم لا مثيل لها في بني إسرائيل في الحسن والجمال ، فقتله لينكحها . وطول المفسرون في هذه الحكاية بما يوقف عليه في كتبهم . والذي سأل موسى البيان هو القاتل ، قاله أبو العالية . وقال غيره : بل إجتمع القوم فسألوا موسى ، ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه تقدم ذكر مخالفتهم لأنبيائهم وتكذيبهم لهم في أكثر أنبيائهم ، فناسب ذلك ذكر هذه الآية لما تضمنت من المراجعة والتعنت والعناد مرة بعد مرة ، وقوله : (وإذ قال) معطوف على قوله : (وإذ أخذنا ميثاقكم) ، وقوم موسى أتباعه و أشياعه ²⁷⁶

وإنما إختص البقر من سائر الحيوانات لأنهم كانوا يعظمون البقر ويعبدونها من دون الله ، فأختبروا بذلك ، إذ هذا من الإبتلاء العظيم ، وهو ان يؤمر الإنسان بقتل من يحبه ويعظمه أو لأنه اراد تعالى أن يصل الخير للغلام الذي كان بارا بأمه ²⁷⁷

²⁷⁵ القرطبي ج1 ص 313

²⁷⁶ أبي حيان الأندلسي الغرناطي "البحر المحيط " دار الفكر 1992 ج1 ص 403

²⁷⁷ المصدر السابق ج1 ص 404

وهنا علة وسبب إيراد قصة البقرة فتعلقت نفوس بني إسرائيل بعجل الذهب وعبدوه من الله فكانت فتنتهم فيما قدموه من حب المال على حب الله وكانت قصة البقرة وفي أمة الإسلام عندما قدمت المال في حبها له على ما أمر الله فكانت المصيبة والفتنة حتى تعود إلى رشدها والله أعلم . واضاف أبي حيان الأندلسي بقولهم : (أنتخذنا هزوا) دليل على سوء عقيدتهم في نبيهم وتكذيبهم له ، إذ لو علموا ان ذلك إخبار صحيح عن الله تعالى ، لما كان جوابهم إلا إمتثال الأمر ، وجوابهم هذا كفر بموسى . وقال بعض الناس : كانوا مؤمنين مصدقين ، ولكن جرى هذا على نحو ما هم عليه من غلظ الطبع والجفاء والمعصية . والعذر لهم أنهم لما طلبوا من موسى تعيين القاتل فقال لهم : (إن الله يأمركم أن تذبحوا) ، رأوا تباين ما بين السؤال والجواب وبعده ، فتوهموا أن موسى داعبهم ، وقد لا يكون أخبرهم في ذلك الوقت بأن القتل يضرب ببعض البقرة المذبوحة فيحيا ويخبر بمن قتله ، او يكون أخبرهم بذلك ، فتعجبوا من إحياء ميت ببعض ميت ، فظنوا أن ذلك يجري مجرى الإستهزاء . وقيل : في الكلام محذوف تقديره : الله أمرك أن تتخذنا هزوا ؟ وقيل : هو إستفهام حقيقة ليس فيه إنكار ، وهو إستفهام إسترشاد لا إستفهام إنكار وعناد .

(قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين) ، لما فهم موسى عليه السلام عنهم أن تلك المقالة التي صدرت عنهم إنما هي لإعتقادهم فيها أنه أخبر عن الله بما لم يأمر به ، إستعاذ بالله وهو الذي أخبر عنه ، ان يكون من الجاهلين بالله ، فيخبر عنه بأمر لم يأمر به تعالى ، إذ الإخبار عن الله تعالى بما لم يخبر به الله إنما يكون ذلك من الجهل بالله تعالى . وقوله : من الجاهلين ، فيه تصريح أن ثم جاهلين ، وإستعاذ بالله أن يكون منهم ن وفيه تعريض أنهم جاهلون ، وكأنه قال : أن أكون منكم ، لأنهم جوّزوا على من هو معصوم من الكذب وخصوصا في التبليغ ، عن الله ان يخبر عن الله بالكذب . قالوا : والجهل بسيط ، ومركب البسيط : عام وخاص . العام : عدم العلم بشيء من المعلومات ، والخاص : عدم العلم

ببعض المعلومات ، والمركب : أن يجهل ، ويجهل أنه يجهل . فالعام والمركب لا يوصف بهما من له بعض علم ، فضلا عن نبي شرف بالرسالة والتكليم ، وذلك مستحيل عليه ، فيستحي أن يستحيل منه إلا على سبيل الأدب . فالذي إستعاذ منه موسى هو خاص ، وهو المفضي إلى أن يخبر عن الله تعالى مستهزئا ، أو المقابل لجهلهم . فقالوا : أتتخذنا هزوا لمن يخبرهم عن الله ، أو معناه الإستهزاء بالمؤمنين . فإن ذلك جهل ، أو من الجاهلين بالجواب ، لا على وفق السؤال ، إذ ذاك جهل ، والأمر من تلقاء نفسي ، وأنسبه إلى الله ، والخروج عن جواب السائل المسترشد إلى الهزء ، فإن ذلك جهل . وهذه الوجوه الستة مستحيلة على موسى . قيل : وإنما إستعاذ منها بطريق الأدب ، كما إستعاذ نوح عليه السلام (أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لي به علم) ، وكما في : (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) ، وإنما قالوا ذلك بطريق الأدب مع الله والتواضع له ²⁷⁸ . على أنني أستبعد أن يكون سؤالهم من باب التواضع والدليل أن الله شدد عليهم جزاء وفاقا بل إن سؤالهم كما ورد في أسئلة يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما أورد البقاعي في تفسير بداية سورة الأحزاب حيث قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1) الأحزاب . فقال : {ولا تطع الكافرين} أي الممانعين {والمنافقين} أي المصانعين في شيء من الأشياء لم يتقدم إليك الخالق فيه بأمر وإن لاح لائح خوف أو برق بارق رجاء ، ولا سيما سؤالنا في شيء مما يقترحونه رجاء إيمانهم مثل أن تعين لهم وقت الساعة التي يكون فيها الفتح ، فإنهم إنما يطلبون ذلك استهزاء ، قال أبو حيان : وسبب نزولها أنه روي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم المدينة كان يحب إسلام اليهود ،

²⁷⁸ البحر المحيط ج1 ص 405

فتابعه ناس منهم على النفاق، وكان يلين لهم جانبه، وكانوا يظهرن النصائح من طرق

المخادعة، فنزلت تحذيراً له منهم، وتنبيهاً على عداوتهم - انتهى²⁷⁹

وأضاف أبو حيان الأندلسي رحمه الله في تفسيره : (فافعلوا ما تؤمرون) : أي من ذبح البقرة ، ولا تكرروا السؤال ، ولا تعنتوا في أمر ما أمرتم بذبحه . ويحتمل أن تكون هذه الجملة من قول الله ، ويحتمل أن تكون من قول موسى ، وهو الأظهر . حرّضهم على إمتثال ما أمروا به ، شفقة منه ، وما موصولة ، والعائد محذوف تقديره : ما تؤمرونه ، وحذف الفاعل للعلم به ، إذ تقدم أن الله يأمركم ، و لتناسب أواخر الآي²⁸⁰

(وإنّا إن شاء الله لمهتدون) : أي مهتدون إلى عين البقرة المأمور بذبحها ، أو إلى ما خفي من أمر القاتل ، أو إلى الحكمة التي من أجلها أمرنا بذبح البقرة . وفي تعليق هدايتهم بمشيئة الله إنابة وإنقياد ودلالة على ندمهم على ترك موافقة الأمر . وقد جاء في الحديث : ولو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد " ²⁸¹ قال الماتريدي : إن قوم موسى ، مع غلظ أفهامهم وقلة عقولهم ، كانوا أعرف بالله وأكمل توحيداً من المعتزلة ، لأنهم قالوا : (وإنّا إن شاء الله لمهتدون) ، والمعتزلة يقولون : قد شاء الله أن يهتدوا ، وهم شأؤوا أن لا يهتدوا ، فغلبت مشيئتهم مشيئة الله تعالى ، حيث كان الأمر على : ما شأؤوا إلا كما شاء الله تعالى ، فتكون الحجة لنا على المعتزلة . إنتهى كلامه ²⁸²....والجملة من قوله تعالى : (والله مخرج ما كنتم تكتمون) إعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ، مشعرة بان التدارؤ لا يجدي شيئاً ، إذ

نظم الدرر ج15 ص 276 ²⁷⁹

²⁸⁰ البحر المحيط ج1 ص 407

²⁸¹ البحر المحيط ج1 ص 411

²⁸² البحر المحيط ج1 ص 411

الله تعالى مظهر ما كتم من امر القتل . والهاء في اضربوه عائد على النفس ، على تذكير النفس²⁸³

(لعلكم تعقلون) : أي لعلكم تمتنعون من عصيانه ، وتعملون على قضية عقولكم ، من أن من قدر على إحياء نفس واحدة ، قدر على إحياء الأنفس كلها ، لعدم الإختصاص ، (ما خلقتكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) ، أي كخلق نفس واحدة وبعثها .²⁸⁴

ثم ننقل بإقتباسنا للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور حيث أورد رحمه الله :

ولما بين تعالى قساوتهم في حقوقه عامة ثم خاصة أتبعه بيان جساوتهم في مصالح أنفسهم لينتج أنهم أسفه الناس ولما كان من حقهم المبادرة إلى الإمتثال والشكر فلم يفعلوا بين فظاظتهم على طريق الإستئناف معظما لها بقوله حكاية عنهم "قالوا أتتخذنا هزوا " أي مكان هزة ومهزوءا بنا حين نسألك عن قتيل فتأمرنا بذبح بقرة ، فجمعوا إلى ما أشير إليه من إساءتهم سوء الأدب على من ثبتت رسالته بالمعجزة فرد كلامه كفر ، فذكرهم بما رأوا منه من العلم بالله المنافي للهزة بان قال " أعوذ بالله " أي أعتصم بمن لا كفوء له من "أن أكون من الجاهلين " ²⁸⁵

ورد في حاشية نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج1 ص 467

قال البيضاوي : لأن الهزة في مثل ذلك (أي مقام الإرشاد وبيان الأحكام) جهل وسفه ، نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الإستعاذة إستفظاعا له ²⁸⁶

²⁸³ البحر المحيط ج1 ص 411

²⁸⁴ البحر المحيط ج1 ص 421

²⁸⁵ الإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي " نظم الدرر في تناسب الآيات

والسور " المكتبة التجارية " دار الكتاب الإسلامي ج1 ص 466

²⁸⁶ حاشية نظم الدرر ج1 ص 467

فإنه لا يستهزئ إلا جاهل ، والعود اللجاء من متخوف لكاف يكفيه والجهل التقدم في الأمور المنبهمة بغير علم - قاله الحرالي ، قالوا تماديا في الغلظة "أدع لنا ربك " أي المحسن إليك فكان تخصيصهم له بالإضافة غاية في الجفاء "يبين" من التبیین وهو إقتطاع الشيء ، والمعنى مما يلابسه ويدخله - قاله الحرالي . والمراد المبالغة في البيان بما يفهمه صيغة التفعيل "لنا ما هي" ²⁸⁷..... (فأفعلوا ما تؤمرون) فإن الإعتراض على من يجب التسليم له كفر فلم يفعلوا بل سألوا بيان اللون بعد بيان السن²⁸⁸..... ثم عللوا تكريرهم لذلك بقولهم "إن البقر " أي الموصوف بما قدمته "تشابه" أي وقع تشابهه "علينا" وذكر الفعل لأن كل جمع حروفه أقل من حروف واحده فإن العرب تذكره ، نقل عن سيبويه ، ثم أدركتهم العناية فقالوا : "إنا إن شاء الله " أي الذي صفات الكمال و أكدوا لما أوجب توقفهم من عنادهم وقدموا التبرك بالمشيئة لذلك على خبر إن "لمهتدون " أي إلى المراد فتبركوا بما لا تكون البركة إلا به "قال إنه يقول إنها" أي هذه البقرة التي أطلتم التعنت في أمرها "بقرة لا ذلول" وهو حسن الإنقياد - قاله الحرالي ثم وصف الذلول بقوله "تثير الأرض " أي يتجدد منها إثارتها بالحرث كل وقت من الإثارة قال الحرالي : وهي إظهار الشيء من الثرى ، كأنها تخرج الثرى من محتوى اليبس ، ولما كان الذل وصفا لازما لها لا انها بحيث لا يوجد منها ذل أصلا ، فإنها لو كانت كذلك كانت وحشية لا يقدر عليها أصلا ²⁸⁹ ولما كان لا يتم وصفها بإنقضاء الذل إلا بنفي السقي عنها وكان امرا يتجدد ليس هو صفة لازمة كالذل عبر فيه بالفعل و أصحابه لا عطفا على الوصف على تثير لئلا يفسد المعنى فقال واصفا للبقرة "ولا تسقي الحرث " أي لا يتجدد منها سقية بالساقية كل

²⁸⁷ نظم الدرر ج1 ص 468

²⁸⁸ نظم الدرر ج1 ص 468

²⁸⁹ نظم الدرر ج1 ص 470

وقت ، ويجوز أن يكون إثبات لا فيه تنبيهها على حذفها قبل تثير / فيكون الفعلان المنفيان تفسيراً على سبيل الإستئناف لا ذلول ، وحذف لا قبل تثير لئلا يظن بأنه معها وصف لذلول فيفسد المعنى ، والمراد أنها لم تذلل بحرث ولا سقي ومعلوم من القدرة على إبتياعها وتسلمها للذبح أنها ليست في غاية الإباء كما آذن به الوصف بذلول ، كل ذلك لما في التوسط من الجمع لأشياء الخير "مسلمة" أي من العيوب "لا شية" أي علامة "فيها" تخالف لونها بل هي صفراء كلها حتى قرننها وظلفها "قالوا الآن" أي في هذا الحد من الزمان الكائن الفاصل بين الماضي والآتي "جئت بالحق" أي الأمر الثابت المستقر البين من بيان وصف البقرة فحصلوها "فذبحوها" أي فتسبب عما تقدم كله أنهم ذبحوها "وما كادوا" أي قاربوا قبل هذه المراجعة الأخيرة "يفعلون" قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو ذبحوا بقرة لأجزأتهم لكنهم شددوا في السؤال فشدد الله عليهم - يعني أنهم كلفوا بالأسهل فشددوا فنسخ بالأشق²⁹⁰

ويجوز ان يقال إنه لما كان من جملة ما إستخفوا به السبت المسارعة إلى إزهاق ما لا يحصى من الأرواح الممنوعين منها من الحيتان وكان في قصة البقرة التعنت والتباطؤ عن إزهاق نفس واحدة أمروا بها تلاه بها ،

ومن أحاسن المناسبات أن في كل من آيتي القردة والبقرة تبديل حال الإنسان بمخالطة لحم بعض الحيوانات العجم ، ففي الأول إخراسه بعد نطقه بلحم السمك ، وفي الثانية إنطاقه بعد خرسه بالموت بلحم البقر ولعل تخصيص لحم البقر بهذا الأمر لإيقاظهم من رقدتهم وتنبيههم من غفلتهم عن عظيم قدرة الله تعالى لينزع من قلوبهم التعجب من خوار العجل الذي عبده ، وقال أبو الحسن الحرالي : تشام بين أحوالهم في إتخاذهم العجل وفي طلبهم ذلك ، وفي كل مناسبة بين طباعهم وطباع البقرة المخلوقة للكّد وعمل الأرض التي معها التعب والذل والتصرف

فيما هو من الدنيا توغلا فيها وفيه نسمة مطلبهم ما تنبت الأرض الذي هو أثر الحرث - يعني الذي أبدلوا الحطة به وهو حبة في شعرة ، فكأنهم بذلك أرضيون ترابيون لا تسمو طباع أكثرهم إلى الأمور الروحانية العلوية ، فإن جيلة كل نفس تناسب ما تنزع إليه وتلهج به من أنواع الحيوان " جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا " - انتهى²⁹¹

لقد دعى الله بني إسرائيل للأيسر بدعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأبوا وإنتهى الأمر بهم بالذبح كما إنتهى بذلك شبيهه معبودهم البقرة شبيهة العجل ، وهم مع هذا يكدون ويتعبون ويرهقوا أنفسهم ووول المال الذي تقاتلوا عليه للمسلمين بعد طول عناء كما في قصة البقرة حيث إنتهى بالمال لليتيم الذي باعهم البقرة بملئها ذهباً كما سبق وستنتهي ثروات يهود كما إنتهت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فإن الله شديد المحال . وأضاف البقاعي رحمه الله ولما قسمت القصة شطرين تنبيهاً على النعمتين : نعمة العفو عن التوقف عن الأمر ونعمة البيان للقاتل بالأمر الخارق ، وتنبيهاً على ان لهم بذلك تقريعين : أحدهما بإساءة الأدب في الرمي بالإستهزاء والتوقف عن الإمتثال والثاني على قتل النفس وما تبعه ، ولو رتبت ترتيبها في الوجود لم يحصل ذلك ، وقدم الشطر الأنسب لقصة السبب أتبعه الآخر .²⁹²

وقال الحرالي : قدم نبأ قول موسى عليه السلام على ذكر تدارؤهم في القتل إبتدأ بأشرف القصدين من معنى التشريع الذي هو القائم على أفعال الإعتداء وأقوال الخصومة - انتهى . فقال تعالى "واذ" أي واذكروا إذ، وأسند القتل إلى الكل والقاتل واحد لان ذلك عادة العرب ، لأن عادة القبيلة المدافعة عن احدهم فقال "قتلتم نفسا " فأقبل عليهم بالخطاب وتوبيخا لهم وإشارة

²⁹¹ نظم الدرر ج1 ص 474

²⁹² نظم الدرر ص 474

إلى ان الموجودين منهم راضون بما مضى من أسلافهم وان من ودّ شيئاً كان من عملته .²⁹³
لقد قدم الله تعالى الأمر التشريعي بذبح البقرة على عملية القتل كما أشار إلى ذلك الحرالي
لأن الأمر التشريعي متعلق بكل الأمة وإن كان الأمر التشريعي متأخر زماناً والله أعلم . وقال
البقاعي رحمه الله :ولما كانوا قد أنكروا القتل سبب عنه قوله مشيراً إلى إخفائه بالإدغام "فإذّارتم
فيها " أي تدافعتم فكان كل فريق منكم يردّ القتل إلى الآخر فكان لكم بذلك ثلاثة آثام : إثم
الكبيرة وإثم الإصرار وإثم الإفتراء بالدفع ...²⁹⁴

لقد خاطبت الآيات بنو إسرائيل المعاصرين كما لو أنهم كانوا حاضرين لذلك القتل لرضائهم
بجريمة القتل وعدم ندمهم على ذلك وهذا يدل على أن القتل ديدنهم فقد حاولوا قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة بني النضير بمحاولة إلقاء حجر على رأسه الشريف صلى الله
عليه وسلم ودس يهود السم في ذراع الشاة التي أكل منها في غزوة خيبر والله أعلم .

وأضاف البقاعي رحمه الله :ولما كان فعلهم في المداراة فعل غافل عن إحاطة علم الخالق
سبحانه قال يحكي حالهم إذ ذاك "والله" أي والحال أن الذي له الامر كله "مخرج" بلطيف صنعه
وعظيم شأنه "ما كنتم تكتُمون " . وفي قول البقاعي أنفاً تذكير لنا بما ذكرناه حول الآيات التي
تلت قصة البقرة بقوله تعالى "أتحدثونهم بما فتح الله عليكم " وذلك أن الآيات تبحث نفس
الموضوع وهو أن يهود يتصرفون كما لو أن الله غير مطلع عليهم لفرط غباوتهم والله أعلم .
وأضاف البقاعي رحمه الله :وفي تقديمه أيضاً زيادة تبكيث لهم بتوقفهم في ذبح بقرة أمروا
بذبحها لمصلحة لهم عظيمة بعد مبادرة بعضهم على قتل إنسان مثله بعد النهي الشديد عنه
وقال منبهاً بالإلتفات إلى أسلوب العظمة على ما في الفعل المأمور به منها "فقلنا" أي بما لنا

²⁹³ نظم الدرر ج1 ص 475

²⁹⁴ نظم الدرر ج1 ص 476

من العظمة "إضربوه" وأضمر ذكر البقرة ولم يظهر دلالة على إتحاد هذا الشق الأول من القصة الذي جعل ثانيا بالشق الذي قبله في أنهما قصة واحدة فقال "ببعضها" .

قال الإمام أبو علي الفارسي في كتاب الحجة : قلنا إضربوا المقتول ببعض البقرة فضربوه به فحي ، يعني والدليل على هذا المحذوف قوله "كذلك" أي مثل هذا الإحياء العظيم على هذه الهيئة الغريبة "يحيي الله " أي الذي له صفات الكمال "الموتى" مثل هذا الإحياء الذي عوين وشوهد - انتهى .

روي أنهم لما ضربوه قام وقال : قتلني فلان لإبني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك²⁹⁵

وتعبير الحق تبارك وتعالى بقوله "قلنا " بلغة العظمة لأن تعظيم أوامر الله من تعظيم الله سبحانه وتعالى وكذا شرائع الإسلام . وهنا تلحظ ان قصة البقرة هي ملخص لقصة الإستخلاف في الأرض بتنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى والله أعلم . وأضاف البقاعي رحمه الله قائلا: "وعبر بالإسم العلم لأن الإحياء من أخص الآيات بصفة الإلهية كما أن الإرزاق أخص الآيات بالربوبية "ويريكم آياته" فيما يشهد بصحته "لعلكم تعقلون" أي لتكونوا برؤية تلك الآيات الشاهدة له على رجاء من أن يحصل لكم عقل فيرشدكم إلى إعتقاد البعث وغيره مما تخبر به الرسل عن الله تعالى .

إن قصة البقرة في سورة البقرة مليئة بالعبر والحكم فهي كما قال الزمخشري ونقل عنه ابن حيان الأندلسي في البحر المحيط ج1 ص 421

وقال الزمخشري : في الأسباب والشروط حكم وفوائد ، وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب ، وأداء التكليف ، وإكتساب الثواب ، والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب ، وما

في التشديد عليهم ، لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد ، والمسارة إلى إمتثال أوامر الله تعالى ، وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ، ونفع اليتيم بالتجارة الربحة ، والدلالة على بركة البر بالأبوين ، والشفقة على الأولاد ، وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ، ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء . وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق في إختيار ما يتقرب به ، و أن يختاره فتى السن غير فخم ولا ضرع، حسن اللون بريئاً من العيوب ، يونق من ينظر إليه ، وأن يغالي في ثمنه ، كما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه ، إنه ضحى بنجبية بثلاثمائة دينار ، وأن الزيادة في الخطاب نسخ له ، وإن النسخ قبل الفعل جائز ، و إن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البدء ، وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت ، وحصول الحياة عقيبه ، وإن المؤثر هو المسبب لا الأسباب ، لأن الموتى الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حياة . إنتهى كلامه ، وهو حسن ²⁹⁶ .

ولم أر ذكر قصة البقرة في التوراة فلعله مما أخفوه لبعض نجاساتهم كما أشير إليه بقوله تعالى "تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا" ²⁹⁷

لقد أخفى يهود قصة البقرة من التوراة في عهد الإمام البقاعي رحمه الله وهو أي الإمام البقاعي إستشهد في تفسيره بكثير من نصوص التوراة في عهده وهو المتوفي سنة 885هـ الموافق 1480 م . وهذا يعني أن هذه القصة من الخطورة بمكان فأخفاها يهود كما أخفوا ذكر نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لعلمهم بخطورة هذه القصة كما شرحنا آنفا والله أعلم.

²⁹⁶ البحر المحيط ج1 ص 421

²⁹⁷ نظم الدرر ج1 ص 484

المطلب الثاني: الأمر بذبح البقرة تشريع لنا:

في نهاية تفسير قصة البقرة في المطلب السابق ذكرت قول الله عز وجل "فقلنا" وانه جاء بصيغة العظمة المنسوبة لله لأن هذه القصة تبين آيات الله من أعمال بسيطة فبينت هذه القصة حياة إنسان بعد موته بضرب عظام ببعضها فلا العظام ولا الميت ولا البقرة بهم شيء من العظمة وإنما هو امر الله وآياته سبحانه وتعالى هي العظيمة التي سميت لعظمتها سميت السورة بإسم هذه الحادثة، والحقيقة أن الأمر بذبح البقرة مشابه لأمر الله لنا في سورة النساء لقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)} [النساء: 58].

قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية ولما تقدم في هذه السورة الأمر بالإحسان والعدل في النساء واليتامى في الإرث وغيره، وفي غير ذلك من الدماء والأموال والأقوال والأفعال، وذكر خيانة أهل الكتاب وما أحل بهم لذلك من العقاب، وذكر أنه آتى هذه الأمة الملك المقتضي للحكم، وآتاهم الحكمة بعد جهلهم وضعفهم؛ أقبل عليهم بلذيق خطابه بعد ما وعدهم على امتثال أمره من كريم ثوابه بما ختمه بالظل الموعود على العدل في حديث «سبعة يظلمهم الله في ظله» فقال: {إن الله} أي الذي له صفات الكمال {يأمركم} أي أيتها الأمة {أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها} أي من غير خيانة ما، كما فعل أهل الكتاب في كتمان ما عندهم والإخبار بغیره، والأمانة: كل ما وجب لغيرك عليك²⁹⁸.

إن القضية المشتركة بين هذه الآية وقصة البقرة في سورة البقرة ليس فقط قوله تعالى "إن الله يأمركم" بل المشترك أكبر من ذلك وهو يتكلم عن تضييع الأمانة عند الأمة الإسلامية ، فتكون النتيجة هي ان يتحايل حكام المسلمين الخائنين على قوانين الشريعة ولا يحكموا بما أنزل الله فيدب الفساد لجسد الأمة فتكون الكارثة بأن تنكشف الخيانة فتغطى بخيانة أكبر منها وهكذا يستمر مسلسل التحايل على دين الله و أوامر الله والذي لا ينتج عنه إلا الضيق في المعيشة

لعموم المسلمين وهذه الآية كما قال الطبري رحمه الله في تفسيره إقال أبو جعفر : إختلف أهل التأويل فيمن عني (بضم العين) بهذه الآية . فقال بعضهم : عني بها ولادة أمور المسلمين 299 وأورد الطبري أيضا عن ابن جريج قوله : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) قال : نزلت في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، قبض منه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة ، ودخل به البيت يوم الفتح ، فخرج وهو يتلو هذه الآية ن فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح . قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية : فداه أبي و أمي ! ما سمعته يتلوها قبل ذلك .

وعن الزهري قال : دفعه إليه وقال : أعينوه قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب : قول من قال : هو خطاب من من الله لولادة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا (بفتح الواو وضم اللام) مره في فيئهم وحقوقهم ، وما إئتمنوا عليه من أمورهم ، بالعدل بينهم في القضية ، والقسم بينهم بالسوية 300.

وقال الدكتور عبدالعظيم إبراهيم المطعني في كتابه "التفسير البلاغي للإستفهام"

"توكيد الخبر في "إن الله يأمركم أن تذبخوا بقرة " لدفع الإنكار الذي تولد عن هذا الأمر غير المؤلف عند قومه "301 طبعا نفس صيغة التاكيد وردت في آية سورة النساء ويعني هذا أن هذا الأمر وتوكيد الخبر لدفع الإنكار الذي يتولد عند الناس بهذه الصيغة وأورد الطبري في تفسير هذه الآية

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} [النساء: 58] عَنْ الْحَسَنِ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ ائْتَمَنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» [ص:173] فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ إِذَا ، إِذْ كَانَ

الطبري ج4 ص 147 299

الطبري ج4 ص 148 300

د عبدالعظيم المطعني "التفسير البلاغي للإستفهام" مكتبة وهبة " الطبعة الثانية 2007م ج1 ص67 301

الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ يَا مَعْشَرَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تُؤَدُّوا مَا اتَّيَمَّنْتُمْ عَلَيْهِ رَعِيَّتَكُمْ مِنْ فَيْنِهِمْ وَحُقُوقِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَصَدَقَاتِهِمْ إِلَيْهِمْ عَلَى مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، بِإِدَاءِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَنْ هُوَ لَهُ بَعْدَ أَنْ تَصِيرَ فِي أَيْدِيكُمْ ، لَا تَظْلِمُوهَا أَهْلَهَا وَلَا تَسْتَأْثِرُوا بِشَيْءٍ مِنْهَا وَلَا تَضَعُوا شَيْئًا مِنْهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَلَا تَأْخُذُوهَا إِلَّا مِنْ أَيْنَ اللَّهُ لَكُمْ بِأَخْذِهَا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ فِي أَيْدِيكُمْ؛ وَيَأْمُرُكُمْ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ رَعِيَّتِكُمْ أَنْ تَحْكُمُوا بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، وَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَبَيَّنَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ، لَا تَعْدُوا ذَلِكَ فَتَجُورُوا عَلَيْهِمْ³⁰² وأضاف الطبري رحمه الله في تفسير نفس الآية الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58] يَغْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يَا مَعْشَرَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّ الشَّيْءُ يَعِظُكُمْ بِهِ ، وَنِعِمَّتِ الْعِظَةُ يَعِظُكُمْ بِهَا فِي أَمْرِهِ إِيَّاكُمْ ، أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَنْ تَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا} [النساء: 58] يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ سَمِيعًا بِمَا تَقُولُونَ وَتَنْطِقُونَ ، وَهُوَ سَمِيعٌ لِذَلِكَ مِنْكُمْ [ص:174] إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ وَلَمْ تُحَاوِرُوهُمْ بِهِ {بَصِيرًا} [النساء: 58] بِمَا تَفْعَلُونَ فِيمَا اتَّيَمَّنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ رَعِيَّتِكُمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَمَا تَقْضُونَ بِهِ بَيْنَهُمْ مِنْ أَحْكَامِكُمْ بَعْدَ تَحْكُمُونَ أَوْ جَوْرٍ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، حَافِظٌ ذَلِكَ كُلَّهُ ، حَتَّى يُجَازِيَ مُحْسِنَكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَمُسِيئَكُمْ بِإِسَاءَتِهِ ، أَوْ يَغْفُو بِفَضْلِهِ³⁰³ والمال هو فتنة المسلمين ، قال البقاعي في كتابه رحمه الله :

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرُوا أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ⁽⁶⁹⁾.

بالكلية الفائزون هم المؤمنون فمن فوقهم من المحسنين والموقنين، ومزيد تفضيل في ذلك وتنشئة قول بما ينبه عليه بحول الله تعالى من جهات تتبع طوائف من هذه الأمة سنن من تقدمهم في ذلك، أما وجه تكرار دين الذين أشركوا في هذه الأمة فباتخاذهم أصناماً وآلهة يعبدونها من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون الأصنام والأوثان من الحجارة والخشب واتخذت هذه

الطبري ج4 ص 149³⁰²

الطبري ج4 ص 149³⁰³

الأمة بوجه اللطف وأخفى أصناماً وأوثاناً فإنها اتخذت الدينار والدرهم أصناماً والسبائك والنقر أوثاناً من حيث إن الصنم هو ما له صورة والوثن ما ليس له صورة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «صنم أمتي الدينار والدرهم» وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لكل أمة عجل وعجل أمتي الدينار والدرهم» فلا فرق بين ظن المشرك أن الصنم الذي صنعه بيده ينفعه وظن المفتونين من هذه الأمة أن ما اكتسبوا من الدينار والدرهم ينفعهم حتى يشير مثلهم: ما ينفعك إلا درهمك {يحلِفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم} [التوبة: 74] فما من آية نزلت في المشركين في ذكر أحوالهم وتبيين ضلالهم وتفاصيل سرهم وإعلانهم إلا وهي منطبقة على كل مفتون بديناره ودرهمه، فموقع قول المشركين في أصنامهم {ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} [الزمر: 3] مثله موقع نظيره من قول المفتون....: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إنما أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلاككم» فكل من أحبهما وأعجب بجمعهما فهو مشرك هذه الأمة وهما لاته وعزاه اللتان تبطلان عليه قول لا إله إلا الله لأنه تأله ماله؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لا إله إلا الله نجاة لعباد الله من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم»

قال صاحب القوت (وفي الخبر إن لكل أمة عجلاً وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم) - 304

رويناه من طريق

قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفروس من طريق أبي عبد الرحمن السلمى من

.حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة اهـ

قلت: لفظ الديلمي لكل أمة عجل يعبدونه وعجل أمتي الدراهم والدنانير وروى أيضاً من حديث أبي هريرة

لكل شيء آفة تفسدوه وأعظم الآفات آفة تصيب أمتي حبهم الدنيا وحبهم الدينار والدرهم وفي القوت وفي

.الأثر لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي هذا المال

فمن وجد من هذا مسة فليسمع جميع ما أنزل في المشركين من القرآن منطبقاً عليه ومنزلاً إليه وحافاً به حتى يخلصه الله من شركه كما خلاص من أخرجه من الظلمات إلى النور من الأولين، فتخلص هذا المشرك بما له من ظلمته التي غشيت ضعيف إيمانه إلى صفاء نور الإيمان في مضمون قوله تعالى {ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور} [الطلاق: 11] فهذا وجه تفضيل يبين نحواً من تكرر دين الشرك في هذه الأمة، وأما وجه وقوع المجوسية، ونظيرها في هذه الأمة فإطباق الناس على رؤية الأفعال من أنفسهم خيرها وشرها وإسنادهم أفعال الله إلى خلقه حيث استحكمت عقائدهم على أن فلاناً فاعل خير وفلاناً فاعل شر وفلاناً يعطي وفلاناً يمنع وفلاناً خير مني وفلاناً أعطاني، حتى ملؤوا الدواوين من الأشعار والخطب والرسائل أمداحاً لخلق الله على ما لم يفعلوا وذمماً لهم 305

طبعاً يأس الشيطان أن يعبد من دون الله في جزيرة العرب لكنه أي الشيطان يدفع العرب والمسلمون إلى الإشراف بالله بعبادة المال ، ولو أن حكام المسلمين طبقوا شريعة الله كما أنزلها الله لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم لقوله تعالى:

{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)} [المائدة: 66]

فهذا عمر بن عبدالعزيز حين حكم بالسوية فاض الخير على المسلمين كما هو معروف في كتب التاريخ والله أعلم

المبحث الثاني

أهم صفات يهود التوي توضحها القصة، ومدى إستمرارية يهود على سلوكهم التي بينتها قصة البقرة

المطلب الأول: أهم صفات يهود وإستمراريتهم عليها:

كما أسلفنا في المطلب السابق فإن يهود أخفوا قصة البقرة من كتبهم كما ذكر البقاعي رحمه الله والذي أعتقده أنهم يهود أخفوا قصة البقرة لأسباب هامة وهي أن قصة البقرة توضح بجلاء الصفات اليهودية الذميمة وهي إجمالاً كما يلي :

أولاً :الحب الشديد والشره للمال ومحاولة تحصيله بكل الطرق بغض النظر عن أساليب التحصيل دون رادع أخلاقي وذلك لأن جريمة القتل التي حدثت بسبب الحرص على تحصيل مال القتل .

ثانياً : محاولة يهود التشكيك بآيات الله التي تفضحهم ويقين يهود أن آيات الله كاشفة لمؤامراتهم وهذه نقطة فارقة بين يهود وغيرهم من المفسدين . وذلك أن غير يهود مغرر بهم في المبادئ التي يدعون لها . لكن يهود يعرفون فساد ما يدعون له ، وذلك لقوله تعالى "يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون "71 آل عمران . فهم يهود يشاركون الشيطان في معرفتهم وتأكدهم من الحق . وفي نفس الوقت يتآمرون على الإسلام والمسلمين .

ثالثاً : ان أعمال يهود تتم بصورة بالغة السرية وتحتاج إلى جهود جبارة لكشف مؤامراتهم . كما وأن المؤامرة التي تتم من يهود تتم بصورة جماعية منظمة بجهود بشرية هائلة وبتوجيه المنافقين في المدينة لتنفيذ مخططات مع علم يهود القطعي أن الذي يواجهونه هو الحق بدعوة الإسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم . وهؤلاء المنافقين لا يعرفون وجهة ما يفعلونه ولا أثره ولكنهم منقادون ليهود الذين ينفذون مؤامرة يعرفون بالضبط منتهاها والأهداف الشيطانية التي يريدون الوصول إليها وهدف كل مرحلة في أثناء التنفيذ ولهذا كان في قراءة (أيتخذنا هزواً) أي يحدث بعضهم بعضاً . بعبارة أخرى هذه كناية عن التعبئة الداخلية . وفي قراءة أخرى

(أنتخذنا هزوا) وهذه القروءة تعني الكلام العلني مع سيدنا موسى عليه السلام . وبعبارة أخرى فإن مؤامرة يهود تبدأ بتدبير داخلي ثم لا تلبث أن تخرج للعلن . فهم يشبهون الشيطان بالوسوسة التي توحى بالتكرار وخداع الذين آمنوا أي الذين إبتدأوا بالإيمان . فلقد قال تعالى عن المنافقين المنفذين لمؤامرة يهود (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) 9 البقرة ولاحظ هنا أن الخداع يقع على الذين آمنوا وليس المؤمنين الراسخين في الإيمان فهم أي يهود شابهوا الشيطان بتحينه الفرص لمحاربة الإسلام عن علم وعزيمة .

رابعا : إن آيات الله سبحانه وتعالى فاصلة وكاشفة لمؤامرات يهود فهم أي يهود يصدون عنها بكل ما أوتوا من قوة بمنع وصول تأثير هذه الآيات للناس أو بتشويه الفكرة التي توضحها هذه الآيات . (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) 26 فصلت.

خامسا : إن قصة البقرة تمثل نصر الله العجيب للفئة المؤمنة الغافلة عما يدبر لها . وهو الله يتولى فضح يهود وإذلالهم وجعل كيدهم سببا لهلاكهم بعد إرهابهم . (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) 12 آل عمران .

سادسا : إن يهود يطرحون مؤامراتهم لعامة الناس التي تنطلي على قطاع كبير منهم بفضل إحكام هذه المؤامرة وذلك بتعبئة الرأي العام لصالح شبهاتهم بجهود الإعلام في كل وقت ما يناسبه بحيث يكون أصحاب الدين في وضع حرج من شدة الحملة الإعلامية اليهودية ويدل على حرج اهل الدين من الموقف الذي وضعوا فيه قول موسى عليه السلام "أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " فالمستعيز يستعيز من أمر مخيف قوي جدا .

سابعا : إن في غمرة هذه المؤامرة هناك من ينخدع بدعوى يهود يجب أن يجابه بالدعوة بلطف وبالأسلوب الحسن في المرحلة التي لم تتضح فيها خيوط المؤامرة لقوله تعالى "فأفعلوا ما تؤمرون " . بعبارة أخرى إن من بين من ينفذ مؤامرة يهود بدون وعي لما يحاك وماذا ستؤول

إليه الأحداث . فينفذ سياسات تخدم أهداف يهود في النهاية فعلى سبيل المثال ما حدث في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ما ورد على لسان عبدالله بن عكيم فلقد ورد في مصنف ابن أبي شيبة

32706- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُكَيْمٍ : لَا أُعِينُ عَلَى قَتْلِ خَلِيفَةٍ بَعْدَ عُثْمَانَ أَبَدًا ، قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : وَأَعَنْتَ عَلَى دَمِهِ ، قَالَ : إِنِّي أَعِدُّ ذِكْرَ مَسَاوِيهِ عَوْنًا عَلَى دَمِهِ.³⁰⁶

ولذا وجب تبين الأمر للمسلمين والناس ، {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)} [النحل: 125] ولقد وردت هذه الآية في آخر سورة النحل وهي السورة التي سبقت سورة بني إسرائيل سورة الإسراء ، وهذا يوضح لنا والله أعلم أهمية أن يتم تبين الأمور المنبهمة على المسلمين في غمرة صراعهم مع يهود بالطف وأرق وسيلة ممكنة مما يؤدي أن يتم إزالة مكر يهود بفضل الله ، هذا يعني بشكل واضح أن في مواجهة مؤامرات يهود يجب توضيح اللبس الذي يستغله يهود لتضليل الناس . وهذا التوضيح بدوره من كتاب الله يؤدي إلى تحييد العناصر التي تم تهيجها من قبل يهود أو وكلائهم .

ثامنا : الجهل بالدين وبثوابته يعطي يهود مرونة في حركة المؤامرة لقول موسى عليه السلام "أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين " وهو تعريض بيهود لأنهم نسبوا الهزء لموسى عليه السلام . ولذا كان الرد على مؤامرات يهود هو "إحياء علوم الدين" ، ولقد تفنن يهود في طمس معالم الدين و مفاهيمه مع علمهم بالحقيقة لقوله تعالى : الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون

مصنف ابن أبي شيبة 235 ج 12 ص 47 ك ش³⁰⁶

أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون 146 البقرة ، وقد تم شرح بعض ما ذكر أعلاه سابقا .

المطلب الثاني: "إن البقر تشابه علينا":

نبحث في هذا المطلب ما ورد في خواتيم قصة القرة حيث اختلفت القراءات جدا في قراءة كلمة "تشابه" . وهذا يعني أن الكلمة تحمل معاني عدة في هذا السياق وهذه المعاني تكمل بعضها بعضا ولا يوجد إختلاف في ألفاظ القرآن الكريم وهذا الإختلاف في الألفاظ ينتج عنه تباين في المعاني ولا تضاد ، فإختلاف الألفاظ في لغة القرآن الكريم تعرب عن تباين المعاني . ولا أدل على صحة ما ذهبنا إليه وهو إختلاف المعاني بإختلاف الألفاظ من أن القراءات الشاذة هي قراءات تفسيرية . فلا يجوز القراءة في الصلاة بالقراءة الشاذة فما أفادته أي القراءة الشاذة هو إضافة للمعنى أي معنى الآية الكريمة . ومن إعجاز القرآن أن هذه القراءات المتباينة تكمل بعضها بعضا في المعنى ولا تتناقض فيما بينها . والكلمة الرئيسية موضع البحث في المطلب هي "تشابه" فما معنى تشابه إبتداء . أورد ابن منظور الأفرقي في كتابه لسان العرب .

شبهه : الشَّبه (بفتح الشن المشددة وتسكين الباء) والشبهه (بفتح الشين لمشددة وفتح الباء) والشبيهه (بفتح الشين المشددة وكسر الباء): المثل (بكسر الميم) والجمع أشباه . وأشبه الشيء الشيء : مائله واشتبهه (بتسكين الشين وفتح التاء والباء) عليّ وتشابهه الشيطان و إشتبهها : أشبه كل واحد منهما صاحبه ، وفي التنزيل : مشتبهها وغير متشابهه . وشبهه إياه وشبهه به مثله . والمشتبهات من الأمور : المشكلات . والمتشابهات : المتماثلاتفي حديث حذيفة : وذكر فتنة فقال تشبهه (بضم التاء وفتح الشين وفتح الباء المشددة) مقبلة (بضم الميم وكسر الباء وفتح اللام) وتبين (بضم التاء وضم الباء وفتح الياء المشددة) مدبرة ، قال شمر : معناه أن الفتنة إذا أقبلت شبّهت (بفتح الشين وفتح الباء المشددة وفتح الهاء) على القوم وأرتهم أنهم

على الحق حتى يدخلوا فيها ويركبوا منها ما لا يحل ، فإذا أدبرت و إنقضت بان أمرها ، فعلم من دخل فيها أنه كان على الخطأ.

والشبهة الإلتباس . و أمور مشتبهة ومشبهة(بضم الميم وفتح الشين وفتح الباء المشددة) : مشكلة يشبه بعضها بعضا ³⁰⁷

وبينهم أشباه أي يتشابهون فيها . وشبه عليه : خلط عليه الأمر حتى إشتبه بغيره .

وفيه مشابه (بفتح الميم) من فلان أي أشباه ولم يقولوا في واحدته مشبهة (بفتح الميم والباء) ، وقد كان قياسه ذلك ، لكنهم إستغنوا بشبه عنه فهو من باب ملامح ومذاكير ، ومنه قولهم: لم يسر رجل قط حتى يصبح إلا أصبح وفي وجهه مشابه (بفتح الميم وكسر الباء) من أمّه . وفيه شبهة منه أي شبه . وفي حديث الديات : دية شبه (بكسر الشين وتسكين الباء) العمد أثلاث ، هو أن ترمي إنسانا بشيء ليس من عادته أن يقتل مثله ، وليس من غرضك قتله ، فيصادف قضاء وقدرا فيقع في مقتل (بفتح الميم وتسكين القاف) فيقتل (بفتح الياء وتسكين القاف) ، فيجب فيه الدية دون القصاص. ويقال : شبّهت هذا بهذا ، وأشبهه فلان فلانا . وفي التنزيل العزيز : منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهات ، قيل معناه يشبه (بضم الياء وتسكين الشين وكسر الباء) بعضها بعضا. قال أبو منصور وقد إختلف المفسرون في تفسير قوله و آخر متشابهات ، فروى عن ابن عباس أنه قال : المتشابهات ألم ألر ، وما إشتبه على اليهود من هذه ونحوها . قال أبو منصور : وهذا لو كان صحيحا عن ابن عباس كان مسلما له ، ولكن أهل المعرفة بالأخبار وهنوا إسناده ، و كان الفراء يذهب إلى ما روي عن ابن عباس ، وروي عن الضحاك أنه قال : المحكمات ما لم ينسخ ، والمتشابهات ما قد نسخ . وقال غيره : المتشابهات هي الآيات التي نزلت في ذكر القيامة والبعث ضرب قوله :

³⁰⁷ لسان العرب لابن منظور الأفريقي دار المعارف مصر ج4 ص 2190

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7) [سبأ : 7] .

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ [سبأ : 8] ، ضرب قوله : إِذَا مُتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (16) أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (17) [الصفافات : 16 ، 17]

فهذا الذي تشابه عليهم ، فأعلمهم أن الوجه الذي ينبغي أن يستدلوا به على ان هذا المتشابه عليهم كالظاهر لو تدبروه ، فقال : وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْتَهُمْ [يس : 78 - 81] ، أي إذا كنتم أقررتم بالإنشاء و الابتداء فما تنكرون من البعث و النشور ، وهذا قول كثير من أهل العلم وهو بين واضح ، ومما يدل على هذا القول قوله عز وجل : فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ [آل عمران : 7] أي أنهم طلبوا تأويل بعثهم و إحيائهم فأعلم الله ان تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلا الله عز وجل ، والدليل على ذلك قوله : هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ [الأعراف : 53] يريد قيام الساعة وما وعدوا (بضم الواو والذال) من البعث والنشور ، والله أعلم ، و أما قوله:

وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا [البقرة : 25] ، فإن أهل اللغة قالوا معنى متشابهها يشبه بعضه بعضا في الجودة والحسن ، وقال المفسرون : متشابهها يشبه بعضه بعضا في الصورة و يختلف في الطعم ، ودليل المفسرين قوله تعالى : هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ [البقرة : 25] لأن صورته الصورة الأولى ، ولكن إختلاف الطعم مع إتفاق الصورة أبلغ و أغرب عند الخلق ، لو رأيت تقاحا فيه طعم كل الفاكهة لكنا نهاية في العجب .

وفي الحديث في صفة القرآن : آمنوا بمتشابهه واعملوا بحكمه ، المتشابه: ما لم يتلق (بضم الياء وفتح التاء واللام) معناه من لفظه ، وهو على ضربين : أحدهما إذا ردّ إلى المحكم عرف (بضم العين) معناه ، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته ، فالمتبع له مبتغى للفتنة لأنه لا يكاد ينتهي إلى شيء تسكن نفسه إليه وتقول في فلان شبه من فلان ، وهو شبهه (بكسر الشين) وشبهه (بفتح الشين) وشبيهه،..... وشبه الشيء إذا أشكل ، وشبه إذا ساوى بين شيء وشيء ، قال : وسألته عن قوله تعالى : واتوا به متشابهها ، فقال : ليس من الإشتباه المشكل إنما هو من التشابه الذي هو بمعنى الإستواء . وقال الليث : المشتبهات من الأمور المشكلات . وتقول : شبهت عليّ يا فلان إذا خلط عليك . وإشبه الأمر إذا اختلط ، واشتبه عليّ الشيء ، وتقول : أشبه فلان أباه وأنت مثله في الشبه (بتسكين الباء) والشبه (بفتح الباء) . وتقول : إني لفي شبهة منه وروي عن عمر رضي الله عنه ، أن قال : اللبن يشبه (بفتح الشين والباء) عليه ، ومعناه أن المرضعة إذا أرضعت غلاما فإنه ينزع إلى أخلاقها فيشبهها ، ولذلك يختار للرضاع امرأة حسنة الأخلاق صحيحة الجسم عاقلة غير حمقاء . وفي الحديث عن زياد السهمي قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسترضع (بضم التاء الأولى وفتح الثانية) الحمقاء فإن اللبن يشبه (بضم الياء وفتح الباء) . وفي الحديث : فإن اللبن يشبه (بفتح التاء والشين والباء) ، والشبه (بفتح الشين وتسكين الباء) والشبه (بفتح الشين والباء) : النحاس يصبغ فيصفر . وفي التهذيب ضرب من النحاس يلقي عليه دواء فيصفر . قال ابن سيده : سمي به لأنه إذا فعل ذلك به أشبهها لذهب بلونه ، والجمع أشباه³⁰⁸

وبعد ما أوردناه من شرح ابن منظور الأفريقي لمعنى شبه نورد ما ذكره القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الكلمة فلقد قال رحمه الله

³⁰⁸ لسان العرب دار المعارف ج4 ص 2191

قوله تعالى: (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ) قرأ حمزة والكسائي "فناداه" بالألف على التذكير، ويميلانها لأن أصلها الياء، ولأنها رابعة. وبالألف قراءة ابن عباس وابن مسعود، وهو اختيار أبي عبيد. وروي عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال: كان عبد الله يذكر الملائكة في [كل] «1» القرآن. قال أبو عبيد: نراه اختار ذلك خلافا على المشركين لأنهم قالوا: الملائكة بنات الله. قال النحاس: هذا احتجاج لا يحصل منه شيء، لأن العرب تقول: قالت الرجال، وقال الرجال، وكذا النساء، وكيف يحتج عليهم بالقرآن، ولو جاز أن يحتج عليهم بالقرآن بهذا لجاز أن يحتجوا بقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ" ولكن الحجة عليهم في قوله عز وجل: "أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ" [الزخرف: 19] «2» أي فلم يشاهدوا، فكيف يقولون إنهم إناث فقد علم أن هذا ظن وهوى. وأما "فناداه" فهو جائز على تذكير الجمع، "ونادته" على تأنيث الجماعة. قال مكي: والملائكة ممن يعقل في التفسير فجرى في التأنيث مجرى ما لا يعقل، تقول: هي الرجال، وهي الجنوع، وهي الجمال، وقالت الأعراب. ويقوي ذلك قوله: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ" وقد ذكر في موضع آخر فقال: "وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ" [الانعام: 93] «3» وهذا إجماع. وقال تعالى: "وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ" [الرعد: 23] «4» فتأنيث هذا الجمع وتذكيره حسان. وقال السدي: ناداه جبريل وحده، وكذا في قراءة ابن مسعود. وفي التنزيل "يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ" «5» يعني جبريل، والروح الوحي. وجائز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع. وجاء في التنزيل "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ" [آل عمران: 173] «6» يعني نعيم بن مسعود، على ما يأتي. وقيل: ناداه جميع الملائكة، وهو الأظهر. أي جاء النداء من قبلهم³⁰⁹.

وقد اورد السمين الحلبي في كتابه الدر المصون في علوم الكتاب المكنون في تفسير : (قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) قوله تعالى: {مَا هِيَ}.. مرة ثانية، تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها.

³⁰⁹ محمد بن أحمد القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" دار الكتب العلمية بيروت ج4 ص48

قوله: {إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا} "البقر" اسمٌ إنَّ وهو اسمٌ جنسٍ كما تقدّم. وقرئ "الباقِر" وهو بمعناه كما تقدم. و "تَشَابَهَ" جملةٌ فعلية في محلِّ رفعٍ خبراً لِإِنَّ، وقرئ: "تَشَابَهُ" مشدداً ومخففاً وهو مضارعٌ، فالأصلُ: تَتَشَابَهُ بتاءين، فَأُدْغِمَ وَحُذِفَ منه أخرى، وكِلَا الوجهين مقيس. وقرئ أيضاً: يَتَشَابَهُ بتاءين، فَأُدْغِمَ وَحُذِفَ منه أخرى، وكِلَا الوجهين مقيس. وقرئ أيضاً: يَتَشَابَهُ بالياء من تحت وأصله يتشابه فَأُدْغِمَ أيضاً، وتذكيرُ الفعل وتأنيثُهُ جائزان لأن فاعله اسمٌ جنس وفيه لغتان: التذكيرُ والتأنيثُ، قال تعالى: {أَعْجَازُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ} فَأَنْثَ، و {أَعْجَازُ نَحْلِ مُنْفَعِرٍ} فذَكَرَ، ولهذا موضعٌ نستقصي منه، يأتي إن شاء الله تعالى. وَتَشَابَهُ بتاءين على الأصل، وَتَشَبَّهُ بتشديد الشين والباء من غير ألف، والأصلُ: تَتَشَبَّهُ. وَتَشَابَهَتْ، وَتَشَابَهَةٌ، وَتَشَابَهُ، وَتَشَبَّهَ على اسم الفاعل من تشابه وَتَشَبَّهَ، وقرئ: تَشَبَّهَ ماضياً. وفي مصحف أبي: "تَشَابَهَتْ" بتشديد الشين. قال أبو حاتم: "هو غلط لأن التاء في هذا الباب لا تُدْغِمُ إلا في المضارع"، وهو معذورٌ في ذلك. وقرئ: تَشَابَهُ كذلك إلا أنه بطرح تاء التأنيث، ووجهها على إشكالها أن يكون الأصل: إن البقرة تَشَابَهَتْ فالتاء الأولى من البقرة والتاء الثانية من الفعل، فلما اجتمع متقاربان أُدْغِمَ نحو: الشجرة... إلا أنه يُشْكَلُ أيضاً في تَشَابَهُ من غير تاء، لأنه كان يَجِبُ ثبوتُ/ علامةِ التأنيثِ، وجوابه أنه مثلُ * -544: ولا أرض أبْقَلْ إِبْقَالَهَا مع أن ابنَ كَيْسَانَ لا يلتزم ذلك في السَّعَةِ³¹⁰.

وأورد الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى: "تشابه علينا" وأما تأويل: (تشابه علينا)، فإنه يعني به، التبس علينا. والقرأة مختلفة في تلاوته. (3) فبعضهم كانوا يتلونه: "تشابه علينا"، بتخفيف الشين ونصب الهاء على مثال "تفاعل"، ويَذَكِّرُ الفعل، وإن كان "البقر" جماعاً. لأن من شأن العرب تذكير كل فعل جمع كانت وحدانه بالهاء، وجمعه بطرح الهاء - وتأنيثه، (4)

³¹⁰ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي الدر المصون في علوم الكتاب المكنون دار القلم دمشق ط الأولى 1986 ج1 ص 427

كما قال الله تعالى في نظيره في التذكير: (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) [القمر: 20]، فذكر "المنقعر" وهو من صفة النخل، لتذكير لفظ "النخل" - وقال في موضع آخر: (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) [الحاقة: 7]، فأنت "الخواية" وهي من صفة "النخل" - بمعنى النخل. (5) لأنها وإن كانت في لفظ الواحد المذكر - على ما وصفنا قبل - فهي جماع "نخلة".

وكان بعضهم يتلوه: (إن البقر تشابه علينا)، بتشديد الشين وضم الهاء، فيؤنث الفعل بمعنى تأنيث "البقر"، كما قال: (أعجاز نخل خاوية)، ويدخل في أول "تشابه" تاء تدل على تأنيثها، ثم تدغم التاء الثانية في "شين" "تشابه" لتقارب مخرجها ومخرج "الشين" فتصير "شينا" مشددة، وترفع "الهاء" بالاستقبال والسلامة من الجواز والنواصب.

وكان بعضهم يتلوه: (إن البقر تشابه علينا)، فيخرج "يشابه" مخرج الخبر عن الذكر، لما ذكرنا من العلة في قراءة من قرأ ذلك: (تشابه) بالتخفيف ونصب "الهاء"، غير أنه كان يرفعه ب "الياء" التي يحدثها في أول "تشابه" التي تأتي بمعنى الاستقبال، وتدغم "التاء" في "الشين" كما فعله القارئ في "تشابه" ب "التاء" والتشديد.

قال ابو جعفر: والصواب في ذلك من القراءة عندنا: (إن البقر تشابه علينا)، بتخفيف "شين" "تشابه" ونصب "هائه"، بمعنى "تفاعل"، لإجماع الحجة من القراء على تصويب ذلك، ودفعهم ما سواه من القراءات. (1) ولا يعترض على الحجة بقول من يجوز عليه فيما نقل السهو والغفلة والخطأ.

وأما قوله: (وإننا إن شاء الله لمهتدون)، فإنهم عنوا: وإننا إن شاء الله لمبين لنا ما التبس علينا وتشابه من أمر البقرة التي أمرنا بذبحها. ومعنى "اهتدائهم" في هذا الموضع معنى: "تبينهم" أي ذلك الذي لزمهم ذبحه مما سواه من أجناس البقر. (2³¹¹)

والذي أراه أن كل القراءات التي ذكرها الطبري وغيره من المفسرين والله أعلم صحيحة وتعطي كل قراءة معنى مختلف عن غيرها بل وهذه المعاني تكمل بعضها بعضا وهذا من إعجاز القرآن الكريم .

أقول وبالله التوفيق فقد قال تعالى : وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (30) [يوسف : 30] ، وقال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " إن نساء المدينة يتبادلن الرأي فيكبر عقلمن فيصير مثل عقل الرجال فذكر تعالى الفعل حيث قال تعالى (وقال نسوة) . لكن نفس النسوة في نفس المجلس حين رأين يوسف عليه السلام بجماله وفتنت النسوة به قال تعالى يصف ذلك الموقف في قوله تعالى : فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) [يوسف : 31]

مع أن ظاهر الآية أن النسوة "قلن حاش لله" لكن الله تعالى أنت عقولهن لأنهن كن يفكرن بشهوتهن فنزل مرتبة تفكيرهن فأنت الفعل . أقول وبالله التوفيق إن تفاوت الأفعال تأنيثا وتذكيرا في قصة البقرة تعبر عن إختلاف رؤية يهود لشبهة ذبح البقرة فالذين ذكروا القراءة قصدوا أن الأمر جد صعب علينا ويحتاج إلى جهد كبير والذين أنت الفعل بسببهم إستخفوا بالفعل أصلا وذلك أنهم في بداية القصة قالوا "أتخذنا هزوا " طبعا التأنيث بفعل تشابه كان بسبب لإدغام التاء بالشين ونظرا لتقارب اللفظين فأدغمت فصارت شيئا مشددة . أما القراءة بالياء في قراءتهم يشابهه فهو لأن التشابه سيستقبلهم وأما قراءتهم "تشابهه " وذلك لأن الشبهة قد واجهوها ماضيا . كأن ما مضى من توضيح سيدنا موسى عليه السلام لمواجهة شبهة واجهوها سابقا .

خلاصة القول أن تفاعل بني إسرائيل مع شبهة السؤال عن بقرة بني إسرائيل تفاوتت من مجموعة لأخرى وكذلك الفتن عندما تضحل يتفاوت تعامل الناس معها لمن لم يلتزم الكتاب

والسنة . فلو إلترم بني إسرائيل بالذبح أول الأمر لكان أجزأهم ذلك عن كل هذه المعاناة .
وتعبيرنا المعاصر لهذا الإلتزام هو الإلتزام بالكتاب والسنة التي جاء بها الأنبياء والرسل دون
التعنت بالسؤال . فتلقينا تعليمات القرآن للتنفيذ لا للجدال .

مما سبق يتبين ان القراءات إختلفت في كلمة تشابه لكنه لم يكن هناك خلاف في سؤالهم في
بداية القصة حين قالوا لموسى عليه السلام قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَاَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) [البقرة : 68] ، لكن في
نهاية قصة البقرة قال تعالى : قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن
شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) [البقرة : 70] . كأن العبارة " إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا" قد جاءت بمثابة
إعتذار او تبرير للإستمرار بالجاجة . وقد تباين لفظ يشابه كثيرا من القراءات المختلفة وهذا
يعني والله أعلم أنهم بنو إسرائيل في نهاية القصة تفاوتت مواقفهم إزاء نفس القضية والشبهة
المطروحة . وتبعا لذلك إختلفت الألفاظ الدالة على الفعل . وهذا مشاهد فالباطل يبطل والحق
يحق كما قال الأصفهاني في كتبه "مفردات غريب القرآن "

وعليه فإن ما يطرحه يهود من شبهات يتفاوت الناس برفضها وقبولها بعد مرور فترة من الزمن
الذي يظهر تعنت بني إسرائيل وعدم قبول عامة الناس لشبهتهم التي طرحوها فتباين التفاعل
بإختلاف إستقبال لفظ التشابه من حيث التأنيث أو التذكير أو بالتشديد كما شرحها علماء
التفسير آنفا وعليه فشبهات يهود التي يطرحونها في بداية مؤامراتهم تكون قوية ومؤثرة
قال الحسن البصري رحمه الله :

الفتن إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل

عندما أقبلت فتنة الإعتزال فتن الناس بها لكن بتوفيق الله الحافظ لكتابه ودينه إنبرى علماء
المسلمين صابرين زالت تلك الفتنة وذهب أثرها وعاد للقرآن والسنة حيويته في أذهان المسلمين
 . طبعا كان هناك خسائر في الطريق . لكن هذه الخسائر لم تكن لتحجب حقيقة أن الشبهات

التي يطرحها يهود ما تلبث أن تموت ويتفاوت الناس في سرعة التخلص من آثارها لكنها حتما إلى زوال بوجود كتاب الله عز وجل المبين لكل أمر ملتبس على الناس .

ولذا كان في بداية سورة الكهف والتي تقي قراءتها من فتنة الدجال قوله تعالى : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِنُنْذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) [الكهف : 1 ، >2]

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن سورتي الإسراء والكهف قد نزلتا عندما زود يهود كفار قریش بأسئلة ثلاث للتأكد من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانت الأسئلة عن الروح وفتية ذهبوا في الدهر ورجل طوّف بالبلاد . وكانت الإجابة عن الروح في سورة الإسراء و بقية إجابة السّؤالين في سورة الكهف ، بعبارة أخرى إن أول رد على أول فتنة بني إسرائيل كانت في سورتي الإسراء والكهف وقبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة ، فشرح سبحانه وتعالى في بداية سورة الكهف عن أهمية القرآن الكريم في مواجهة شبهات يهود وغير يهود لكن إهتمامنا منصب في الرد على يهود موضوع البحث حيث أورد الطبري في كتابه عن إ³¹²بن عباس رضي الله عنهما يقول في معنى قوله (ولم يجعل له عوجا) ولم يجعل له ملتبسا . ³¹³ هذا والله أعلم

³¹² الطبري ج15 ص 193 مراجعة LKH,

³¹³ الطبري ج15 ص 192 المكتبة التوفيقية 2004 مصر.

الفصل الرابع

التطبيقات العملية لقصة البقرة في السيرة النبوية والأحداث

المعاصرة في فلسطين

الفصل الرابع

التطبيقات العملية لقصة البقرة في السيرة النبوية والأحداث المعاصرة في فلسطين

المبحث الأول: مؤامرات يهود في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مع تيقنهم من نبوته

المطلب الأول: مؤامرة يهود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني: التطبيقات العملية لقصة البقرة في الواقع المعاصر.

المطلب الأول: حظوظ حماس في الإعلام الغربي

المطلب الثاني: محاولة إغتيال الأستاذ خالد مشعل

المطلب الثالث: إنتفاضة الأقصى

المطلب الرابع: الإنتخابات التشريعية

المطلب الخامس: المحافظة على النصر

المبحث الأول

مؤامرات يهود في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مع تيقنهم من نبوته

المطلب الأول: مؤامرات يهود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (بنو قينقاع وبني النضير وبني قريظة):

العجيب أن بني إسرائيل مع تيقنهم من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد إنبرى يهود لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبتأمر شديد مستغلين كل فرصة و أول من إنبرى لمهاجمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهود بني قينقاع حيث أنهم الأكثر عددا والأشد قوة و حليفهم عبدالله بن أبي سلول زعيم المنافقين في المدينة والذي كانوا ينظمون له الخرز ليملكونه على المدينة كما في رواية ابن كثير أدناه لولا وصول الرسول صلى الله عليه وسلم فلقد ورد في السيرة النبوية لابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية ، و في الصحيحين أنه عليه السلام مر وهو راكب حمارا بمجلس فيه عبد الله بن أبي سلول و أخلاط من المسلمين و المشركين عبدة الأوثان و اليهود فنزل و دعاهم إلى الله عز و جل و ذلك قبل وقعة بدر و كان قد عزم على عيادة سعد بن عبادة فقال له عبد الله : لا أحسن مما تقول أيها المرء فإن كان حقا فلا تغشنا به في مجالسنا و ذلك قبل أن يظهر الإسلام و يقال إنه خمر أنفه لما غشيتهم عجاجة الدابة و قال : لا تؤذنا بنتن حمارك ، فقال له عبد الله بن رواحة : والله لريح حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب من ريحك و قال عبد الله : بل يا رسول الله اغشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك فتناور الحيان و هموا أن يقتتلوا فسكنهم رسول الله ، ثم ذهب إلى سعد بن عبادة فشكا إليه عبد الله بن أبي فقال : إرفق به يا رسول الله فوالذي أكرمك بالحق لقد بعثك الله بالحق و إنا لننظم له الخرز لنملكه علينا فلما جاء الله بالحق شرق بريقه

³¹⁴ وشرق بريقه معناه إذا غص به وكذلك بالماء ونحوه كالغصص بالطعام فهو شرق ³¹⁵ وهذا مؤشر على ان إزدياد قوة يهود ماليا وماديا وعسكريا والعلاقات الديبلوماسية مع متنفذي الزعماء المتطلعين للرئاسة مثل عبدالله بن أبيّ بن سلول فمثل هذا الوضع يدفعهم للفساد بأشد من غيرهم ممن هم أضعف منهم . وعبدالله بن أبيّ بن سلول كانوا ينظمون له الخرز ليصبح ملكا على المدينة كما أوردنا آنفا أسلفنا وكل متطلع للرئاسة والزعامة هو حصان طروادة لليهود ليمروا أجندتهم أي أجندة اليهود في الجماعات والحكومات والإمارات الإسلامية ، ولقد أورد ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في قصة غزوة بني قينقاع ما يلي:

خبر يهود بنى قينقاع من أهل المدينة وقد زعم الواقدي ³¹⁶ أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة. فالله أعلم وهم المرادون بقوله تعالى: " كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم " (3) . قال ابن إسحاق: وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى قينقاع ، قال: وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم في سوقهم ثم قال: يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم فقالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك ؟ ! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس. قال ابن إسحاق: فحدثني مولى لزيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة ، عن ابن عباس قال: ما نزلت هؤلاء الآيات إلا فيها: " قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فتنتين التقتا " يعنى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش: "

³¹⁴ ابن كثير البداية والنهاية دار ابن كثير بيروت ج6 ص 10 المكتبة الوقفية

³¹⁵ الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس دار الفكر للطباعة والنشر ج6 ص 392

فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لاولى الابصار (آل عمران 13) ³¹⁷ .

ولقد أورد البقاعي رحمه الله في تفسير الآية التي أوردها ابن كثير في معرض حديثه عن يهود بني قينقاع ما يلي: ولما كان الكفرة من أهل الكتاب وغيرهم من العرب بمعرض أن يقولوا حين قيل لهم ذلك : كيف نغلب وما هم فينا إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود؟ قيل لهم: إن كانت قصة آل فرعون لم تنفعكم لجهل أو طول عهد فإنه (قد كان لكم آية) أي عزيمة بدلالة تذكير كان (في فئتين) تنبئية فئة للطائفة التي يفىء إليها أي يرجع من يستعظم شيئاً ، استناداً إليها حماية بها لقوتها ومنعتها (التقنا) أي في بدر (فئة) أي منهما مؤمنة ، لما يرشد إليه قوله : (تقاتل في سبيل الله) أي الملك الأعلى لتكون كلمة الله هي العليا ، ومن كان كذلك لم يكن قطعاً إلا مؤمناً (وأخرى) أي منهما (كافرة) أي تقاتل في سبيل الشيطان ... ولما نبه سبحانه وتعالى على الاعتبار بذكر الآية نبه على موضعها بقوله : (يرونهم) وضمن يرى البصيرة القاصرة على مفعول واحد فعل الظن ، وانتزع منه حالاً ودل عليها بنصب مفعول ثان فصار التقدير : ظانهم (مثليهم) فعلى قراءة نافع بالتاء الفوقانية يكون المعنى : ترون أيها المخاطبون الكفار المقاتلين للمؤمنين ، وعلى قراءة غيره بالغيب المعنى ، يرى المسلمون الكفار مثلي المسلمين (رأى العين) أي بالحزر والتخمين ، لا بحقيقة العدد ، هذا أقل ما يجوزونه فيهم ، وقد كانوا ثلاثة أمثالهم ومع ذلك فجزاهم الله على مصادمتهم ونصرهم عليهم ، أو يرى الكفار المسلمين مثلي الكفار مع كونهم على الثلث من عدتهم ، كما هو المشهور في الآثار تأييداً من الله سبحانه وتعالى لأوليائه ليرعب الأعداء فينهزموا ، أو يرى الكفار المسلمين ضعفي عدد المسلمين ³¹⁸ .

³¹⁷ ابن كثير البداية والنهاية دار ابن كثير ج4 ص 3

³¹⁸ نظم الدرر ج4 المكتبة التجارية ص 265

أقول وبالله التوفيق إن هذه الآية توضح أن يهود أكثر الناس حمقا وغباوة فإنهم يحاربون ديننا تيقنوا لأن هذا الدين عين الحق وأثبتت وقائع بدر صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكنهم لا يزالون يحاربون هذا الدين ببلادة عجيبة . وهم يهونون من كل نصر تنتصره الفئة المؤمنة بتهوين نصر غزوة بدر . وهم يتآمرون كأنما الله غير مطلع على مؤامراتهم . وهو ذات الموقف الذي وقفوه في مواجهة الفئة المؤمنة في إتهامها بقتل الثري اليهودي من بني إسرائيل في قصة البقرة .

يضيف ابن كثير في كتابه عن يهود بني قينقاع ما يلي : قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

قال ابن هشام: فذكر عبدالله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون، قال: كان [من (2)] أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعهده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا بها ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب (2) المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع . قال ابن إسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبدالله بن أبيّ ابن سلول و حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في مواليّ وكانوا حلفاء الخزرج قال فأبطلأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أحسن في مواليّ فأعرض عنه قال فأدخل يده في جيب درع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام وكان يقال لها ذات الفضول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا ثم قال : ويحك أرسلني

قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعوني من الاحمر و الاسود ، تحصدهم في غداة واحدة ! إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم لك³¹⁹. وفيهم نزلت {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56)}

[الأنفال: 55، 56] أقول لقد حدثت واقعة بني قينقاع بعد معركة بدر الكبرى و رؤية يهود لهزيمة قريش رأي العين .

أقول وبالله التوفيق أن يهود إطلعوا يقينا على نصر الله عز وجل للمسلمين في بدر ولم يؤثر ذلك فيهم ولم يتعظوا بل كرروا نقض العهد مرة بعد مرة وفي كل مرة كانوا يرون هزيمة أمام جند محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أورد البقاعي في تفسيره رحمه الله في تفسير قوله تعالى : إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49) [الأنفال : 49] ، و تعبيريهم ب"هؤلاء" التي هي أداة القرب للتحقير وإستسهال أخذهم كما أن أداة البعد تستعمل للتعظيم ببعدها الرتبة وعلى مثل هذا ينتزل قول فرعون بعد أن سار بنو إسرائيل زمانا أقله ليلة وبعض يوم كما حكاه الله عنهم "إن هؤلاء لشرذمة قليلون" على أن البغوي قد نقل في تفسير قوله تعالى : "يرونهم مثليهم رأي العين" أن جماعة من اليهود حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة . وإذا تأملت هذا مع قوله تعالى "كدأب آل فرعون " علمت ان جل المقصود من هذه الآيات إلى قوله "ذلك بأنهم قوم لا يفقهون " اليهود وفي تعبيره ب "لا يفقهون" تبكيت شديد لهم كما قال تعالى في آية الحشر "لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون"³²⁰

³¹⁹ ابن كثير "البداية والنهاية" دار ابن كثير ج4 ص 4
³²⁰ نظم الدرر ج8 ص 302 المكتبة التجارية الطبعة الثانية 1992

أقول وبالله التوفيق أن يهود رأوا إنتصار المسلمين في بدر وقد راقبوا المعركة وكانت المعجزة ولكنهم يهود لفرط غباثهم حسدا من عند أنفسهم أي أن نفوسهم غالبية على عقولهم . أي إنهم يهود يزنوا الأمور في صراعهم مع الإسلام والمسلمين بميزان عاطفة الحسد والكراهية وليس بميزان العقل لفرط حسدهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين (بتصرف من نظم الدرر) . ولتوضيح هذا الأمر هناك من يشرب الخمر بعاطفة الحب لشرب الخمر مع علمه بفساد الفعل . فغلبت شهوته عقله . وهؤلاء يهود غلب حسدهم عقولهم فاستمروا على عدائهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرغم من تأكدهم من أنه هو الرسول المرسل في آخر الزمان نتيجة لذلك فإن يهود تحركوا لإستفزاز سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك نزل قوله تعالى في يهود : إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) [الأنفال : 55 ، 56] . كما شرحنا آنفا

(إن شر الدواب) أي ظلموا لأنهم كفروا بآيات ربهم الذي تفرد بالإحسان إليهم وشر الدواب (عند الله) أي في حكم الحكم العدل الذي له الأمر كله وفي علمه (الذين كفروا) أي منهم ومن غيرهم ، أي حكم عليهم بلزوم الكفر لما ركب فيهم من فساد الأمزجة لعدم الملاءمة للخير ، فكانوا بذلك قد نزلوا عن رتبة الإنسان إلى رتبة مطلق الحيوان ، ثم إلى دركة الحشرات والديدان بل الجعلان ، لأن شر الناس الكفار ، وشر الكفار المصرون منهم ، وشر المصرين الناكثون للعهود (فهم) أي بسبب نظم الدرر . فمحقتهم صفة الإلهية ، ولعله إنما خص آل فرعون تذكيراً - لأكثر من كان يقول (غر هؤلاء دينهم) وهم - اليهود - بأنهم كانوا بالنسبة على فرعون وآله أضعف من الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة إلى قريش وأتباعهم ، فإن اليهود مع قلتهم عندهم كانوا قد دانوا لهم بذل العبيد لمواليهم بل أعظم ، ومع ذلك فإنهم نصروا عليهم لما كان الله معهم ، وإعلاماً لهم بأنهم الآن كآل فرعون في العناد مع ما هم من القلة والذلة ، فقد جمعوا من كل قوم أخس صفاتهم وأردأ حالاتهم ، ولذلك أبدل من عموم (الذين

كفروا) (الذين عاهدت منهم) وهم اليهود بلا شك ، إما بنو قينقاع أو النضير أو قريظة أو الجميع بحسب التوزيع ، فكل منهم نقض ما كان أخذ عليه (صلى الله عليه وسلم) من العهود ، وأخلف ما كان أكده من الوعود .

ولما كان العهد جديراً بالوفاء ولا سيما من العلماء ، عبر بقوله : (ثم ينقضون عهدهم) اي يجدون نقضه كلما لاح لهم خلب برق أو زور بطل يغير في وجه الحق ؛ ثم عظم الشناعة عليهم بقوله : (في كل مرة) ثم نبه على رضاهم من رتبة الشرف العلية القدر وهدة السفه والسرف بعدم الخوف من عاقبة الغدر بقوله : (وهم لا يتقون) اي الناس في الذم لهم على ذلك ولا الله في الدنيا بأن يمكن منهم ، ولا في الآخرة بأن يخرجهم ثم يركسهم بعد المنادة بالعار في النار ولما أياسه من تقواهم بما اشتملوا عليه من تكرير النقض الناشئ عن غاية الحسد وصلابة الرقاب وقساوة القلوب والقساوة على الكفر ، أمره بما يوهن قواهم ويحل عراهم من إلياس اليأس بإنزال البأس كما جرت عادته سبحانه أنه يوصيه بالرفق ببعض الناس لعلمه أن عمله يزكو لبنيانه على أحسن أساس ، فقال مؤكداً لأجل ما جبل عليه (صلى الله عليه وسلم) من محبة الرفق : (فإما تتقفهم) أي تصادفهم وتظفرن بهم (في الحرب) اي التي من شأنها أن يحرب فيها المبطل ، ويربح المحق المجمل (فشرد بهم من خلفهم) أي فنكل بهم تنكيلاً يصدع ويفرق عن محاربتك من وراءهم ممن هو على مثل رأيهم في المنافرة لك ولا تتركهم اصلاً لأن أتباعك أمهر منهم وأحذق ، فهم لذلك أثبت وأمكن ، فإذا أوقعت بهم ذلك لم يجسر عليك أحد بعده اتعاضاً بهم واعتباراً بحالهم ؛ ومادة شرد بكل ترتيب تدور على النفوذ ، فإن كان على قصد وسنن فهو رشد ويلزمه الاجتماع ، وإن كان غير سنن وجامع استقامة فهو شرود ، فأما قوله لجاجة يلزمه التفرق ؛ قال ابن فارس : شرد البعير شروداً وشردت به تشويداً ، فأما قوله (فشرد بهم) فالمراد نكل بهم وسمّع ، قال القزاز : شردت الرجل تشريداً - إذا طردته ، وشردت به - إذا سمّعت به وذكرت عيوبه للناس ، وقوله تعالى (فشرد بهم) أي

اجعلهم لك) لا يؤمنون (اي لا يتجدد منهم إيمان يستمرون عليه لما سبق من علم الله فيهم ، فلم ينتفعوا بما أتاهم من صفة الربوبية مطردين - انتهى.

فالمراد المبالغة في الإيقاع بهم لأنهم إذا ضربوا ضربة تفرقوا فيها على غير وجه ولا انتظام علم من شردوا إليه ممن وراءهم انه قد تناهى بهم الذعر فذعر هو وقوع في الشرود قوة أو فعلاً ، فعلى قراءة من جعل (من) حرف جر يكون المفعول محذوفاً ، والتقدير : أوقع - بما سمعوا أو رأوا من حال هؤلاء حين واجهوك للقتال ، وعلى قراءة من جعلها اسماً موصولاً تكون هي المفعول ، فالمعنى : شرد الذين خلفهم من أماكنهم إما بالفعل أو بالقوة بأن تفترق قلوبهم بما تفعل بهؤلاء فتصير - بما ترى من قبيح حالهم - قابلة للشرود ، ويكون اختلاف المعنى بالتبويض في جعل (من) حرف جر والتعميم في جعلها موصولاً بالنظر إلى القوة أو الفعل .

ولما ذكر الحكم ، ذكر ثمرته بأداة الترجي إدارة له على الرجاء فقال : (لعلهم) أي المشردين والمشرود بهم) يذكرون (ما يبق من أيام الله فيعلموا أن هذه أفعاله ، وهؤلاء رجاله ، فينتفعهم ذلك فلا ينقضوا عهداً بعده ولقد بهم (صلى الله عليه وسلم) ذلك فإنهم إن كانوا بني قريظة فقد ضربهم (صلى الله عليه وسلم) ضربة لم يفلت منهم مخبر ، بل ضرب أعناقهم في حفائر في سوق المدينة وكانوا نحو سبعمائة على دم واحد. إلا من أسلم منهم وهم يسير ، وسبى ذراريهم ونساءهم وغنم أموالهم ، وإن كانوا قينقاع فقد نزل بساحتهم بعد نقضهم وإظهارهم غاية الاستخفاف والعناد فلم يكبتهم الله أن جعلهم في قبضته وما بقي إلا ضرب أعناقهم كما وقع لبني قريظة فسأله فيهم عبد الله بن أبي المنافق وألح عليه (صلى الله عليه وسلم) في أمرهم وكان يألفه ويتألف به فتركهم له (صلى الله عليه وسلم) وأجلاهم من المدينة ، وكانت واقعتهم أول وقائع اليهود بالمدينة ، وإن كانوا بني النضير فقد نقضوا ايضاً فأحاط بهم ، ومناهم

المنافقون الغرور فقف الله الرعب في قلوبهم فسألوه (صلى الله عليه وسلم) ان يجلبهم ويكف عن دمائهم ففعل ، ثم أتم الله له الأمر فيهم في خيبر ووادي القرى وغيرهما إلى أن لم يدع منهم في جزيرة العرب فريقاً إلا ضربه بالذل وأجرى عليه الهوان والصغار ، ووقائعه فيهم مشهورة الخبر معروفه في السير³²¹ .

أقول إن يهود يتصرفون في مؤامراتهم كأنه ليس هناك إله يتعقب مؤامراتهم بالفشل .

وقد تحدثت سورة البقرة سابقا عن فكرة يهود هذه عن الله في قوله تعالى : وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76) [البقرة : 76] .

أورد الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية ما يلي: "1204 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله "وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم " قال : كانوا إذا سئلوا عن شيء قالوا : أما تعلمون في التوراة كذا وكذا ؟ قالوا : بلى . قالوا : وهم يهود ، فيقول لهم رؤسائهم الذين يرجعون إليهم : ما لكم تخبرونهم بالذي أنزل الله عليكم فيحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يدخلن علينا قسبة المدينة إلا مؤمن " فقال رؤسائهم من أهل الكفر والنفاق : إذهبوا فقولوا آمنا ، واكفروا إذا رجعت . قال فكانوا يأتون المدينة بالبكر ويرجعون إليهم بعد العصر . وقرأ قول الله : (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) آل عمران : 72 ، وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة : نحن مسلمون ، ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ، وإذا رجعوا ، رجعوا إلى الكفر فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك بهم ، قطع ذلك عنهم فلم يكونوا

³²¹ نظم الدرر ، ج8 ، ص 312

يدخلون . وكان المؤمنون الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظنون أنهم مؤمنون ، فيقولون لهم : أليس قد قال الله لكم كذا وكذا ؟ فيقولون : بلى . فإذا رجعوا إلى قومهم (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) الآية ³²² إنتهى .

وفي الحديث الذي أورده الطبري في شرح الآية "لا يدخل علينا قسبة المدينة إلا مؤمن" يعني ألا يدخل أحد على مركز المدينة أي وسطها ³²³ .

أقول والله أعلم أن القاسم المشترك بين هذه الآية وبين الآية التي تتحدث عن مؤامرة بني قينقاع وقصة البقرة هو ظنهم أن الله غير مطلع على أعمالهم فيتآمرون ويخططون والله مطلع عليهم ويظن هؤلاء الحمقى أن الله غافلا عن خطتهم التي سيحبطها كما أحبط الله مؤامرتهم عند قتلهم النفس في قصة البقرة وأحبط مؤامرتهم في محاولة رصد أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الآية (أتحدثونهم بما فتح الله عليكمالبقرة 76 . أما في واقعة بني النضير فهي كما يلي : ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بنى النضير قبل وقعة أحد، والصواب إيرادها بعد ذلك، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي. وبرهانه: أن الخمر حرمت ليالى حصار بنى النضير، وثبت في الصحيح أنه اصطحب الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيدا، فدل على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالا، وإنما حرمت بعد ذلك، فتبين ما قلناه من أن قصة بنى النضير بعد وقعة أحد. والله أعلم.

ويلخص لنا العبرة من قصة بني قينقاع وبنى النضير ما قاله "عمرو بن سعدى القرظي" حيث أورد ابن كثير "قصة عمرو بن سعدى القرظي حين مر على ديار بنى النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب، وقد كانت بنو النضير أشرف منى بنى قريظة ، حتى حداه ذلك

³²² الطبري ج1 ص 450 طبعة المكتبة الوقفية

³²³ محب الدين بي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، طباعة دار الفكر ، ج1 ، ص 431

على الاسلام وأظهر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة. قال الواقدي ³²⁴ حدثنا ابراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنزلهم ، فرأى خرابها وفكر ، ثم رجع إلى بنى قريظة فوجدهم في الكنيسة ، فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل. وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية. قال: رأيت اليوم عبدا قد عبرنا بها، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل، ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الاشرف ذى عزهم ثم بيته في بيته آمنا، وأوقع بابن سنيانة سيدهم ، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود ، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة ، فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدا، والله إنكم لتعلمون أنه نبي قد بشرنا به وبأمره ابن الهيثبان أبو عمير وابن حراش ، وهما أعلم يهود جاءنا يتوكفان قدومه وأمرانا باتباعه ، جاءنا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ودفناهما بجزتنا هذه. فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم. ثم أعاد هذا الكلام ونحوه، وخوفهم بالحرب والسبأ والجلأ . فقال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا ، التوراة التي نزلت على موسى ليس في المثاني الذي أحدثنا ، قال : فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبدالرحمن من اتباعه ؟ قال أنت يا كعب. قال كعب:

الواقدي ، هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (م823 - 747) = (هـ 207 - هـ 130) ³²⁴ السهمي الاسلامي بالولاء، المدني، الواقدي من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ كان إلى حفظه المنتهى في الأخبار والسير والمغازي والحوادث . راوية ومؤرخ سكن بغداد. الحديث وهو عارف في التاريخ . وأيام الناس والفقه

فلم ؟ والتوراة ما حلت بينك وبينه قط ؟! قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن إتبعته إتبعناه و أبيت أبينا ، فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك إلى أن قال : عمرو ما عندي في أمره إلا ما قلت: ما تطيب نفسي أن أصير تابعا رواه البيهقي.³²⁵

مما سبق ومن الحوار الذي دار بين عمرو بن سعدى وكعب بن أسد زعيم بني قريظة يتبين لنا أن يهود تخشى سطوة محمد صلى الله عليه وسلم و إن كانوا متأمرين . وهم أي يهود متأكدين من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعليه هم متأكدين من عقوبة الله لهم في نهاية المطاف لكنهم كما قال البقاعي رحمه الله في تفسيره لآية "من عند أنفسهم " حيث قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى : وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109) [البقرة : 109] .

والود كما قال الزبيدي في تاج العروس : الود والوداد الحب والصدقة ثم أستعير للتمني وقال ابن سيده الود الحب يكون في جميع مداخل الخير عن أبي و ودت الشيء ودّ وهو من الأمنية قال الفراء هذا أفضل الكلام وقال بعضهم وددت و يفعل منه يود لا غير ذكر هذا في قوله يود أحدهم لو يعمر أي يتمنى وفي المفردات الود محبة الشيء وتمني كونه³²⁶

وأورد البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : حسداً (على ما آتاكم الله من الخير الهادي إلى الجنة ، والحسد قلق النفس من رؤية النعمة على الغير ، وعبر عن بلوغ الحسد إلى غاية لا حيلة معها في تركه بقوله : (من عند أنفسهم) أي إنه راسخ في طبائعهم فلا تطمعوا في صرفه بشيء ، فإن أنفسهم غالبية على عقولهم ، ثم زاده تأكيداً بقوله مشيراً بإثبات الجار إلى

³²⁵ ابن كثير ، البداية والنهاية ، دار ابن كثير بيروت ج4 ص 81

³²⁶ الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس ط دار الفكر مصر ج2 ص 529

ذمهم بأنهم استمروا على الضلال بعد الدعوة ، لا يطلبون الحق مع القدرة على تعرفه ، حتى هجم عليهم بيانه وقهرهم عرفانه ، ثم لم يرجعوا إليه ؛ وما كفاهم ضلالهم في أنفسهم حتى تمنوا إضلال غيرهم بالرجوع عنه (من بعد ما تبين) أي بياناً عظيماً بوضوحه في نفسه (لهم الحق) أي من صحة رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنه خاتم النبيين المرسل إلى الناس كافة بشهادة ما طابقه من التوراة ،³²⁷ . بعبارة أخرى فإن البقاعي رحمه الله يخبرنا ان شهوة الحسد متغلبة على عقول يهود فلا يفكرون إلا بمعاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تأكدهم من صدق نبوته حيث شرحناه في غير هذا الموضع . شهوة الحسد هذه تعمي يهود عن حقيقة ربانية وهو أن الله تعالى مطلع على أعمالهم و اعمال غيرهم . بل لا تخفى عليه سبحانه خافية لا في الأرض ولا في السماء وسوء الظن بالله وبمعرفته بمؤامراتهم وأنه يضل اعمالهم ويحبطها وذلك لقوله تعالى : ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9) [محمد : 9] .

والحبط (وجع ببطن البعير من كالأ يستوبله) أي يستوخمه كذا في المحكم (أو من كالأ يكثر منه فتنتفخ منه) بطونها (فلا يخرج منها شيء) وهذا قول الجوهري وقال الأزهري وإنما تحبط الماشية إذا لم تثلط ولم تبل وإعتقل بطنها وقد (حبط) بطنه (كفرح) إذا إنتفخ (فيهن) يحبط حبطا (فهو حبط من) إبل (حباطي) وحبطه كما في المحكم (أو) حبط الماشية (إنتفاخ البطن عن أكل الذرق)والذي في التهذيب أن الحبوط مصدر حبط كضرب على ما نقله أبوزيد (بطل) ثوابه كما في الصحاح وقال الأزهري إذا عمل الرجل عملا ثم أفسده قيل حبط عمله...وقال الزمخشري وابن الأثير هو من حبطت الدابة حبطا إذا أصابت مرعى طيبا فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت³²⁸ إنتهى

³²⁷ نظم الدرر ، ج2 ، ص 106

³²⁸ الزبيدي تاج العروس المجلد الخامس ص 116

مما تقدم فإن أعمال الكافرين تنتفخ إنتفاخ مرض ويظهر للعيان انهم قد سمّنوا سمنا شديدا وللشخص غير المطلع على معاني كتاب الله فيهِياً له أن ذلك قوة للأكل كما ذكر الزبيدي في كتابه تاج العروس . ثم ما يلبث أن تذهب هذه السمنة ومن ثم الموت وهكذا كل اعمال بني إسرائيل في محاربة الإسلام والمسلمين . وإذا حقق يهود جزء من إنتصاراتهم فهو في وقت غفلة المسلمين عن دينهم وتعاليم رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم فهذه الإنتصارات المؤقتة لليهود كما داء الحبط الذي يصيب الناقة فهو إنتفاخ مرض ما يلبث يذهب السمن الكاذب ويعقبه هزال الناقة ثم موتها . لذا كان من اهم واجبات علماء المسلمين هو "إحياء علوم الدين".
لئلا يغتر المسلمون بالأحداث أمامهم مع يهود والله أعلم .

إن ما قاله حيي بن أخطب في آخر لحظات حياته عند رؤيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلخص بشكل واضح العلاقة بين الإسلام وبين يهود فقد قال : أتى بحيي بن أخطب و عليه حلة له فقاحية قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها مجموعة يدها إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما و الله ما لمت نفسي في عداوتك و لكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب و قدر و ملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ! ثم جلس فضربت عنقه³²⁹

ولنا وقفة مع حيي بن أخطب فلقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن حيي بن أخطب كان يعرف معرفة أكيدة ان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي بشرت به التوراة

لقد أحكم حيي بن أخطب مؤامرتة وبذل فيها كل ما في وسعه من إستخدام علاقات حيث سجد لأصنام قريش وذلك في الحادثة التي ذكرها الله في قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا

³²⁹ ابن كثير ، البداية والنهاية ، طبعة ابن كثير ببيروت ج4 ص 125

(51) [النساء : 51] يعني بذلك جل ثناؤه: ويقولون للذين جحدوا وحدانية الله ورسالة رسوله محمد (ص) : * (هؤلاء) * يعني بذلك : هؤلاء الذين وصفهم الله بالكفر * (أهدى) * يعني أقوم وأعدل * (من الذين آمنوا) * يعني من الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد (ص) الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود بتعظيمهم غير الله بالعبادة والإذعان له بالطاعة في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما ، وأنهم قالوا: إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الايمان به، وإن دين أهل التكذيب لله ولرسوله أعدل وأصوب من دين أهل التصديق لله ولرسوله ، وذكر أن ذلك من صفة كعب بن الاشرف ، وأنه قائل ذلك. ذكر الآثار الواردة بما قلنا : حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما قدم كعب بن الاشرف مكة ، قالت له قريش : أنت خير أهل المدينة وسيدهم ؟ قال : نعم. قالوا ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية ؟ قال : أنتم خير منه. قال فأنزلت : * (إن شأنك هو الأبر) * ، وأنزلت : * (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) * ... إلى قوله فلن تجد له نصيرا) * . حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة في هذه الآية: * (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) * ثم ذكر نحوه. وحدثني إسحاق بن شاهين، قال أخبرنا خالد الواسطي، عن داود، عن عكرمة، قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقال له المشركون: أحكم بيننا وبين هذا الصنبور الأبر، فأنت سيدنا وسيد قومك. فقال كعب: أنتم والله خير منه. فأنزل الله تبارك وتعالى: * (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) * ... إلى آخر الآية ³³⁰ .

لقد استخدم يهود كل الوسائل المتاحة في غزوة الخندق من شراء الذمم والكذب والمدح لقوم عبدة أوثان سفهاء وذلك لحصار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته في المدينة المنورة .

³³⁰ الطبري جامع البيان دار الكتب العلمية بيروت ط2 1997 ، ج4 ص 137

صحيح كان الحصار شديدا جدا على المسلمين لقوله تعالى : إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) [الأحزاب : 10 ، 11] .

لكن كانت نهاية المعركة بين المسلمين ومخططات يهود في غزوة الأحزاب ككل نهاية متوقعة لكون خلقه الله ووضع فيه سنن وكتب الله لأغلبن انا ورسلي ، ولذلك جاء في سورة الحشر السورة التي تتحدث عن غزوة بني النضير قوله تعالى : هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (2) [الحشر : 2] . * . يعني تعالى ذكره بقوله: هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر الله الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد (ص) من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير من ديارهم، وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم، حين صالحوا رسول الله (ص) على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم، وعلى أن لهم ما أقلت الابل من أموالهم، ويخلو له دورهم، وسائر أموالهم، فأجابهم

رسول الله (ص) إلى ذلك، فخرجوا من ديارهم،³³¹

أقول لم يكن يخالغ بنو النضير ولا الصحابة رضوان الله عليهم أنهم سيخرجون لكنهم خرجوا على الرغم من أن كل التصورات البشرية من كلا الطرفين تدل على منعهم وكان من نتائج المعركة أن بنو النضير كانوا يخربون البيت فقد ذكر الطبري رحمه الله "وأنهم يخربون مساكنهم ، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذكر في منازلهم مما يستحسنونه ، أو العمود أو

³³¹ الطبري ، دار الكتب العلمية ج12 ص27

الباب ، فينزعون ذلك منها بأيديهم و أيدي المؤمنين³³² لكن هذا النصر الباهر بأيدي المؤمنين الراسخين في الإيمان . ولهذا صار الإيمان صفة لازمة لهم . فكان النصر الغير متوقع من قبل المهاجمين وهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن قبل يهود .

لقد زرت المدينة المنورة وزرت حصون بني النضير فوجدتها حصون منيعة بالمقاييس المادية بحيث لا يمكن خرقها بالأسلحة المتوفرة لدي الرسول صلى الله عليه وسلم . بعبارة أخرى كان بنو النضير محصنين بحيث يسحيل على المسلمين إخراجهم بالعرف المادي البشري المتعارف عليه . لكنهم خرجوا أذلاء ، والنتيجة الطبيعية لمثل هذه القصة قوله تعالى : فاعتبروا يا أولي الأبصار ، وقال الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية : فاعتبروا يا أولي الابصار يقول تعالى ذكره : فاتعظوا يا معشر ذوي الافهام بما أحل الله بهؤلاء اليهود الذين قذف الله في قلوبهم الرعب ، وهم في حصونهم من نعمته ، واعلموا أن الله ولي من والاه، وناصر رسوله على كل من ناواه ، ومحل من نعمته به نظير الذي أحل ببني النضير . وإنما عنى بالابصار في هذا الموضع أبصار القلوب ، وذلك أن الاعتبار بها يكون دون الابصار بالعيون³³³ إنتهى.

وهي نفس النتيجة التي إنتهت لها قصة البقرة في سورة البقرة التي نحن بصددھا . لكن ملاحظة هامة وهي ان الله سبحانه وتعالى أورد في نهاية سورة الحشر تمجيذا له سبحانه ولأسمائه الحسنی بما لم يرد في موضع آخر من القرآن الكريم وذلك بقوله تعالى : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24) [الحشر : 22 - 24] ، لقد إبتدأت سورة الحشر بالتسبيح وذكرت في غير هذا الموضع

³³² الطبري ج12 ص 29

³³³ الطبري ج28 ص34

في شرح أسماء سورة الإسراء أن التسبيح يقع حين تقع جريمة من العباد فيقابلها تنزيه الله سبحانه وتعالى عن إساءة العباد وأعظم إساءة كانت من يهود حيث وثقوا بحصونهم ونفوذهم عبر علاقاتهم مع المنافقين بل حتى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا لم يكونوا يظنون أن يهود سيخرجوا "ما ظننتم أن يخرجوا" لكنهم خرجوا وكان تعليق نهاية الآية "فإعتبروا يا أولي الأبصار" ، العبرة كما قال الزبيدي في كتابه تاج العروس : "والتعبير أخص من التأويل وفي التنزيل إن كنتم للرؤيا تعبرون أي إن كنتم تعبرون الرؤيا فعذاها باللام كما يقال إن كنت للمال جامعا والعابر الذي ينظر في الكتاب فيعبره أي يعتبر بعضه ببعض حتى يقع فهمه عليه ولذلك قيل عبر الرؤيا وإعتبر فلا كذا وقيل أخذ هذا كله من العبر وهو جانب النهر وهما عبران لأن عابر الرؤيا يتأمل ببعض حتى يقع فهمه عليه ولذلك قيل عبر الرؤيا و اعتبر فلان كذا أخذ هذا كله من العبر وهو جانب النهر وهما عبران لأن عابر الرؤيا يتأمل ناحيتي الرؤيا فيتفكر في أطرافها ويتدبر كل شيء منها ويمضي بفكره فيها ، أول ما رأى النائم إلى آخر ما رأى³³⁴ ، إن الله سبحانه وتعالى عالم بخطر يهود وما يقع من الرهبة في قلوب الناس من نفوذهم الكبير فيوقع ذلك الرهبة في قلوب الناس فهذه سيرة الظلمة في سياسة الرعية وهي إيقاع الرهبة في نفوس العامة ففي سورة الأعراف ورد قوله تعالى : قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ (116) [الأعراف : 116] .

(فلما ألقوا) أي ماأعدوه للسحر (سحروا أعين الناس) أي عن صحة إدراكها حتى خيلوا إليها ما لا على بعض ، وبعثوا جماعة ينادون : أيها الناس احذروا (واسترهبوهم) أي وأوجدوا رهبتهم إيجاد راغب فيها طالب لها غاية الطلب ولما قيل ذلك ، كان ربما ظن أنهم خافوا مما لا يخاف من مثله ، فقال تعالى مبيناً أنهم معذورون في خوفهم : (وجاءوا بسحر عظيم³³⁵) .

³³⁴ الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، مصر ، ج3 ، ص 376

³³⁵ نظم الدرر ، ج8 ، ص 27

إن إيقاع الرهبة في نفوس العامة سياسة فرعون وهي نفس سياسة بني إسرائيل الآن وهي تهويل قوتهم حتى ينهار معنويا من يواجههم . فعلى الرغم من تحقق نصر الله لبني إسرائيل على فرعون إلا أن ذلك لم يكن سببا لإتعاظهم فيستخدموا نفس أسلوب فرعون الذي حاربهم به وفشل في حربه . وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصف من لا يتعظ بالقرآن "عقول كادها باريها " .

يقول يهود في نهاية البروتوكول التاسع : "ومما يختلف فيه أن تستطيع الأمم النهوض بأسلحتها ضدنا قبل الأوان ، وتلافيا لهذا نستطيع أن نعتمد على القذف في ميدان العمل بقوة رهيبة سوف تملأ أيضا قلوب أشجع الرجال هولا و رعبا " ³³⁶ .

المبحث الثاني

التطبيقات العملية لقصة البقرة في الواقع المعاصر

المطلب الأول: حظوظ حماس:

كما شرحنا سابقا عن نصر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم على يهود في أحلك الظروف فقد تحقق نصر في أيامنا هذه على يهود بشهادة سياسيين وباحثين غربيين والفضل ما شهدت به الأعداء إن سنن الله لا تتبدل ولا تتغير أبدا، لقد كانت فشل محاولة إغتيال خالد مشعل توفيقا ربانيا للفئة المؤمنة على متآمرين يهود.

كيف حدثت محاولة الإغتيال :

تفاصيل عملية اغتيال خالد مشعل ونوعية السم المستخدم:

نشر بتاريخ: 2013/12/27 (آخر تحديث: 2013/12/29 الساعة: 16:07)

.Facebook393Twitter

³³⁶ بروتوكولات حكماء صهيون ، ص 147

بيت لحم - معا - نشرت صحيفة "يديعوت احرونوت" اليوم الجمعة تفاصيل حول عملية اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، والتي استندت في بعض تفاصيلها الى مقابلة مع الدكتور الاردني سامي ربابا الذي أشرف على علاج مشعل.

البداية كانت يوم 30 تموز عام 1997 عندما فجر " انتحاريين "نفسهما بالقرب من سوق "مخنايودا" في القدس، والنتيجة كانت سقوط 16 قتيلا اسرائيليا واصابة 187، وكانت حركة حماس تقف خلف هذه العملية، ونتيجة لهذه العملية قرر رئيس وزراء اسرائيل بنيامين نتنياهو تنفيذ عملية إغتيال لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، وطلب من رئيس جهاز الموساد داني يتوم إعداد خطة لتنفيذ عملية الإغتيال.

وقد بدأ جهاز الموساد العمل فورا على إعداد خطة الاغتيال، حيث كان خالد مشعل يسكن في العاصمة الأردنية عمان وتوجه إلى مكتب الحركة الكائن في شارع وصفي التل وسط عمان، وبسبب توقيع اتفاقية سلام قبل 3 سنوات مع الاردن وحفاظا على العلاقات، طلب من الموساد اعداد عملية اغتيال هادئة ودون إحداث ضجة ولا تقود لإسرائيل، وحتى لو كشفت خيوط بسيطة يمكن لاسرائيل التنصل من العملية دون وجود أدلة مباشرة.

توجه 6 من عناصر وحدة التنفيذ "كيدون" والتي هي جزء من وحدة تنفيذ عمليات الإغتيال "كيساريا" إلى العاصمة الاردنية عمان، وخلال وقت قصير استطاعوا جمع المعلومات عن خالد مشعل والمكتب الذي يمارس فيه عمله، والبيت الذي يسكنه في عمان، وكذلك حركته اليومية وتنقلاته خاصة إيصال أبنائه يوميا الى المدرسة.

بعد هذه المعلومات والمعطيات جرى بحث العديد من الخيارات لتنفيذ عملية الإغتيال من ضمنها حادث سير، ولكن في نهاية الأمر إستقر الجهاز على إستخدام مادة السم في عملية الإغتيال، حيث جرى بحث طبيعة المادة في الوحدة التكنولوجية التابعة لجهاز الموساد، والتي شارك فيها خبراء البيولوجيا في معهد "نيتسيونا"، وجرى اختيار مادة "Levofentanyl" والتي

تعتبر مادة سامة خطيرة ومتطورة، وكانت الخطة تتمثل بوضع وجبة كبيرة في جسد خالد مشعل دون أن يشعر، كونه سيعاني من الإعياء طوال اليوم ومن ثم يبدأ يدخل الغيبوبة وصولاً إلى الوفاة. بعد الاتفاق والتدريب على كيفية زرع السم في جسد خالد مشعل عادت عناصر الموساد إلى الأردن، حيث أسندت مهمة الإغتيال وزرع السم إلى عنصرين من الوحدة المختارة "كيدون"، ودخلا الأردن بجوازي سفر كنديين مزورين، ورافقهم في هذه العملية عناصر أخرى للدعم والإسناد وكذلك طبيباً من جهاز الموساد، والتي كانت تحمل معهما مادة السم والترياق المضاد حال وصل السم إلى أحد عناصر الموساد أثناء التنفيذ، وكل هذه العناصر أخذت مواقعها المتفق عليها مسبقاً والتي كانت في الفنادق والشقق التي تم إستئجارها لهذه الغاية.

وقد تعطلت العملية أكثر من مرة نتيجة لحدوث خلل في حركة خالد مشعل "أحد الايام لم يحضر الى المكتب، مرة ثانية كان برفقته العديد من الاشخاص"، وبعد مرور 5 أيام تم تحديد يوم 25 أيلول كآخر يوم لتنفيذ العملية، وفعلاً حضر خالد مشعل إلى المبنى الذي يتواجد فيه مكتبه، حيث كان أفراد الموساد منتشرين في مواقعهم وتم الاتفاق بينهم على إشارة محددة ولم يستخدموا الأجهزة. ولدى وصول السيارة التي كان يستقلها خالد مشعل ولم يكن فيها غير السائق وإبنته، نزل منها خالد مشعل وتوجه نحو مدخل العمارة، هنا تحرك عنصر الموساد بناء على تعليمات بالإشارة وسارا نحو خالد مشعل من الخلف، ولدى إقترابهم منه نزلت إبنته من السيارة وبدأت تصرخ وتنادي والدها "بابا"، وتبعها السائق الذي رأى شخصين يسيران نحو خالد مشعل بشكل يثير الشبه، فقام هو الآخر بالصراخ على خالد مشعل وبدأ ينادي عليه "خالد"، عند ذلك حاول خالد مشعل الدوران ليرى لما ينادون عليه، عندها كان عنصر الموساد قد وصله لتنفيذ الخطة بوضع السم من قبل أحدهم مستخدماً أبره خفيفة جداً تستخدم للأطفال، على أن يضعها في يده اليمنى عندما يميل عليه العنصر الثاني، وعندما يلتفت خالد مشعل للخلف يجد سائحين أجانبين ولن يشعر بأن السم دخل جسده، ولكن هذا التدخل من إبنته

والسائق غيرت السيناريو في اللحظات القاتلة، وأصاب السم الأذن اليمنى لخالد مشعل وهربا من المكان إلى سيارة الهروب التي كانت تنتظرهم.

دخل على الخط محمد أبو سيف أحد عناصر حماس في هذا التوقيت والذي كان يحضر بريد الى المكتب وشاهد عنصري الموساد يهربان في السيارة، وقام بملاحقتهما بعد تسجيل رقم السيارة، و إستمر في الملاحقة إلى أن نزل عنصري الموساد منها وهاجم أحدهم وهو يصرخ بأنهم اعتدوا على خالد مشعل، وصل في هذه الاثناء سعد الخطاب بشكل صدفي، وقد شاهد أحد عناصر الموساد يحمل حجرا كبيرا ويحاول ضرب أبو سيف، فهاجمه و أبعده عن أبو سيف وفهم على الفور بأنهم ليسوا أجانب وانما اشخاص مشبوهين، وتجمع العديد من المارة الذي أرادوا مهاجمتهم بعد أن فهم الجميع بأنهم إعتدوا على خالد مشعل، فسلموا أنفسهم لأبو خطاب وقادهم الى مركز الشرطة الأردنية، وطلب من الشرطة إتخاذ الحذر الشديد كونهم من الموساد الذي قد يصل لتخليصهم.

وبعيدا عن صحة رواية أبو خطاب كما تقول الصحيفة، فالنتيجة كانت فشل لعملية الإغتيال التي كشفت بعد إعتقال المنفذين، وتم الإتصال مع رئيس الموساد و إبلاغه بما جرى والذي بدوره وضع نتتيا هو في صورة الوضع كونه كان في طريقه لمقر الموساد للإحتقال برأس السنة العبرية.

مباشرة تم نقل مشعل إلى المستشفى الإسلامي والذي كان يعاني من الإعياء وضيق في التنفس، ولدى سماع الملك الاردني الحسين أعطى تعليماته لنقله الى المستشفى الملكي والذي يعالج فيه مع أفراد عائلته، وتم الإتصال على طبيب الملك سامي ربابا ليتولى العلاج، وبالفعل بدأ الطبيب الاردني معاينه مشعل والذي بدأ يدخل في الغيبوبة، حيث قام الطبيب في كل مرة يدخل في غيبوبة يوقظه ويحافظ عليه صاحيا حتى يبقى يتنفس، وكانت تأتيه إتصالات من الملك لمعرفة الوضع الصحي لخالد مشعل.

ويؤكد الطبيب الاردني بأنه مع الطاقم الطبي الاردني بعد المعاينة أدركوا أنه تلقى مادة سامة خاصة أنهم فهموا أن الحديث يدور عن عملية إغتيال، ويؤكد الطبيب الأردني بأنه لم يستخدم مادة الترياق التي قدمتها اسرائيل لإنقاذ حياة خالد مشعل، مؤكدا للصحيفة بأنه إستخدم مادة "Naloxone" وحقنها لخالد مشعل، حيث تم اعطائه هذه المادة لأكثر من مرة والتي ساهمت بعدم دخوله الغيبوبة، ومن ثم خروج السم من جسده دون حقنه بالترياق الذي رفض الطبيب الأردني إستخدامه.

وبعيدا عن رواية الطبيب الأردني تؤكد الصحيفة بأنه بعد الفشل الذي حصل طلب من عناصر الموساد المشاركين في العملية التوجه الى السفارة الاسرائيلية في عمان على الفور، وقد فكرت الطبية التي كانت تتواجد في أحد فنادق عمان برفقه عنصر آخر من الموساد، باتلاف الترياق خاصة بأن احدا من عناصر الموساد لم يصب، وخوفا من ضبط هذه المادة معها و إعتقالها من قبل السلطات الأردنية، فقامت بالاتصال مع قائدها في الموساد الاسرائيلي وذكرت له بأنها تريد إتلاف الترياق، ولكنه اجابها بأن تبقيه معها وتنزل إلى ساحة الفندق "اللوبي"، وستجد ضابط من الإستخبارات العسكرية الأردنية في إنتظارها وتذهب معه للمستشفى، كي تقوم بحقن خالد مشعل بالترياق، وعندما سمعت ما ذكره لها قائدها لم تصدق الكلام وطلبت منه إعادته مرة ثانية للتأكد مما سمعته، وقد نفذت ما طلب منها ونزلت ووجدت الضابط في انتظارها، وتوجهت معه الى المستشفى وقدمت الترياق للطاقم الطبي الذي رفض أن تقوم هي بحقن خالد مشعل³³⁷.

³³⁷ صحيفة بديعوت أحرنوت تل أبيب 2013-12-24

لقد لخص الكاتب الأسترالي³³⁸ Paul McGeough فكرة المطلب في تعليقه على غلاف كتاب Kill Khalid بقوله :

Kill Khalid tracks Hamas's political fortunes across a decade of suicide bombings, political infighting, and increasing public support , culminating in the battle for Gaza in 2007 and into the current-day political stalemate .

"إن كتاب "أقتل خالد" يتتبع حظوظ حماس السياسية من الصراع الداخلي وزيادة التأييد الجماهيري والذي توج في معركة غزة في سنة 2007 وإلى حالة الجمود السياسي في وقتنا الحاضر " .

طبعا إن الكاتب الأسترالي يسمي الأحداث بحظوظ حماس ولكننا نسميها أقدار الله فهناك فرق رئيس بين المفهوم الإسلامي للأحداث ومفهوم الجهات الغربية للأحداث ، لقد كانت محاولة الإغتيال الفاشلة بحق خالد مشعل في الأردن نقطة تحول تاريخية فعندما كانت حماس حركة مغمورة يتآمر عليها الموساد الإسرائيلي بمحاولة إغتيال إلى حركة يجب إنقاذ رئيس مكتبها السياسي من الموت بأي ثمن و إستوجب هذا الأمر تدخل الرئيس الأمريكي بيل كلينتون شخصيا ، لقد تعاضم الدعم الشعبي لحركة المقاومة الإسلامية حماس لدرجة بدا واضحا على

338 □ . بول ماغي هو صحفي أسترالي من أصل إيرلندي وكان هو المراسل الأجنبي الرئيسي لصحيفة سيدني مورننج هيرالد

The Sydney Morning Herald
لقد نجا بول من هجوم شنته طالبان في سنة 2001 وحصل على جائزة أورد لريادة الصحافة وهو مؤلف كتاب
أقتل خالد
Kill Khalid

المسؤولين الأردنيين ، ففي إتصال هاتفي بين سميح البطيخي³³⁹ مدير المخابرات الأردنية بمدير المخابرات الإسرائيلية داني ياتوم³⁴⁰ أخبره قائلاً بصراخ :

“Tomorrow? He’ll die tomorrow morning? His funeral will be Friday prayers? All of Jordan will be at that funeral! I’ m telling you, if he dies, you can say good-bye to the peace treaty! Danny, he can’t die.... you are jeopardizing everything!”

غدا ؟ سيموت "يقصد خالد مشعل" غدا صباحاً؟ وستكون جنازته بعد صلاة الجمعة ؟ كل الأردن ستحضر جنازته! إنني أخبرك ، إذا مات ، تستطيع ان تقول وداعاً لمعاهدة السلام ! داني لا يمكن أن يموت "يقصد خالد مشعل "...إنك تعرض كل شيء للخطر³⁴¹

فبعد فشل محاولة الإغتيال المذكورة أعلاه تعاضم الدعم الشعبي لحركة المقاومة الإسلامية حماس بحيث أربكت حسابات رجال المخابرات العربية والإسرائيلية على السواء . وجرى البحث عن مخرج لهذه الازمة التي كادت ان تعصف باتفاقية السلام الموقعة بين الحكومة الاردنية وإسرائيل والمعروفة بإسم "اتفاقية وادي عربة"³⁴² .

³³⁹ الفريق سميح باشا بدر الدين البطيخي تخرج من كلية الحقوق في جامعة القاهرة 1967 م ثم تم تعيينه مستشاراً لجلالة الملك لشؤون الامن القومي ومقرراً لمجلس أمن الدولة وعمل مديراً للمخابرات الاردنية العامة ومن ثم تم تعيينه في مجلس الأعيان الذي إستقال منه لاحقاً [2].
³⁴⁰ داني ياتوم هو رئيس جهاز الموساد الثامن ولد في 15 مارس 1945 بنتانيا ، درس الفيزياء وعلم الحاسوب بالجامعة العبرية تطوع بجيش الدفاع الإسرائيلي عام 1963 كلفه شمعون بيريز بإدارة جهاز الموساد عام 1996 وإستقال من منصبه عام 1998 بسبب فضيحة فساد

³⁴¹ Paul McGeough, Kill Khalid , New press , New York , 2008
³⁴² تم توقيع هذه الإتفاقية في 26 أكتوبر 1996 على الحدود الفاصلة بين الدولتين والمارة بوادي عربة وبهذه الإتفاقية تصبح الأردن بتوقيع هذه المعاهدة وأصبحت الأردن بذلك ثاني دولة عربية بعد مصر ثالث جهة عربية بعد مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية تطبع علاقاتها مع إسرائيل. نظراً للظروف الصعبة التي كان يمر بها الأردن من النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية كان عقد معاهدة السلام مع إسرائيل خياراً استراتيجياً لضمان عدم خسارة مزيد من أراضي المملكة .

وكتب بول ماغي في كتابه :

Hussain knew just how to twist Clinton's arm. He made it clear he was on the verge of abandoning the peace treaty, a cornerstone in the interminable process. On the American end, Riedel advised that Hussain was not bluffing; the treaty that Clinton had signed was in jeopardy. "He can't be left looking like a stooge for the Israelis, and the Israeli Embassy in Amman can't become a den for assassins," Riedel³⁴³ warned

لقد عرف الملك حسين كيف يلوي ذراع الرئيس الأمريكي كلينتون. لقد وضعها بوضوح لقد كان على حافة التخلي عن معاهدة السلام ، وهي حجر الزاوية في عملية السلام المتطاولة . على الجانب الأمريكي فلقد نصح ريدل أن الملك حسين لم يخادع فإن الإتفاقية والتي وقعها نفسه كانت في خطر . "لا يمكن أن يترك فيبدو كأضحوكة للإسرائيليين ، كما لا يمكن أن تصبح السفارة الإسرائيلية كملجأ لمن قاموا بالإغتيال" وأضاف ريدل محذرا³⁴⁴ في نهاية المطاف و بعد مفاوضات ماراتونية بين الحكومة الأردنية وإسرائيل كانت نتيجتها

It concluded, "The king agrees with the prime minister that Yassin be given a pardon document and identity papers – This is not a deportation and the state of Israel is committed to this"

لقد إنتهت المفاوضات بموافقة الملك مع رئيس الوزراء "الإسرائيلي" أن الشيخ أحمد ياسين سيحصل على أوراقه الثبوتية ووثيقة إعتذار وإن الحكومة الإسرائيلية ملتزمة بهذه الموافقة³⁴⁵

³⁴³ سياسي أمريكي ومستشار لاربعة رؤساء أمريكيين منذ جورج بوش الأب وحتى اوباما، ويشغل منصب مستشار لشؤون الشرق الأوسط وجنوب آسيا في مجلس الامن القومي وهو زميل رفيع في مركز سابان لسياسات الشرق الأوسط في معهد بروكنغر ويكيبيديا

الميلاد) 1953 :العمر 66 سنة(، كوينز، نيويورك، نيويورك، الولايات المتحدة
التعليم: جامعة براون، جامعة هارفارد، Royal College of Defence Studies
Paul McGeough , Kill Khalid, New Press New York 2008³⁴⁴

³⁴⁵ نفس المصدر ص 209

بهذه الموافقة يستطيع الشيخ أحمد ياسين من العودة للأرض المحتلة بعد وصوله للأردن بغرض العلاج ، طبعا كان هذا الخروج من السجن للشيخ أحمد ياسين فرصة رائعة ليلتقي الشيخ بزعماء العالم ووسائل الإعلام للتعريف بالقضية الفلسطينية . وفي نفس الوقت تعاضم التأييد الشعبي لحماس وعاد الشيخ أحمد ياسين لرص صفوف الحركة في الداخل تمهيدا لإنفاضة الأقصى والذي سينتج عنها انسحاب إسرائيل من قطاع غزة .

مما سبق يتبين بوضوح أن الله أبطل كيذا عظيما ليهود بأقدار منه وليست بحظوظ كما يسميها بول ماغي . لقد كانت الظروف السياسية ضاغطة على الرئيس الأمريكي بيل كلينتون ليتدخل شخصيا حتى يقدم الموساد الترياق الخاص بعلاج الأستاذ خالد مشعل للسم الذي حقنوه بجسم الأخ خالد مشعل . وإضافة لذلك اضطرت الإدارة اليهودية الإفراج عن مؤسس حركة حماس في فلسطين وذلك لإسترجاع عنصرى الموساد المتواجدين في السفارة الإسرائيلية وكان نصرا وتدبيرا للإسلام والمسلمين في الأرض المحتلة والحقيقة أنني اخترت محاولة إغتيال الأستاذ خالد مشعل لوضوح الأحداث وتسلسلها وتبين لنا وللمسلمين آية مبصرة لنا وللمسلمين ولأن أرض فلسطين مباركة فتظهر فيها البركة من عند الله ، طبعا يصعب تتبع كل التفاصيل التغيرات السياسية لحركة حماس لكن سنتتبع الظاهر منها ولنستشهد به على صحة ما وصلنا إليه في قصة ذبح البقرة من أن المؤامرت التي يدبرها يهود تنتهي لمصلحة الفئة المؤمنة والتي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في الصراع الدائر مع يهود لكن سنتتبع ما ذكر بالإعلام عن هذا الموضوع باحثين عما يؤيد فهمنا لآيات الله في هذا الصراع المقدس في الأرض المقدسة

وهنا نقطة هامة فنحن وإن لم نجد في وسائل الإعلام ما يؤيد فكرة القرآن الكريم فهذا لا يفت في عضدنا . فنحن نؤمن بالقرآن الكريم وتوجيهاته سواء علمنا الحكمة أم لم نعلم ولذا كان

الترتيب في البحث أن قدمنا فهم آيات كتاب الله على المجريات السياسية المعاصرة لأننا لن نقدم بين يدي الله ورسوله فالترتيب بالفهم هو فهم النص القرآني ومن ثم فهم الواقع الذي نعيشه . إن ما ذكره الصحافي بول ماغي عن حادثة محاولة إغتيال خالد مشعل والتي إنتهت بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين رحمه الله وما تبع ذلك من إعادة بناء الحركة في الداخل بخروج هذا البطل رحمه الله لهي آية ربانية . و آيات الله في صراعنا مع يهود كثيرة جدا ولتتبع المسار السياسي بالتحليل للعثور على ما يزيد إيماننا بكتاب الله فسأستعير عبارات لمفكرين يهود متخصصين في الدراسات الإستراتيجية الشرق أوسطية في جامعة هارفارد وبغرض الدراسة سنعتمد في دراستنا على التقرير الإستراتيجي عن معركة الفرقان كما تطلق عليها المقاومة الفلسطينية أو عملية الرصاص المسكوب كما تطلق عليها إسرائيل .و إختياري لمعركة الفرقان لم يكن عبثا . فهي المعركة التي لم تستطع إسرائيل ان تحقق أهدافها منها وإضطرت للإنسحاب مخذولة والحمدلله رب العالمين .وقد إخترت هذه المعركة بالتحليل لوضوح إمكانية هزيمة إسرائيل من قبل حماس ثم أتبع ذلك بالحديث عن الإنتخابات التشريعية التي حصلت في الأرض المحتلة . لقد كانت إسرائيل تستخدم العصا والجزرة وكلا السياستين لم تفلح في تغيير سياسة الفئة المؤمنة المجاهدة في الحالتين كما سيأتي ولحسم الخلافات التي يثيرها البعض حول كلا الموقفين فسأستشهد بما قاله علماء إعلاميين غربيين في ذلك . وللدقة فسأعتمد على التقرير الإستراتيجي لمعهد دراسات إستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط يتبع جامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة وأوردت التقرير باللغة الإنجليزية في ملحق الدراسة باللغة الإنجليزية وترجمته لدقة المعلومات الواردة في التقرير الإستراتيجي . وهذا التقرير أعده باري روبن وهو عضو دراسات الشرق الأوسط الإستراتيجية في جامعة هارفارد حيث كتب تقريره في 3 يناير 2009³⁴⁶ وقد وضعت التقرير في الملحق 1 في البحث باللغة الإنجليزية مع ترجمته وهو كما يلي :

³⁴⁶ <http://blogs.law.harvard.edu/mesh/2009/01/on-the-ground-in-gaza/>

بحسب بيانات الحكومة الإسرائيلية الرسمية عن أهداف عملية الرصاص المسكوب حرفيا كما يلي: إن الهدف في المرحلة الحالية هو تدمير البنية التحتية في منطقة العمليات وذلك بالسيطرة على مناطق إطلاق الصواريخ المستخدمة بواسطة حماس وذلك لتقليل بشكل كبير كمية الصواريخ التي يتم إطلاقها على إسرائيل والمدنيين الإسرائيليين

والعملية ستوفر ضربة مباشرة وصعبة لحماس مع زيادة قوة الردع لقوات الدفاع الإسرائيلية وذلك لتوفير بيئة مستقرة ومتطورة من الناحية الأمنية للمواطنين في الشطر الجنوبي لإسرائيل على المدى البعيد .

.....

لكن وبعبكس ما يعتقد المخططون الجالسون على الكراسي إنه ليس من السهل السيطرة بشكل كامل على قطاع غزة وحكمه لفترة زمنية طويلة . إن حماس لن تذهب بعيدا . إن الدعم الدولي لإسرائيل محدود . ولن تسعى فتح والسلطة الفلسطينية للعودة للتحكم في قطاع غزة . إن هناك مليون شخص في قطاع غزة وستحاول حماس التأكيد على وجود إصابات بين المدنيين بل ومحاولة زيادة العدد.

وعليه فإن النصر الكامل ليس سهلا إذا كان ممكنا . ومن السخرية أن إسرائيل تعمل على فكرة أنه لا يوجد حلا عسكريا لهذه المواضع . ولكن وحيث أنه لا يوجد حلا دبلوماسيا كذلك فلا سبيل إلا إستعمال القوة لحماية إسرائيل ومواطنيها

إنه يجب التذكر أن إسرائيل انسحبت كليا من قطاع غزة وأزالت كل المستعمرات وتمنت للفلسطينيين حفا سعيدا . ولم تكن السلطة الفلسطينية على مستوى التحدي وغير مؤهلة في

أساليبها . لقد أصرت الإدارة الامريكية أن يتم السماح لحماس بخوض الإنتخابات على الرغم من أنها لم تلبي متطلبات إتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل . لقد فازت حماس

لكن حماس إستحضرت روح السياسة الإسلامية (لكل شخص صوت في وقت واحد) لقد تسلقت وطردت السلطة الفلسطينية فتح واجنحتها . وبدلاً من التركيز على تطوير الإقتصاد أو حتى المحافظة على السلام لبناء قوتها الذاتية فتابعت حماس إستراتيجيتها في حرب مستمرة مع إسرائيل ،

إنه يتم تعليم الأطفال أنهم يجب أن ينشأوا ليصبحوا قنابل إنتحارية ليقتلوا اليهود أو أن يقتلوا حلفاء اليهود أو إطلاق صواريخ أو قذائف المورتر من خلال السياج أو أن يخطفوا جندياً إسرائيلياً

بسبب ذلك يعتقد البعض أن لإسرائيل نوع من الخيار بهذا الصدد ، وأن الدبلوماسية هو أحد الخيارات بحيث تصبح حماس أكثر عقلانية . إن هؤلاء الناس لم يستمعوا لأحاديث قادة حماس ولم يقرأوا أدبياتهم على وسائل التواصل الإجتماعي . في الحقيقة إن حماس أشد تطرفاً من أسامة بن لادن الذي يوفر لأعدائه الفرصة لأن يندموا . عن هدف حماس هو الإبادة الجماعية على غرار الهولوكوست في ألمانيا

هذا ليس له علاقة بكون الشخص من الصقور أو الحمام أو من اليمين أو اليسار . لدعاة السلام الكبار وهذا صحيح في إسرائيل فإنهم يعرفون أن حماس يجب أن تهزم إذا كان لإسرائيل أن تصنع سلاماً مع السلطة الفلسطينية . إنه حتى السلطة الفلسطينية تعرف ذلك والكل مجمع على ذلك فإنهم يقولون ذلك في مجالسهم الخاصة دون المجالس العامة

يجب أن يستمر الهجوم لفترة طويلة . إنه لمن المناسب أنه يظن أن حماس ستسقط وسيتولى الفلسطينيون الأقل تطرفا هناك او ان إسرائيل ستجلس لأشهر أو لعدة سنوات ثم تخرج بدون مشاكل رئيسية . إن هذه خيارات غير حقيقية "

مما سبق يتبين من الترجمات للتقرير الإستراتيجي بوضوح الفكرة التي طرحناها والتي تتحدث تضيق الخناق على إسرائيل كلما حاولت إسرائيل تجاوز مرحلة وذلك حين مواجهتها لفئة مؤمنة بالكتاب والسنة وتكون منطلقاتها إسلامية ومن بين أفرادها من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا ما شرحناه سابقا في الحدث عن قصة البقرة وتطبيقاتها في السيرة النبوية في الصراع مع يهود في سلسلة وقائع بنو قينقاع وبنو النضير ثم بنو قريظة على التوالي وهذه الفكرة تتجلى كما يلي في عبارات التقرير التالية : "إن حماس لن تذهب بعيدا . إن الدعم الدولي لإسرائيل محدود " ، إن التقرير يتكلم عن عملية الفرقان كما تسميها المقاومة الفلسطينية وعملية الرصاص المسكوب كما تسميها إسرائيل وهي كما يلي :

الهجوم على غزة ومجزرة غزة أو بقعة الزيت اللاهب أو معركة الفرقان كما تطلق عليها المقاومة الفلسطينية أو الحرب على غزة ، أو عملية الرصاص المصبوب (بالعبرية: **המבצע צוק**) مفتتسح عوفرت يتسوكه؛ حرفياً: عملية رصاص مسبوك/مُشكَّل بعد إذابته وصبه) كما يطلق عليها جيش الدفاع الإسرائيلي، هي عملية عسكرية ممتدة شنها الجيش الإسرائيلي على قطاع غزة في فلسطين من يوم 27 ديسمبر 2008 إلى 18 يناير 2009.

تأتي العملية بعد انتهاء تهدة دامت ستة أشهر كان قد تم التوصل إليها بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) من جهة وإسرائيل من جهة أخرى برعاية مصرية في يونيو 2008 وكان تعليق التقرير الإستراتيجي الذي أوردناه على هذه المعركة ، لقد قال تعالى يصف المعركة بين

المسلمين وبين كفار بني إسرائيل في قوله تعالى : وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخُكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) [آل عمران : 55]

ولا شك أن من إتبع عيسى ابن مريم عليها السلام هو أتباع دين محمد صلى الله عليه وسلم وشعور يهود بعدم القدرة على تحريك الأمور لصالحهم لمحدودية الخيارات لديهم بحسب مخططيهم الإستراتيجيين هي إقرار بأن يد الله هي العليا في تحريك الأمور وليست أموال يهود ولا نفوذهم مطلقا ،

المطلب الثاني: الإنتخابات التشريعية:

وورد في التقرير الإستراتيجي أعلاه العبارات التالية : "لكن حماس إستحضرت روح السياسة الإسلامية (لكل شخص صوت في وقت واحد) لقد تسلقت حماس وطردت السلطة الفلسطينية فتح وأجنتها . وبدلا من التركيز على تطوير الإقتصاد أو حتى المحافظة على السلام لبناء قوتها الذاتية فتابعت حماس إستراتيجيتها في حرب مستمرة مع إسرائيل" ، وإن العبارة أعلاه تتكلم عن الإنتخابات التشريعية التي حدثت في الأراضي المحتلة لإنتخاب مجلس تشريعي للسلطة الفلسطينية ، وفي الحقيقة إن إنتصار حماس في الحصول على الأغلبية المطلقة في المجلس التشريعي بعد الإنتخابات النزيهة والتي شهدت بنزاهتها جهات دولية هو كسر لحاجز السلطة لدي الحركات الإسلامية . فبتولي حماس لمنصب رئيس الوزراء الفلسطيني دخل التيار الإسلامي معترك السياسة من أوسع أبوابه لكن تعليق التقرير الإستراتيجي أنفا يشكل عين الحقيقة حيث أورد ما يلي : وبدلا من التركيز على تطوير الإقتصاد أو حتى المحافظة على السلام لبناء قوتها الذاتية فتابعت حماس إستراتيجيتها في حرب مستمرة مع إسرائيل" ، لم تكن السلطة سببا لإنصراف حماس عن العمل الجهادي والتفرغ لمشاريع التنمية والتي أرادت إسرائيل ذلك بحسب التقرير المشار إليه أعلاه بل تفرغت الحركة لإنتاج جيل مجاهد يقدم روحه لأهداف

هذا الجهاد مما يمثل فشلا لخطة إسرائيل والغرب من إستدراج حماس للعمل السياسي والإبتعاد عن الجهاد والمجاهدين ولإعطاء نبذة عن الإنتخابات التشريعية فهي كما يلي :

The first legislative and presidential elections were held in 1996; the first local elections in January–May 2005. Previous (failed) Legislative Council elections were held in 1923 under the British Mandate, and previous municipal elections were held in 1972 and 1976, organized by the Israeli occupational government.

The Palestinian Legislative Council passed a law in June 2005 (signed by Abbas on 13 August 2005), to increase the number of members from 88 to 132, with half to be elected using proportional representation and half by plurality-at-large voting in traditional constituencies

تم عقد أول إنتخابات تشريعية ورئاسية في سنة 1996 ثم تم عقد إنتخابات محلية في سنة 2005 ، وأصدرت السلطة الفلسطينية قرارا في 13 أغسطس 2005 بزيادة أعضاء المجلس التشريعي من 88 إلى 132 والذين يتم إنتخابهم بالإقتراع المباشر والقائمة النسبية وكتبت صحيفة الغارديان البريطانية

لقد لاحظت الغارديان بالنصر الغير متوقع لحماس والذي ينظر له على أنه تحدي لمنطق السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وهو أن الإنتخابات الحرة تقود لحكومات موالية للغرب بالضرورة ، لقد كانت إستطلاعات الرأي تشير إلى نصر متوقع مريح لفتح في الإنتخابات التشريعية في 2006 وبنت السياسة الأمريكية على هذه الإستطلاعات سياساتها . وكان من

المتوقع فوز قائمة فتح في الإنتخابات التشريعية لكن النتائج في الإنتخابات جاءت مخالفة لتلك التوقعات ³⁴⁷

، لقد ورد في تقرير للكونغرس الأمريكي عن الإنتخابات التشريعية في الأراضي الفلسطينية 2006 ما يلي: لقد أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن تأييده لإجراء إنتخابات فلسطينية . لكنه لم يكن هو وأي من موظفي إدارته ليوافقوا على أن تكون نتيجة العملية السياسية وصول مجموعات او أشخاص ممن يرفضون إنهاء الإرهاب والعنف ضد إسرائيل ولا يعترفون بحق إسرائيل في الوجود. ويرفضون نزع سلاحهم ³⁴⁸ .

ونلاحظ في عملية الإنتخابات التشريعية توفيق الله في نصر إنتخابي تحقق بالفوز بأغلبية مقاعد المجلس التشريعي وتشكيل حكومة برئاسة المهندس إسماعيل هنية في حين كانت كل التوقعات والدراسات أن النصر السياسي سيكون لفتح . وعلى الرغم من تولي حماس لإدارة السلطة الفلسطينية لم تقدم حكومة حماس لإسرائيل الإعتراف بها حكومة أمر واقع والتي قامت الإنتخابات على أساس إتفاقية أوسلو والتي في طياتها إعتراف فلسطيني بإسرائيل والأصل أن الإنتخابات التشريعية أجريت على أساس إتفاقية أوسلو لكن حماس خيبت تطلعات وتوقعات الإدارة الأمريكية فلم ينتج عن العملية السياسية التي تم إدخال حماس بها أية تنازلات بل على العكس كان هناك ثبات لكن لو لم يكن هناك نصر عسكري في الميدان لما كان للإنجازات السياسية أية قيمة تذكر فالنصر العسكري أعطى أهمية للعمل السياسي الناجح ، قد يقول قائل

³⁴⁷ ^ Jump up to: a b Suzanne Goldenberg Tue 4 Mars (2008). "US plotted to overthrow Hamas after election victory". The Guardian.

³⁴⁸ CRS Report for Congress- REcived through the CRS Web . Palestinian Elections Feb 9 2006, Order Code RL 33269

إن هناك تهويل في إنتصارات حماس العسكرية في غزة والجواب الأمر على العكس من ذلك فالواقع المعاكس لإنصارات المقاومة يوضح الحجم الهائل والقفزة النوعية لأمة الإسلام فالواقع الذي أفرزته نكسة الخامس من حزيران 1967 والتي كانت كارثة عسكرية للأمة العربية والإسلامية يؤكد أهمية وصحة ما توصلنا إليه ، لقد كانت الراية المرفوعة في سنة 1967 هي راية علمانية قومية يسارية بامتياز . بل وكانت راية معادية للدين الإسلامي بشكل فاضح أما المعارك على الجبهة السورية ، فبدأت في 9 يونيو بعد فراغ القوات الإسرائيلية من جبهتي مصر والأردن ، وإنتهت في 10 يونيو بإحتلال الصهاينة الجولان السورية . وكان ذلك صدمة كبرى لما تتمتع به الجولان من مزايا إستراتيجية و إمكانيات تحصينية هائلة بإعتبارها منطقة جبلية ، ولأن القيادة السورية كانت تتوعد الصهاينة بمصير أسود إذا إندلعت الحرب ، بل وصل الأمر بإعلامها المغرور حدا جعل أحد أهازيجه يقول إن طائرات الميغ "تتحدى القدر " بينما ظهر مقال في إفتتاحية مجلة جيش الشعب السورية في 25 إبريل 1967 يدعو إلى "خلق الإنسان الإشتراكي العربي الجديد ... الذي يؤمن أن الله و الأديان ... وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التاريخ " لقد كانت الإستهانة بعقيدة الامة وتراثها إشارة إلى حالة الخواء وضعف إرادة القتال التي يعانيتها هؤلاء . وهناك دلائل تشير إلى أن الإعلان عن سقوط القنيطرة قد حدث قبل سقوطها الفعلي ب24 ساعة³⁴⁹ ، طبعا لا نستطيع في البحث الذي نحن بصدده إستقصاء وتحليل الهزائم العسكرية للدول العربية في مواجهة إسرائيل لأن هذا بحث يطول جدا لكننا ضربنا أمثلة يستشعر منها القارئ الكريم مدى فداحة خسارة يهود في المواجهات في غزة في مقابل إنتصارات يهود في مواجهتها مع حكومات

³⁴⁹ دكتور محسن محمد صالح ، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية ، مركز الإعلام العربي الطبعة الأولى ، 2003 ، ص 303

عربية ، ومن هنا يتضح لنا الفكرة التحليلية و التي جاء بها الأستاذ يوسف العظم³⁵⁰ في كتابه "المنهزمون " حيث قال رحمه الله : "ومن هنا كانت هزيمة الخامس من حزيران البشعة .. تلك التي تضعنا أمام حقيقتين رهيبتين :

الأولى : إن "الهزيمة الحزيرية السوداء" لم تكن عسكرية كما يتوهم الكثيرون ويصرون ، وإنما هي هزيمة نفسية تربوية فكرية شملت الأمة جميعها ، وطبعت الجيل بأكمله ، فانعكست آثارها العميقة على الهزيمة العسكرية الخارجية ، التي هي مظهر من مظاهر هزيمة مدمرة كانت تعيش في داخلنا وتعمل في ميادين العقل والقلب والنفس !

والثانية : أن الإسلام لم ينهزم قط لأنه أبعد عن المعركة بتخطيط واع وخبث مبيت . والذين إنهزموا هم أولئك الذين رفعوا إسم الإسلام دون أن يطبقوه سلوكا في واقع حياتهم او نظاما في أساليب حكمهم . لا فرق في ذلك بين شعوب مستضعفة وحكام متسلطين ... ومن هنا كان العمى الذي يطمس أبصار المتسائلين .. أين الإسلام والأقصى يضيع ويحترق³⁵¹

خلاصة الأمر إن ما يحدث مع حماس في الأرض المحتلة هو تطبيق لقصة البقرة في سورة البقرة من حيث أن مؤامرات عديدة تم تنفيذها وإنتهى الأمر بفشل هذه المؤامرات بتدبير رباني وأيدي بشرية مصداقا لقوله تعالى : وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) [السجدة : 21] .

يوسف العظم الملقب بشاعر الأقصى وهو وزير، وشاعر ومفكر أردني ولد بمدينة معان جنوب³⁵⁰ الأردن سنة 1931م درس اللغة العربية في الأزهر الشريف، وفي جامعة عين شمس في مصر وعمل معلما في الكلية العلمية الإسلامية حتى عام 1962م ولد 1931 وتوفي 29 يوليو 2007

³⁵¹ يوسف العظم ، المنهزمون ، دار الضياء للنشر والتوزيع الأردن ، الطبعة الأولى ، 2006 ، ص

وأورد البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية :

فقال مؤكداً له لما عندهم من الإنكار لعذاب ما بعد الموت وللإصابة في الدنيا بما هم من الكثرة والقوة : (ولنذيقنهم) أي أجمعين بالمباشرة والتسبيب ، بما لنا من العظمة التي تتلاشى عندها كثرتهم وقوتهم (من العذاب الأدنى) أي قبل يوم القيامة ، بأيديكم وغيرها ، وقد صدق الله قوله ، وقد كانوا عند نزول هذه السورة بمكة المشرفة في غاية الكثرة والنعمة ، فأذاقهم الجذب سنين متوالية ، وفرق شملهم وقتلهم وأسرههم بأيدي المؤمنين إلى غير ذلك بما أراد سبحانه ؛ ثم أكد الإرادة لما قبل الآخرة وحققها بقوله ، معبراً بما يصلح للغيرية والسفول : (دون العذاب الأكبر) أي الذي مر ذكره في الآخرة (لعلهم يرجعون) أي ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن فسقه عند من ينتظره ، وقد كان ذلك ، رجع كثير منهم خوفاً من السيف ، فلما رأوا محاسن الإسلام كانوا من أشد الناس فيه رغبة وله حبا³⁵².

وهذه الآية وردت في نهاية سورة السجدة آخر سورة من سور اللواميم وهم سورة البقرة و آل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة ، فهي من خلاصات الأفكار التي وردت في اللواميم .والخلاصة أن الله يعذب الكافرين في الدنيا قبل الآخرة بهدف أن يثوبوا إلى رشدهم وينتهوا عن غيهم والعاقبة للمتقين حتما مهما كانت الأموال والنفوذ الذي يتمتع به يهود وقد ذكر الله ذلك في سورة الإسراء سورة بني إسرائيل في احد أسمائها في قوله تعالى

(1)وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3) [الإسراء: 2 ، 3].

(ألا) أي لئلا (تتخذوا) بالياء التحتية في قراءة أبي عمرو وبالفوقانية في قراءة الباقرين فنبه بصيغة الافتعال على أنه - لكثرة ما على وحدانيته من الدلائل ، وله إلى خلقه من المزايا

³⁵² نظم الدرر ، ج15 ، ص 261

والفضائل - لا يعدل عنه إلى غيره إلا بتكليف عظيم من النفس ، ومنازعة بين الهوى والعقل وما فطر سبحانه عليه النفوس من الانقياد إليه والإقبال عليه ، ونفر من له همة عليه ونفس أبية من الشرك بقوله منبهاً بالجار على تكاثر الرتب دون رتبة عظمتة سبحانه وعد الاستغراق لها ، تاركاً نون العظمة للتخصيص على المراد من دون لبس بوجهه : (من دوني) وقال تعالى : (وكيلاً) أي رباً يكلون أمورهم إليه ويعتمدون عليه من صنم ولا غيره ، لتقريب إليه بشفاعة ولا غيرها - منبهاً بذكر الوكالة على سفه آرائهم في ترك من يكفي في كل شيء إلى من لا كفاية عنده لشيء ، ثم أتبعه ما يدل على شرفهم بشرف أبيهم ، وأنه لم ينفعهم إدلاءهم إليه - عند إرادة الانتقام - بما ارتكبوا من الإجرام ، فقال - منبهاً على الاهتمام بالتوحيد والأمر بالإخلاص بالعود إلى مظهر العظمة حيث لا لبس ، ناصباً على الاختصاص في قراءة أبي عمرو ، وعلى النداء عند الباقيين ، تذكيراً بنعمة الإيحاء من الغرق : (ذرية من حملنا) أي في السفينة بعظمتنا ، على ظهر ذلك الماء الذي طبق ما تحت أديم السماء ، ونبه على شرفهم وتمايم نعمتهم بقوله تعالى : (مع نوح) أي من أولاده وأولادهم الذين أشرفهم إبراهيم الذي كان شاكراً ثم إسرائيل عليهما السلام ، لأن الصحيح أن من كان معه من غيرهم ماتوا ولم يعقبوا ، ولم يقل : ذرية نوح ، ليعلم أنهم عقب أولاده المؤمنين لتكون تلك منة أخرى ؛ ثم نبه على تقواه وإحسانه حثاً على الاقتداء به بقوله : (إنه كان) أي كوناً جبلياً (عبداً شكوراً) أي مبالغاً في الشكر الذي هو صرف جميع ما أنعم الله به فيما خلقه له فأحسن إليه لشكره بأن جعل في ذريته النبوة والكتاب كما فعل بإبراهيم عليه السلام لأنه كان شاكراً فاقنتوا بهذين الأبوين العظيمين في الشكر يزدكم ، ولا تقلدوا غيرهما في الكفر يعذبكم ، وخص نوحاً عليه السلام لأنه ما أملى لأحد ما أملى لقومه ولا أمهل³⁵³

³⁵³ نظم الدرر ج 11 ص 303

يعني يقول الله عز وجل لبني إسرائيل ألا تتكلموا على أموالكم ولا نفوذكم فإن الله بعد الإمهال سيهلككم وينصر الفئة المؤمنة وما تحليلنا لأحداث غزة إلا إرهابات لنصر عظيم كبير قادم بإذن الله على يهود ومن ناصرهم هذا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المطلب الثالث: المحافظة على النصر:

المحافظة على النصر بمثابة التوصيات والنتائج للبحث والنتيجة الرئيسة ما نستلهمه من قصة حيتان البحر وهي القصة التي سبقت قصة البقرة في سورة البقرة وقد حدد ربنا أوقاتا للصيد وحرم عليهم أوقاتا وهو يوم السبت حيث قال تعالى : وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (66) [البقرة : 65 ، 66] ، والموعظة أصلها وعظ وكما اورد ابن منظور الأفريقي : النصح والتذكير بالعواقب . هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب ³⁵⁴ ، وأورد القرطبي في تفسيره قوله : (لما بين يديها) قال ابن عباس والسدي: لما بين يدي المسخة ما قبلها من ذنوب القوم (وما خلفها) لمن يعمل مثل تلك الذنوب. قال الفراء: جعلت المسخة نكالا لما مضى من الذنوب، ولما يعمل بعدها ليخافوا المسخ بذنوبهم. قال ابن عطية: وهذا قول جيد، والضميران للعقوبة . وروى الحكم عن مجاهد عن ابن عباس: لمن حضر معهم ولمن يأتي بعدهم . واختاره النحاس، قال: وهو أشبه بالمعنى، والله أعلم . وعن ابن عباس أيضا: " لما بين يديها وما خلفها " من القرى . وقال قتادة: " لما بين يديها " من ذنوبهم " وما خلفها " من صيد الحيتان . قوله تعالى: (وموعظة للمتقين) عطف على نكال، ووزنها مفعلة من الإيعاظ والإنزجار . والوعظ: التخويف . والعظة الإسم . قال الخليل: الوعظ التذكير بالخير فيما يرق له القلب . قال الماوردي: وخص المتقين وإن كانت موعظة للعالمين لتقردهم بها عن الكافرين

³⁵⁴ لسان العرب ، دار صادر بيروت ج7 ص 466

المعاندين . قال ابن عطية: واللفظ يعم كل متق من كل أمة . وقال الزجاج " وموعظة للمتقين " لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن ينتهكوا من حرم الله عزوجل ما نهاهم عنه، فيصيبهم ما أصاب أصحاب السبت إذ انتهكوا حرم الله في سبتهم³⁵⁵ .

أقول لقد تحايل بنو إسرائيل في صيد الحيتان وكان خلاصة قصة صيد الحيتان في يوم السبت هي الإلتعاض والخوف من عقاب الله الذي ينزل بالمخالفين لكن بنو إسرائيل أقدموا على جريمة أكبر من صيد الحيتان يوم السبت وهي قتل نفس مؤمنة دون وجه حق . فتحايل بنو إسرائيل في أمر قد شرع لهم لئلا يقتتلوا وهو أن يذبحوا بقرة . لكن ولعلم القتلة بإنكشاف أمرهم في حال تنفيذ القتل مباشرة تلكؤوا بتنفيذ هذا الأمر لعلم القتلة أن هذا الفعل أي ذبح البقرة سيكشف تأمرهم بالنهاية وهذا التلكؤ ما كان لينفعهم بل إن تحايلهم أدى لزيادة التكلفة والعبء ولم يدفع هذا التواطؤ والتأمر في رد عذاب الله للقتلة . ونصر الله الفئة المتهمة زورا من بني إسرائيل . إن القاسم المشترك في القصتين وجود أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر يعود المسلم لها بالملمات وحين تكون هناك فتنة . فلقد كان من أمة بني إسرائيل من أمرهم ونهاهم عن صيد الحيتان في السبت وهؤلاء نجوا . واما في قصة البقرة فقد قامت الفئة المؤمنة بعمل سور يمنع تجاوز العصاة عليهم كما ورد في بعض الروايات . وهذا يوضح أهمية الأمة الأمرة بالمعروف والناهية عن المنكر . وفي أهمية الأمة قال تعالى : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) [النحل : 120] .

قال البقاعي رحمه الله في تفسير هذه الآية : كان أمة (فيه من المنافع الدنيوية والأخروية ما يوجب أن يؤمه ويقصده كل أحد يمكن انتفاعه به³⁵⁶) لقد كان موسى عليه الصلاة والسلام موجودا وكان هو ومن معه الأمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهو بالوحي الذي

³⁵⁵ القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" المكتبة التوفيقية مصر ج1 ص 422
³⁵⁶ نظم الدرر للبقاعي رحمه الله المكتبة التجارية مكة المكرمة ط2 ج11 ص 272

أوحاه الله إليه بشأن ذبح البقرة أحبط فتنة قتلة بنو إسرائيل ، ففي قصة حيتان البحر ذكر تعالى هذه الفئة وجعلها سببا للنجاة بقوله تعالى : فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166) [الأعراف : 165 ، 166] ، لكن هذه الآية سبقتها عدة آيات في سورة الأعراف وضحت العلاقة بين العذاب على بني إسرائيل والنصر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي "يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر " حيث قال تعالى : وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) .

وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالٍ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) [الأعراف : 156 - 158] .

ولما كان اليهود ربما إدعوا ذلك ذلك مكابرة ، أوضح غاية الإيضاح بقوله : (الذين يتبعون) أي بغاية جهدهم (الرسول) ولما كان هذا الوصف وحده غير مبين للمراد ولا صريح في الرسالة عن الله ولا في كونه من البشر ، قال : (النبي) أي الذي يأتيه الوحي من الله فبدأ بالأشرف وثنى بما خصه برسالة الله وكونه من الآدمين لا من الملائكة.

ولما لم يتم المراد ، قال مبيناً لأعظم المعجزات ، وهي أن علمه بغير معلم من البشر : (الأمي) أي الذي هو مع ذلك العلم المحيط على صفة الأم ، وأمة العرب لا تكتب ولا تقرأ ولم يخالط العلماء للتعليم منهم بل لتعليمهم ، فإنطبق الوصف على الموصوف مع التنوية بجلالة الأوصاف والتشويق إلى الموصوف ، ولم يعطف لئلا يوهم تعداد الموصوف - والمعنى أنني لا أغفر لأحد من بني إسرائيل ولا من غيرهم إلا إن اتبع محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا الإتيان تارة يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه وتارة يخرج منة القوة إلى الفعل ممن لحق زمانه دعوته ، فمن علم الله منه أنه لا يتبعه إذا أدركه لا يغفر له ولو عمل جميع الطاعات غير ذلك ، وعرفه لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق إليه عند مجيئه ولا ريب يتعلل في أمره بعلّة ، ولذلك أتبعه بقوله : (الذي يجدونه) أي علماء بني إسرائيل ؛ ولما إشتد تشوف بذكر الوجدان ، قال : (مكتوباً) ثم قرب الأمر بقوله : (عندهم) ثم بين أنه مما لا يدخله شك بقوله : (في التوراة والإنجيل) أي الذين يعلمون أنهما من عند الله بصفته البينة كما تقدم بيانه عما عللوا عن تبديله منهما في البقرة³⁵⁷ .

مما تقدم فإن الله سلط العذاب على بني إسرائيل لعدم إنصياحهم للأمرين بالمعروف والناهون عن المنكر وإستمروا في غيهم . وجعل الله تعالى في سورة الأعراف صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ثانيا بشري نبينا صلى الله عليه وسلم فهي صفة لازمة لأمة الإسلام وكتطبيق عملي لما ذكرناه آنفا ما حدث في الأنفال في غزوة بدر الكبرى ، لقد حدث في معركة بدر خلاف على توزيع الأنفال على المسلمين المشاركين في المعركة بين الصحابة الذين كانوا في مقدمة القتال و أولئك الذين وقفوا حماية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي الغنائم التي حصل عليها المسلمون في غزوة بدر . لقد نزلت الأربعون آية في بداية سورة الأنفال لمعالجة نفوس المسلمين وتحذيرهم وكان من الآيات التي نزلت في ذلك قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

³⁵⁷ نظم الدرر ، ج 8 ، ص 107

اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25) [الأنفال : 24 ، 25] ، وجاءت هذه الآيات محذرة للصف المسلم عن أي إنحراف وجاءت في سورة الأنفال تنبيها للصحابه لئلا يقتتلوا على الأنفال .

وأورد الإمام الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى : وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً " قال : أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب ³⁵⁸ .

والقصص في بني إسرائيل هي للعبرة والإعتبار وما حدث مع يهود يحدث في أمة الإسلام لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه " قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : " فمن " ؟ ³⁵⁹ وقال ابن عباس : ما أشبه الليلة بالبارحة ، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم ³⁶⁰

والعذاب الذي صبه تعالى على بني إسرائيل حدث ما يشبهه في أمة الإسلام ، لقد حدث في معركة أحد كما أورد الإمام ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية " ، " قال الواقدي : وثبت عندي أن الذي رمى في وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن قمئة ، والذي رمى في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص وقال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان عن حدثه عن سعد بن أبي وقاص قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة

³⁵⁸ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري المكتبة التوفيقية طبعة 2004 ج9 ص 232

³⁵⁹ فتح الباري شرح صحيح البخاري ج6 ص 639 حديث رقم 3456

³⁶⁰ القرطبي الجامع لأحكام القرآن المكتبة التوفيقية ج8 ص 173

بن أبي الوقاص وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضا في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " إشتد غضب الله على من دمی وجهه رسوله .³⁶¹

لقد أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه يوم أحد بحسب ما أوردناه آنفا فما التقصير الذي قصره رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ الجواب لم يقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان تقصير من في الجيش المسلم عوقب بهذا التقصير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا فالفتنة لا تقف عند من إبتدعها وأيدها بل وتصيب الصالحين بحسب الآية المذكورة أعلاه والإستشهاد من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وما ينطبق على أمتنا العربية والإسلامية أنه كان في العالم العربي تيارات فكرية علمانية تنادي بإقصاء الدين والشريعة وكانت تتهكم على رجال الدين ودعاة الإسلام في العالم العربي قبل نكسة حزيران من عام 1967 ، فقد ورد في كتاب "دراسات منهجية في القضية الفلسطينية " للدكتور محسن محمد صالح في ص 303

"ولأن القيادة السورية كانت تتوعد الصهاينة بمصير أسود إذا إندلعت الحرب ، بل وصل الأمر بإعلامها المغرور حدّا جعل أحد أهازيجه تقول إن طائرات الميغ "تتحدى القدر" بينما ظهر مقال في إفتتاحية مجلة الشعب السورية في 25 أبريل 1967 يدعو إلى خلق الإنسان الإشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله و الأديان ... وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ، ليست إلا دمی محنطة في متاحف التاريخ³⁶² ، كانت نكسة حزيران ضربة قاصمة للمبادئ العلمانية التي إنتشرت في العالم العربي قبل النكسة ... وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ

³⁶¹ الحافظ ابن كثير البداية والنهاية المكتبة التوفيقية مصر ج3 ص 131

³⁶² دكتور محسن محمد صالح دراسات منهجية في القضية الفلسطينية مركز الإعلام العربي الطبعة الأولى 2003 ص 303

وَالِى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدَنَّا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) [النساء : 61 ، 62] .

إذا قيل لهم تعالوا إلى ما الذي أنزله في كتابه (والى الرسول) ليحكم بيننا رأيت المنافقين يصدون عنك (يعني يمتنعون من المصير إليك) لتحكم بينهموعن ابن جريج (رأيت المنافقين يصدون عنك) * يعني بذلك: يمتنعون من المصير إليك لتحكم بينهم، ويمنعون من المصير إليك كذلك غيرهم صدودا.

القول في تأويل قوله تعالى: * (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) يعني بذلك جل ثناؤه : فكيف بهؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وهم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك * (إذا أصابتهم مصيبة) * يعني: إذا نزلت بهم نقمة من الله، * (بما قدمت أيديهم) * يعني: بذنوبهم التي سلفت منهم، * (ثم جاءوك يحلفون بالله) * يقول: ثم جاءوك يحلفون بالله كذبا وزورا، * (إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) . * وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين أنهم لا يردعهم عن النفاق العبر والنقم، وأنهم وإن تأتتهم عقوبة من الله على تحاكمهم إلى الطاغوت، لم ينيبوا ولم يتوبوا، ولكنهم يحلفون بالله كذبا وجرأة على الله ما أردنا بإحتكامنا إليه إلا الإحسان من بعضنا إلى بعض، والصواب فيما إحتكمنا فيه إليه.

أقول إن الأنظمة المنافقة التي إحتكت لمبادئ علمانية وتركت الدين الإسلامى بل حاربته كانت سببا لكارثة حلت بالأمة وهو تفسير قوله تعالى (فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) أي أن مصيبة نكسة 1967 كانت بسبب ممارسات هؤلاء العلمانيون الذي طالبوا بالإبتعاد عن الدين وفي سلسلة كتابات الشاعر يوسف العظم رحمه الله بعنوان "المنهزمون" تفصيل كبير لمن أراد الإستزادة من ما قلناه . كما أشرنا في مطلب سابق لقد تدهور الوضع

العربي إلى أن وصل مرحلة مزرية في القمة العربية في سنة 1987 حين منحت القمة العربية الحرية لكل دولة للتطبيع مع مصر التي سبقتهم بالإعتراف بإسرائيل معلنين وقف إقصاء مصر بعد الإعتراف بإسرائيل وكأنما قضية القدس لم يكن لها هذه الأهمية عند القادة العرب في القمة العربية 1987 التي عقدت في عمان في 8 نوفمبر 1987، شاركت فيه عشرين دولة عربية ومنظمة التحرير الفلسطينية، صدر عنه بيان ختامي ومجموعة من القرارات أهمها: - - العلاقات الدبلوماسية بين أي دولة عضو في الجامعة العربية وبين مصر عمل من أعمال السيادة تقررها كل دولة بموجب دستورها وقانونها.

ولنتائج هذه القمة ملاحظة أنها تتوافق مع الخطة العشرية التي وضعها يهود للسيطرة على فلسطين كما كتبها الشيخ عبدالله عزّام حيث أورد رحمه الله ، قرر اليهود تنفيذ مخططهم على خطوات مدة كل خطوة عشر سنوات :

1- في سنة 1897 م تم عقد مؤتمر بال في سويسرا حيث قرر المجتمعون العمل على إنشاء دولة إسرائيل.

2- في سنة 1907م كان العمل الماسوني المنظم لإسقاط حكم السلطان عبدالحميد العثماني من أجل تسهيل هجرة اليهود .

3- في سنة 1917م وعد لينين ووعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

4- في سنة 1927م زيادة بناء المستعمرات وشراء الأراضي من عائلات سرسق وتيانا والإنجليز .

5- في سنة 1937م بدأت بإنشاء القوات النظامية لليهود و أصبح لديهم عصابات إرهابية مسلحة لديها كميات من الأسلحة والذخيرة ، وإشتراك فيلق يهودي مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية لأخذ الدربة والتدريب والتجربة .

6- في سنة 1947 قرار التقسيم الذي أقرته الامم المتحدة في 29 نوفمبر

7- في سنة 1956 تم إحتلال سيناء وغزة

8- في سنة 1967م النكبة الكبرى وأحتلت كل فلسطين .

9- في سنة 1977 الهجوم على لبنان ومعاهدة كامب ديفيد ³⁶³ .

وأضيف لما كتبه الشيخ آنفا أنه جاء بعد عشر سنوات بالضبط قرار مؤتمر القمة العربية الذي أعطى الخيار للدول العربية بإعادة علاقاتها مع مصر المطبوعة مع الكيان الصهيوني . وكان في هذا المؤتمر الإذن بإعادة العلاقات مع مصر التي إعترفت بإسرائيل في مؤتمر كامب ديفيد فكان المؤتمر قمة في خذلان أهل فلسطين في حين أنه عقد على بعد عدة كيلومترات من القدس في مدينة عمّان ، لكن سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير في قوله تعالى : هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38) [محمد : 38] ، لكن يشاء الله أن تتطلق حماس في 8 ديسمبر 1987 ليبدأ عهد جديد من الصراع الإسلامي الصهيوني .

أقول ما قاله الشيخ احمد ياسين رحمه الله

³⁶³ الشيخ عبدالله عزام "حماس جذور تاريخية وميثاق" الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض 1989

لقد تاهت الأمة العربية والإسلامية أربعين سنة ن 1947 حتى سنة وذلك في معرض تعليقه رحمه الله على قوله تعالى : قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26) [المائدة : 26] ، فكان توصيفه رحمه الله أن الفترة الزمنية من 1947 حتى سنة 1987 هي فترة أربعين سنة تاهت الأمة العربية والمسلمة في مبادئ لم تجر إلا الوبال عليها ، ولذا كان وجود الأمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر لتحافظ على النصر ولتتقدم الأمم المسلمة مدافعة عن دينها وأرضها وعرضها والله أعلم وها نحن نرى بشريات النصر المبين لدين الله يتجلى شيئا فشيئا في أنحاء الأمة الإسلامية ليتحقق وعد الله {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7) } [الإسراء : 7]

والسؤال الذي يبرز بعد كل هذا ما الذي ندعو إليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة يهود ؟

الخاتمة

- أ- نتائج الدراسة
- ب- توصيات الدراسة
- ت- المنظور المستقبلي

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

1. ما جرى للأمة الإسلامية هو من نتيجة مؤامرة تم توضيحها في القرآن وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وواقعنا المعاصر.
2. سورة الشعراء توضح لنا المعالم الأساسية لمعركة الإعلام مع العدو.
3. الشورى ملزمة وليس مُعلمة، وهي ليست ديمقراطية، لأننا نسترشد بالقرآن والسنة.
4. إن عزوف الإسلاميين في الوقت المعاصر عن مناصب الدولة في غير مصلحة الإسلام، والدخول في الانتخابات الديمقراطية ومحاولة الفوز بأكبر مقاعد في الوجهات الديمقراطية هو واجب إسلامي.
5. تجاوز المناطقية والقبلية والجهوية لمصلحة أُخوة الإسلام هو السياج الحقيقي لحماية الإسلام.
6. ما ذكر في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون يتطابق مع ما ذكره القرآن الكريم والسنة المطهرة.
7. التطبيع مع العدو الصهيوني هو تجاوز لنصوص القرآن والسنة والواقع، ويكون سبباً لهلاك الأمة بتمرير مؤامرات يهود.
8. إن القيادة الربانية المتمثلة بكتاب الله عز وجل فهماً وتطبيقاً وواقعاً هي المؤهلة لقيادة المرحلة في مواجهة يهود.
9. قرأنا للقرآن الكريم وتطبيقه في السنة النبوية مع تطبيقه في دراسة كتاب بروتوكولات وأحداث الإسلاميين في فلسطين يعطينا أرضية وافرة لفهم أحداث متوقعة من المؤامرة الصهيونية.

10. إن الفهم العابر لكتاب الله عز وجل بدون فهم شمولي مسبب لفتن في الأمة الإسلامية.

ثانياً: التوصيات:

1. أن ننكب على القرآن دراسة وفهماً ومحاولة فهم الواقع من خلال آيات القرآن التي تتكلم عن بني إسرائيل .

2. مواجهة الحملات الإعلامية الموجهة للأمة الإسلامية لإشعارها بالضعف بأن نبث الثقة بالله وبوعده سبحانه وتعالى، أن نرفض المصطلحات التي يبتثها يهود مثل "الإسلام السياسي".

3. أن نرسخ مبدأ الشورى بين دعاة الإسلام.

4. أن نسعى جاهدين لتوجيه الأنظمة الديمقراطية لمصلحة الإسلام .

5. تعميق مفاهيم الأخوة الإسلامية لموجهة مؤامرات يهود.

6. أن نحارب الولاءات الأرضية من لون وعرق إلى ولاء للإسلام لتوحيد القوى الإسلامية ولنبد الفرقة.

7. أن نحارب كل أشكال التطبيع مع العدو الصهيوني بالوسائل المتاحة.

8. أن نسعى لإنشاء قيادات ربانية تحمل هذا الدين لتقود مفاصل العمل الإسلامي .

9. التأني في فهم لقرآن العزيز حيث أن معانيه لا تأتي إلا بعد طول نفس كبير في قراءة معاني ألفاظ القرآن.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

أ- القرآن الكريم.

ب- السنة النبوية.

قائمة الموضوعات

م.	المحتويات	الصفحة
1	الاستهلال	أ
2	شكر وتقدير	ب
3	قائمة الموضوعات	ج
4	مستخلص البحث	ج
5	ABSTRACT	د
6	المقدمة	2
7	منهج البحث	3
8	أولاً_ سبب إختيار البحث	3
9	ثانياً_ مشكلة البحث	4
10	ثالثاً_ حدود البحث	5
11	رابعاً_ أهمية البحث	5
7	الفصل الأول: أسماء و أهم القضايا التي تناولتها سورة البقرة وعلاقتها بقصة البقرة	
14	المبحث الأول: أسماء سورة البقرة ودلالات كل إسم وعلاقة كل إسم بقصة البقرة	8
16	المبحث الثاني مواضيع سورة البقرة	43
17	مقدمة	43
18	المبحث الثالث: علاقة قصة البقرة وترابطها مع سورة البقرة:	84
112	الفصل الثاني: مكانة سورة البقرة	
21	المبحث الأول: لا تستطيعها البطلة	113
23	المطلب الأول: وسائل الإعلام والسحر الذي لا يستطيعه البطلة:	113
24	المطلب الثاني: لا تقولوا راعنا وقولوا أنظرونا للكافرين عذاب أليم:	132
25	المطلب الثالث: الشورى والديمقراطية:	142
26	المطلب الرابع: ما ننسخ من آية أو ننسها:	152

27	المطلب الخامس: فلسطينية قضية القدس "قصة طالوت وجالوت":	162
28	المطلب السادس: المداراة والمداينة وتلبيس يهود:	170
29	المطلب السابع: الجهوية ومؤامرة شاس بن قيس	183
30	المبحث الثاني: مكانة سورة البقرة في السيرة النبوية وإهتمام الصحابة بسورة البقرة	192
32	المطلب الأول: وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا	192
33	المطلب الثاني: يا أصحاب سورة البقرة	203
217	الفصل الثالث: تفسير قصة البقرة	
36	المبحث الأول: تفسير قصة البقرة من كتب التفسير القديمة والحديثة	218
38	المطلب الأول: سرد قصة البقرة وحذف اليهود للقصة من كتبهم وقصة إحياء الميت	218
39	المطلب الثاني: الأمر بذبح البقرة تشريع لنا	246
40	المبحث الثاني: أهم صفات يهود التوي توضحها القصة، ومدى إستمرارية يهود على سلوكهم التي بينتها قصة البقرة	251
42	المطلب الأول: أهم صفات يهود وإستمراريتهم عليها	251
43	المطلب الثاني: "إن البقر تشابه علينا"	254
265	الفصل الرابع: التطبيقات العملية لقصة البقرة في السيرة النبوية والأحداث المعاصرة في فلسطين	
46	المبحث الأول: مؤامرات يهود في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مع تيقنهم من نبوته	267
48	المطلب الأول: مؤامرات يهود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (بنو قينقاع وبني النضير وبني قريظة):	267
49	المبحث الثاني: التطبيقات العملية لقصة البقرة في الواقع المعاصر	285
51	المطلب الأول: حظوظ حماس	285
52	تفاصيل عملية اغتيال خالد مشعل ونوعية السم المستخدم:	285
53	المطلب الثاني: الإنتخابات التشريعية:	298
54	المطلب الثالث: المحافظة على النصر:	305
55	النتائج والتوصيات	316
56	أولاً: النتائج:	316
57	ثانياً: التوصيات	317
60	قائمة المصادر والمراجع	319
61	أولاً: المصادر	319

319	ثانياً: المراجع	62
323	الملاحق	63

ثانياً: المراجع:

أ- الكتب العربية:

- 1- الإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي رحمه الله المتوفي سنة 885هـ -1480م في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة الطبعة الثانية سنة 1992.
- 2- سماحة الإمام محمد الطاهر بن عاشور تفسير التحرير والتنوير دار سحنون للنشر والتوزيع تونس المتوفي 1973م.
- 3- الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي من كتابه بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز المكتبة العلمية بيروت المتوفي 817 هـ.
- 4- الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الجامع لأحكام القرآن المكتبة الوقفية مصر المتوفي 671 هـ.
- 5- الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري تفسير الطبري المسمى "جامع البيان في تأويل القرآن" المتوفي 310 هـ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 1997.
- 6- الإمام عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المتوفي 774 هـ البداية والنهاية دار الفكر بيروت.

7. The Nonprofit Organization Handbook, 2nd edition, Tracy D. Connors McGraw-Hill Education April 1988.

8. الإمام محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي في كتابه تاج العروس من جواهر القاموس دار الفكر للطباعة مصر 1994 م/1414هـ

9- الدكتور محسن عبد الحميد "أزمة المنقذين تجاه الإسلام في العصر الحديث" الطبعة الأولى دار الصحوة القاهرة 1984م.

- 10- هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي ، وتوفي في مصر في شهر شعبان عام 711هـ / 1311م معجم لسان العرب دار المعارف مصر
- 11- د محسن محمد صالح من كتاب "دراسات منهجية في القضية الفلسطينية " مركز الإعلام العربي مصر الطبعة الأولى 2003.
- 12- الإمام عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي " الدر المنثور في التفسير بالمأثور " دار الفكر بيروت م / 1993 1414هـ المتوفي 911هـ.
- 13- د عبدالعظيم إبراهيم المطعني التفسير البلاغي للإستفهام في القرآن الكريم مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثانية 2007.
- 14- الإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" المكتبة العصرية بيروت 1972.
- 15- الإمام أبي حامد الغزالي "إحياء علوم الدين" الطبعة الأولى 1998 دار المعرفة بيروت لبنان 1982 المتوفي سنة 802 هـ.
- 16- بروتوكولات حكماء صهيون : قدم المترجم لهذا الكتاب الجهنمي بمقدمة مستفيضة وقال إن سبب وضعه أن زعماء الصهيونيين عقدوا ثلاثة وعشرون مؤتمرا منذ سن 1897 حتى سنة 14 أغسطس 1951 وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعا دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية وكان أول مؤتمراتهم في مدينة بال بسويسرا 1897 برئاسة تيودور هيرتزل وقد اجتمع فيه نحو ثلاثمائة من أعتى حكماء صهيون وكانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية ، وقرروا فيه خطتهم السرية لإستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داوود . محمد خليفة التونسي "الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون " دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الرابعة.
- 17- أحمد منصور "الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الإنتفاضة " الدار العربية للعلوم " الطبعة الاولى 2003 م .
- 18- للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني المتوفي 430هـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة 1980 .

19. Pillar of fire Yigal Lossin Pillar of fire Shikmona Publishing co ltd, Jerusalem
\Israel 1983 .

كتاب "عمود النار" هو كتاب مصور عن نشأة الصهيونية وتطور الأحداث حتى إقامة دولة إسرائيل ومؤلفه
كان مدير التلفزيون الإسرائيلي إبان حرب 1948.

20- الإمام شيخ الإسلام فخر الدين الرازي التفسير الكبير دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة
المتوفي 606هـ.

21- الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري دار
المعرفة بيروت لبنان المتوفي 852هـ.

22- الشيخ عبدالله عزّام "حماس جذور تاريخية وميثاق" طباعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي 1989
المتوفي 1989 م .

23- عمر بن علي بن عادل الدمشقي " تفسير اللباب في علوم الكتاب" دار الكتب العلمية بيروت 1998.
تاريخ الوفاة 880 هـ .

24- حسين بن محسن بن علي جابر " الطريق إلى جماعة المسلمين "دار الوفاء للطباعة المنصورة جمهورية
مصر العربية الطبعة السابعة 2002 توفي قبل 1988.

25- محاضرة لوزير الأمن الإسرائيلي السابق إيفي ديختر .

26- تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي "تفسير الشعراوي" طباعة أخبار اليوم - قطاع الثقافة والكتب
والمكتبات ج11 ص 6445 م.ش.

27- المؤلف: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: 1044هـ)
:السيرة الحلبيّة =إنسان العيون في سيرة الامين المأمون الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية
- 1427هـ عدد الأجزاء: 3 .

28- الشيخ محمد علي الصابوني قبس من نور القرآن . دار السلام للطباعة والنشر الطبعة الأولى
الأزهر 1997 .

29- أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفي 756هـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون
دار القلم دمشق ط الأولى 1986

30- يوسف العظم ، المنهزمون ، دار الضياء للنشر والتوزيع الأردن ، الطبعة الأولى المتوفي 2007م.

31- صحيح البخاري دار إحياء التراث العربي بيروت ط الأولى 2001م

32- صحيح مسلم دار إحياء التراث العربي بيروت ط الأولى 2000م

33- الإمام أبوزكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي المشهور بإسم "النووي" "شرح صحيح مسلم" دار إحياء التراث العربي بيروت ط 3 سنة 1984

34- الكتاب: المغازي المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: 207هـ) تحقيق: مارسدن جونس الناشر: دار الأعلمي - بيروت الطبعة: الثالثة - [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] عدد الأجزاء: 3 1989/1409. الواقدي

فهرس القرآن الكريم

م.	الآية	رقمها	الصفحة
البقرة			
1.	قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا	32	أ
2.			
3.			
4.			
5.			
6.			
7.			
8.			

فهرس الأحاديث

م.	الحديث	الصفحة
1.	لم يشكر الله من لم يشكر الناس	ج
2.		
3.		
4.		

الملاحق

مدق 1

تقرير أعده باري روبن وهو عضو دراسات الشرق الأوسط الإستراتيجية في جامعة هارفارد
حيث كتب تقريره في 3 يناير 2009³⁶⁴

On the ground in Gaza

³⁶⁴ <http://blogs.law.harvard.edu/mesh/2009/01/on-the-ground-in-gaza/>

From **Barry Rubin**

Middle East Strategy at Harvard (MESH) blog, Jan 3rd, 2009

.....

According to the just-released Israeli government statement on the offensive:

THE OBJECTIVE OF THIS STAGE IS TO DESTROY THE TERRORIST INFRASTRUCTURE OF THE HAMAS IN THE AREA OF OPERATION, WHILE TAKING CONTROL OF SOME OF ROCKET LAUNCHING AREA USED BY THE HAMAS, IN ORDER TO GREATLY REDUCE THE QUANTITY OF ROCKETS FIRED AT ISRAEL AND ISRAELI CIVILIANS.

THE OPERATION WILL... STRIKE A DIRECT AND HARD BLOW AGAINST THE HAMAS WHILE INCREASING THE DETERRENT STRENGTH OF THE ISRAEL DEFENSE FORCES, IN ORDER TO BRING ABOUT AN IMPROVED AND MORE STABLE SECURITY SITUATION FOR RESIDENTS OF SOUTHERN ISRAEL OVER THE LONG TERM

بحسب بيانات الحكومة الإسرائيلية الرسمية عن أهداف عملية الرصاص المسكوب حرفيا كما يلي: إن الهدف في المرحلة الحالية هو تدمير البنية التحتية في منطقة العمليات وذلك بالسيطرة على مناطق إطلاق الصواريخ المستخدمة بواسطة حماس وذلك لتقليل بشكل كبير كمية الصواريخ التي يتم إطلاقها على إسرائيل والمدنيين الإسرائيليين

والعملية ستوفر ضربة مباشرة وصعبة لحماس مع زيادة قوة الردع لقوات الدفاع الإسرائيلية وذلك لتوفير بيئة مستقرة ومتطورة من الناحية الأمنية للمواطنين في الشطر الجنوبي لإسرائيل على المدى البعيد .

.....

But contrary to the insistence of armchair strategists now, it would not be easy to seize control of all the Gaza Strip and govern it for an extended period of time. Hamas is not going to go away. International support for Israel is limited. Fatah and the Palestinian Authority will not react strongly to try to take Gaza back for itself. There are about one million people in the Gaza Strip and Hamas will make every attempt to ensure there are civilian casualties—and pretend there are even more.

لكن وبعبارة ما يعتقد المخططون الجالسون على الكراسي إنه ليس من السهل السيطرة بشكل كامل على قطاع غزة وحكمه لفترة زمنية طويلة . إن حماس لن تذهب بعيدا . إن الدعم الدولي لإسرائيل محدود . ولن تسعى فتح والسلطة الفلسطينية للعودة للتحكم في قطاع غزة . إن هناك مليون شخص في قطاع غزة وستحاول حماس التأكيد على وجود إصابات بين المدنيين بل ومحاولة زيادة العدد.

So “total victory” is not easy, if it is even possible. The irony is that Israeli policy is based on the idea that there is no military solution to these issues. But since there is no diplomatic solution either, force must be used to protect Israel and its citizens.

وعليه فإن النصر الكامل ليس سهلا إذا كان ممكنا . ومن السخرية أن إسرائيل تعمل على فكرة أنه لا يوجد حلا عسكريا لهذه المواضع . ولكن وحيث أنه لا يوجد حلا دبلوماسيا كذلك فلا سبيل إلا إستعمال القوة لحماية إسرائيل ومواطنيها

It should be remembered that Israel withdrew completely from the Gaza Strip, dismantled all settlements, and wished the Palestinians good luck. The Palestinian Authority (PA) was not up to the challenge. It could and would not change its corrupt and incompetent ways. U.S. policy insisted

that Hamas be allowed to run in the elections, even though it did not meet the standard of accepting the 1993 Israel-PLO agreement. Hamas won.

إنه يجب التذكر أن إسرائيل انسحبت كلياً من قطاع غزة وأزالته كل المستعمرات وتمنت للفلسطينيين حظاً سعيداً . ولم تكن السلطة الفلسطينية على مستوى التحدي وغير مؤهلة في أساليبها . لقد أصرت الإدارة الأمريكية أن يتم السماح لحماس بخوض الانتخابات على الرغم من أنها لم تلبي متطلبات إتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل . لقد فازت حماس

But Hamas invoked the radical Islamist policy of “one man, one vote, one time.” It staged a coup and kicked out its PA and Fatah rivals. Rather than focusing on economic development or even maintaining peace to build up its own power, Hamas pursued its strategy of permanent war against Israel.

لكن حماس إستحضرت روح السياسة الإسلامية (لكل شخص صوت في وقت واحد) لقد تسلقت وطردت السلطة الفلسطينية فتح واجنحتها . وبدلاً من التركيز على تطوير الإقتصاد أو حتى المحافظة على السلام لبناء قوتها الذاتية فتابعت حماس إستراتيجيتها في حرب مستمرة مع إسرائيل

Children’s programs taught the kiddies that they should grow up to be suicide bombers and kill Jews. Hamas soldiers, or their junior allies, fired rockets and mortars at Israel. And of course Hamas staged a cross-border raid and kidnapped an Israeli soldier.

إنه يتم تعليم الأطفال انهم يجب أن ينشأوا ليصبحوا قنابل إنتحارية ليقتلوا اليهود أو أن يقتلوا حلفاء اليهود أو إطلاق صواريخ أو قذائف المورتر من خلال السياج أو أن يخطفوا جنديا إسرائيليا

In spite of this, many in the West think Israel has some kind of choice in this matter, that diplomacy was an option, that Hamas could be reasoned with. Those people have clearly never heard a Hamas leader speak or read anything on the group's Arabic-language websites. In a real sense, Hamas is more extreme than Osama bin Laden, who periodically offers his enemy the chance to repent. Hamas's goal is genocidal.

بسبب ذلك يعتقد البعض أن لإسرائيل نوع من الخيار بهذا الصدد ، وأن الدبلوماسية هو أحد الخيارات بحيث تصبح حماس أكثر عقلانية . إن هؤلاء الناس لم يستمعوا لأحاديث قادة حماس ولم يقرأوا أدبياتهم على وسائل التواصل الإجتماعي . في الحقيقة إن حماس أشد تطرفا من أسامة بن لادن الذي يوفر لأعدائه الفرصة لان يندموا . عن هدف حماس هو الإبادة الجماعية على غرار الهولوكوست في ألمانيا

This has nothing to do with being dovish or hawkish, left or right. For those who are the biggest peaceniks—and this is true in Israel—know that Hamas must be defeated if Israel is ever to make peace with the PA. Even the PA knows it, and that's what they say in private, no matter what they say in public.

هذا ليس له علاقة بكون الشخص من الصقور أو الحمام أو من اليمين أو اليسار . لدعاة السلام الكبار وهذا صحيح في إسرائيل فإنهم يعرفون أن حماس يجب أن تهزم إذا كان لإسرائيل

أن تصنع سلاما مع السلطة الفلسطينية . إنه حتى السلطة الفلسطينية تعرف ذلك والكل مجمع على ذلك فإنهم يقولون ذلك في مجالسهم الخاصة دون المجالس العامة

The offensive is only going to last so long. It would be nice to believe that Hamas will be overthrown, less extreme Palestinians will take over, or Israel will just sit in the Gaza Strip for months or even years to come without any major problem. These are not real options.

يجب أن يستمر الهجوم لفترة طويلة . إنه لمن المناسب أنه يظن أن حماس ستسقط وسيتولى الفلسطينيون الأقل تطرفا هناك او ان إسرائيل ستجلس لأشهر أو لعدة سنوات ثم تخرج بدون مشاكل رئيسية .